

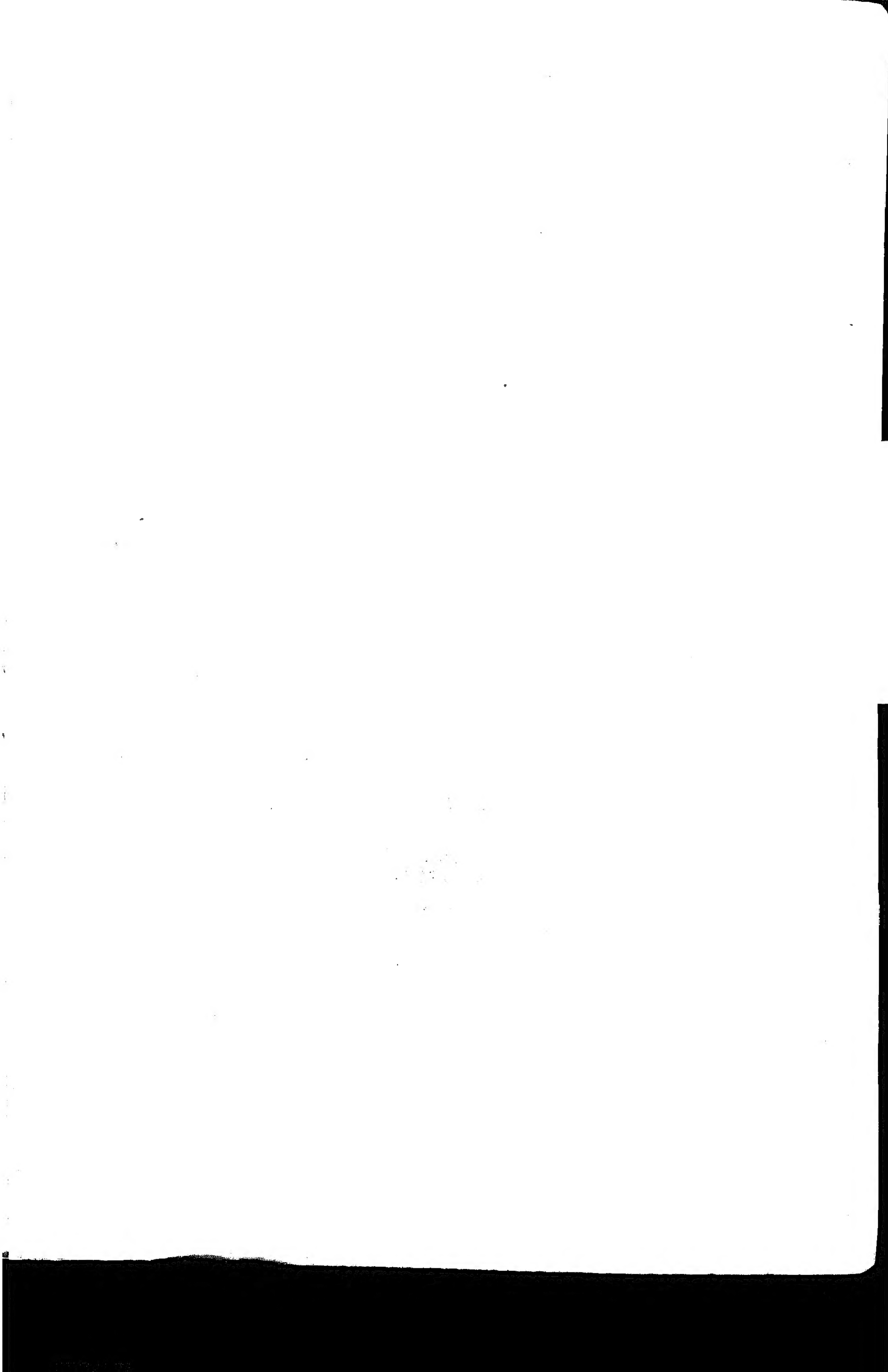
بلاد الجيرة

في أواخر العصر العباسي



دكتور/ عصام عبد الرؤوف الفقي

دار الفكر العربي



المجلة العلمية لكتبة الاسكندرية

تم الاخذ بـ :

رقم المجلد : ١٠٠

٥١٩

دكتور عصام الدين عبد الرؤوف

المدرس بكلية الآداب بالمتنبا
جامعة أسوط

بلاد الجنيرة

في أواخر العصر العباسي

٩٥٦-٩

ع ٢

٥



General Organization Of the Alexan-
dria Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

ملتزم الطبع والنشر

دار الفيل العسري



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وبعد ،
فهذا بحث يتناول دول أتابكة الموصل والجزيرة ، يتجلى لنا فيه ،
الموقف السياسي الداخلي في بلاد الجزيرة ، وموقف أتابكة الموصل
والجزيرة من حكام البلاد الإسلامية المجاورة ، والجهود التي بذلها الأتابكة
لصدور الخطر الصليبي عن البلاد الإسلامية وعلاقة الأتابكة بالمغول ، والتنظيمات
الإدارية والمالية في دول أتابكة الموصل والجزيرة ، وماطر أعليها من تغيرات .

لما حل الضعف بالدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه استقل كل
أمير بولايته ، فانهضت الدولة السلجوقية إلى دويلات مستقلة ، واتخذ كل
أمير من أمرائها قائدا تركيا يقوم بتدريب أبنائه على فنون الحرب والقتال ،
وأساليب الإدارة والحكم ، يسمى أتابك ، أي الأمير الوالد ، فلما تقرر
تعيين عماد الدين زنكي أتابكا على الموصل ، كان مؤدبا لصغيرين من أولاد
السلطان السلجوقي محمود ، غير أنهم لم يقوموا بإدارة شئون البلاد .

طغى نفوذ الأتابكة على الأمراء بسبب ما كانوا يتمتعون به من سلطة
أبوية ، وما ساعد على ازدياد نفوذهم أن الأتابك كان يتزوج من أم الأمير
السلجوقي المنرفي ، ويتزوج الأمير الجديد من ابنة الأتابك ، وقد سر ذلك
للأتابك إقامة أسرات حاكمة مستقلة في بلاد الموصل والجزيرة ، فحكم الأراتقة
أتابكيات ماردين وحصن كيفا وخرتبرت في ديار بكر ، على حين حكم عماد
الدين زنكي وبنوه أتابكيات الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر .

حرص الأتابكة على توطيد سلطانهم ، فبادروا بالقضاء على حركات التمرد .

والعصيان التي قامت ضدهم ، واستعانوا برجال تمكنوا من معادتهم
الوقوف في وجه أعدائهم ومنافسيهم في السياسة والحكم .

على أن أتابكة الموصل والجزيرة كانوا لا يعهدون لأحد بالحكم
بعدهم ، مما أدى إلى حدوث نزاع حول تولي السلطة بعد وفاتهم . وعلى الر
من أن كثيراً منهم عهد لمن يخلفهم ، فإن بعض الأمراء تطلع للحكم ،
ترتب عليه حدوث اضطرابات داخلية ، أضعفت من شأن هذه الدول .

ومما أدت إلى ضعف هذه الدول وانهارها في النصف الثاني من ال
الشابع الهجري تعرضها للغزو المغولي ، فاستولى المغول على الموصل
٦٦١ هـ (١٢٦٢ م) ، ونكّلوا بسكانها ، كما استولوا على سنجار أثناء حصار
الموصل وأغاروا على إربل واحتلوها أثناء حصارهم بغداد . أما أتابكة
ماردين ، فقد أرغمها هولاكو على الدخول في طاعته . على أن أتابكة
خرتبرت لم تتعرض للغزو المغولي ، فقد استولى عليها سلاجقة الروم
٦٦٠ هـ - (١٢٦٢ م) .

تأظهر أتابكة الموصل والجزيرة الطاعة والولاء للخلفاء العباسيين
بغداد ، على الرغم من حدوث بعض الخلافات بينهم ، كما ظلوا على و
للسلاطين السلاجقة حتى نهاية عهدهم . على أن هذا الأمر لم يقف
بين أتابكة الموصل والجزيرة وبين تحقيق سياستهم الرامية إلى توسيع
دولتهم فانتسعت أملاك عماد الدين زنكي بن آقسنقر حتى أصبح سيداً
شمال العراق وأطراف آسيا الصغرى وبعض مدن الشام ، كما أن
الدين كوكبوري - أتابك إربل - كان يقدم على كثير من المخاط
والمغامرات في سبيل توسيع رقعة دولته .

على أن بنى أيوب عولوا على السيطرة على بلاد الموصل والجز
فأرغم صلاح الدين يوسف بن أيوب أتابكة الموصل وسنجار
وجزيرة ابن عمر على الدخول في طاعته ، كما أن خلفاءه حرصوا على ال

على هذه البلاد، وامتد نفوذهم إلى أتابكيات ديار بكر.

لم يأل أتابكة الموصل والجزيرة جهداً في دفع الخطر الصليبي عن البلاد الإسلامية، ففي بداية أمرهم تمكنوا من صد هجمات الفرنجة المتتالية عن الشام والعراق، ولما علا شأن الأتابكة وقوى بأسهم، وكثر جندهم، تحول موقفهم من الدفاع إلى الهجوم، فأغاروا على الإمارات الصليبية، بل واتزعوا مدن الفرنجة، كما حدث في عهد ايلغازي بن أرتق - أمير ماردين - وعماد الدين زنكي بن آقسنقر - أتابك الموصل.

ويمكن القول بأن موقف أتابكة الموصل والجزيرة من الصليبيين بعد بداية للجهود التي بذلها الأيوبيون والمماليك من بعدهم في سبيل إجلاء الصليبيين نهائياً عن البلاد الإسلامية.

قامت أتابكيات الموصل والجزيرة في ديار ربيعة وديار مصر وديار بكر نسبة إلى القبائل العربية ربيعة ومضر وبكر التي نزلت إقليم الجزيرة قبل الإسلام، وكانت كل من هذه الأتابكيات ينقسم إلى عدد من البلدان، على أن هذا التقسيم لم يكن ثابتاً بل تعرض للتغيير من وقت إلى آخر ذلك، لأن الأتابكة دأبوا على توسيع ممتلكاتهم على حساب الدول المجاورة لهم.

استعان الأتابكة في إدارة دولهم بعدد من الموظفين، نخص بالذكر منهم النائب والوزير والوالي والشحنة، كما وزعوا الأعمال الإدارية على عدة دواوين ومن أهمها ديوان الرسائل، وديوان الجيش، وديوان البريد، وعلى الأتابكة إلى جانب ذلك زيادة موارد دولهم المالية، وتنظيم إنفاق هذه الموارد.

وقد بدأت البحث بتمهيد أوضحت فيه العوامل التي أدت إلى قيام دول أتابكة الموصل والجزيرة، كما عנית يبحث الحالة السياسية في بلاد الموصل والجزيرة خلال العصر الأتابكي، فأشرت فيه إلى سياسة الأتابكة في توحيد

سلطانهم ، والأحداث الداخلية في دول الأتابكة والعوامل التي أدت إلى ضعف هذه الدول وانهارها .

كذلك تناولت بالبحث علاقة أتابكة الموصل والجزيرة بالخلفاء العباسيين وبالسلطين السلاجقة ، والجهود التي بذلها الأتابكة في سبيل توسيع ممتلكاتهم ، وأوضحت علاقة الأتابكة بيني أيوب حتى دخولهم في طاعة السلاطين والأمراء الأيوبيين .

ومن الموضوعات التي عنتت ببحثها ، العلاقات الخارجية لدول أتابكة الموصل والجزيرة ، أوضحت فيها الجهود التي بذلها أتابكة الموصل والجزيرة لدرء الخطر الصليبي عن بلاد الشام ، كما أشرت إلى عدم استطاعة الأتابكة التصدي لخطر المغول ، بل ودخولهم في طاعتهم ، وسقوط بلادهم في أيدي المغول ، البلدة تلو الأخرى .

وكان لتطور النظم الإدارية والمالية في دول أتابكة الموصل والجزيرة نصيب كبير من عنايتي ، فتحدثت عن التقسيم الإداري في هذه الدول . والدواوين التي اختصت بالشئون الإدارية ، كما تحدثت عن الموارد المالية لهذه الدول ونظام إنفاق هذه الموارد على مصالحها .

وأخيراً أجد لزاماً علي أن أتوجه بالشكر إلى أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور محمد جمال الدين سرور رئيس قسم التاريخ وأستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب - جامعة القاهرة على ما بذله من جهد ، وأنفقه من وقت في توجيهي الوجهة العلمية السليمة ، وإنتي أعتر بل وأفخر بأن أكون من تلاميذ مدرسته .

والله أسأل أن يوفقني متابعة البحث في تاريخ الإسلام وحضارته .

المؤلف

بحث في مصادر الكتاب

من الكتب الهامة التي أفادتني في موضوع بحثي كتاب « التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل » - لعز الدين بن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ ، وتنحصر أهميته في أن مؤلفه ينتمى إلى أسرة التحقت بخدمة أتابكة الموصل فكان ابن الأثير - والد عز الدين - رئيس ديوان خراج جزيرة ابن عمر في عهد قطب الدين مودود - أتابك الموصل . كما أن مجد الدين أبو السعادات ، وضياء الدين وهما أخوة هذا المؤلف وليا ديوان الإنشاء لبعض أتابكة الموصل ، ومن ثم فإن كتاب « التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية » يمدنا بمعلومات قيمة عن قيام أتابكيات الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر ، والأحداث الداخلية في هذه الأتابكيات كما يوضح سياسة أتابكة الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر في توطيد سلطانهم كذلك تناول بأسهام علاقة هؤلاء الأتابكة بالخلفاء العباسيين والبلاد الإسلامية المجاورة . ولم تقتصر أهمية هذا الكتاب عند هذا الحد ، بل أفادتني في دراسة موضوع الوظائف والدواوين الإدارية لهذه الأتابكيات كما أوضح لي الموارد المالية لهذه الأتابكيات ومصارفها .

يأت بعد ذلك مصدر ذو أهمية خاصة اعتمدت عليه في بحثي عن أتابكيات ديار بكر ، وهو كتاب « الكامل في التاريخ » ، لعز الدين بن الأثير فقد أفادتني هذا الكتاب في دراسة قيام أمراء بني أرتق بحكم أتابكيات حصن كيفا وماردين وخرتبرت ، وعلاقة هذه الأتابكيات بأتابكيات الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر وإربل . وأمدني إلى جانب ذلك بمعلومات قيمة عن الجهود التي بذلها أتابكة الموصل وديار بكر لإجلاء الصليبيين عن بلاد الشام .

وهناك كتاب آخر رجعت إليه له أهمية كبيرة في بحثي وهو كتاب « مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب » ، لابن واصل المتوفى سنة ٦٩٧ هـ وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أن مؤلفه أرخ للدولة الأيوبية منذ قيامها إلى نهايتها في تفصيل واف ، وتحقيق شامل دقيق ، فاتصل بمعظم ملوكهم

في الشام ومصر ، وبكثير من علماء وأدباء هذه الدولة . وقد أمدني هذا الكتاب بمعلومات وافية عن علاقة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بأتابكة الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمرو وإربل ، ودخول هذه الأتابكيات في طاعته . كما أفادني هذا الكتاب في دراسة موقف الملك العادل ابن أيوب وغيره من سلاطين بني أيوب ، من أتابكة الموصل والجزيرة . كذلك اعتمدت على هذا الكتاب في دراسة موقف نور الدين محمود بن زنكي من أتابكة الموصل ، وموقف أتابكة الموصل من الإمارات الإسلامية والصليبية في بلاد الشام .

كذلك رجعت إلى كتاب « الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية » ، لأبو شامة المتوفى سنة ٦٦٥ هـ (١٢٦٧ م) في دراسة العوامل التي أدت إلى قيام دول أتابكة الموصل والجزيرة والسياسة التي اتبعها هؤلاء الأتابكة في توطيد سلطانهم ، وعلاقتهم بالأيوبيين ، كما أمدني ببعض المعلومات عن موارد دول أتابكة الموصل والجزيرة ومصارفها .

ومن المصادر التي رجعت إليها في دراسة العلاقات الخارجية لدول أتابكة الموصل والجزيرة ، كتاب « ذيل تاريخ دمشق » لابن القلانسي الذي ولى بعض الوظائف الرئيسية في مدينة دمشق ، عاصر خلالها الحروب الصليبية الدائرة على أرض الشام ، لذلك اشتمل هذا الكتاب على أخبار هذه الحروب ، ودور أتابكة الموصل وديار بكر فيها ، ويتضمن هذا الكتاب مقتطفات من كتاب التاريخ المنسوب للفارقي الذي عاش في ديار بكر ، وعاصر فترة من حكم بني أرتق فيها . لذلك رجعت إليه في دراسة قيام أتابكيات كيفا وماردين وعلاقتها بالبلاد المجاورة .

كذلك رجعت إلى كتاب « زبدة الحلب » في تاريخ حلب ، لكمال الدين ابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦٢ م) في دراسة علاقة أتابكة الموصل والجزيرة بالبيزنطيين والصليبيين ، ولم تقتصر أهمية هذا الكتاب عند هذا

تلخيد ، بل أفادني في دراسة العلاقات السياسية لدول أتابكة الموصل والجزيرة
بالبلاذ الإسلامية المجاورة .

يأتى بعد ذلك كتاب له أهمية خاصة في دراستي لموضوع ، علاقة الخلفاء
العباسيين بأتابكة الموصل والجزيرة وهو كتاب ، المنتظم في تاريخ الملوك
والأمم ، لابن الجوزى .

ومن الكتب التي رجعت إليها في دراسة دخول بلاد الموصل والجزيرة
تحت لواء السلاجقة ، وعلاقة ذلك بقيام نظام الأتابكة ، كتاب راحة
الصدور وآية السرور ، للراوندى ، المتوفى سنة ٥٩٩ هـ ، وكتاب ، تاريخ
دولة آل سلجوق ، للبندارى ، وكتاب ، أخبار الدولة السلجوقية ، المنسوب
إلى ناصر الحسيني من كتاب القرن السابع الهجرى .

أما سبط بن الجوزى المتوفى سنة ٦٥٤ هـ صاحب كتاب ، مرآة الزمان
في تاريخ الأعيان ، فقد أمدني بمعلومات وافية عن علاقة أتابكة الموصل
والجزيرة بالبلاذ الإسلامية المجاورة ، كما تضمن إشارات عن التنظيمات
الإدارية والمالية لدول أتابكة الموصل والجزيرة ، ومما يذكر لهذا المؤلف
أن كتابه يقع في أربعين مجلداً ، نقل فيه الكثير عن جده ابن الجوزى
ومصادر أخرى .

ومن بين الكتب التي رجعت إليها كتاب ، عقد الجمان في تاريخ أهل
الزمان ، لبدر الدين محمود العيني المتوفى سنة ٨٥٠ هـ ، وترجع أهمية هذا
الكتاب إلى أن صاحبه نقل عن مؤرخين بعض كتبهم اندثروا من بينهم ابن الجوزى
وابن العميد . وقد أفادني هذا الكتاب في دراسة علاقة دول أتابكة الموصل
والجزيرة بالبلاذ الإسلامية المجاورة وبالأيوبيين وموقف هؤلاء الأتابكة
من حركة الجهاد التي خاضها المسلمون ضد الصليبيين .

ولكتاب ، العبر وديوان المبتدأ والخبر ، لابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ هـ
أهمية خاصة لموضوع بحثي ، فقد أفرد ابن خلدون في هذا الكتاب فصلاً
عن بني أرتق ، أوضح فيه الأحداث التي أدت إلى قيام أتابكيات بالبلاذ

الإسلامية المجاورة ، كما أفادني هذا الكتاب في دراسة العوامل التي أدت إلى ضعف أتابكيات الموصل والجزيرة وزوالها .

أما أبو الفدا ، المتوفى سنة ٧٣٢ هـ فقد اشتمل كتابه المختصر في تاريخ البشر ، على معلومات غزيرة أفادتني في موضوع بحثي ، فاعتمدت عليه عند دراسة السياسة الداخلية لدول أتابكة الموصل والجزيرة وعلاقة الأتابكة بالخلفاء العباسيين والسلاطين السلاجقة ، وموقف بني أيوب من الأتابكة ، وعلاقة الأتابكة بالبيزنطيين وسعيهم إلى إجلاء الصليبيين عن بلاد الشام . ومن الكتب الهامة التي اعتمدت عليها في دراسة علاقة المغول بأتابكة الموصل والجزيرة ، وخضوع هذه البلاد لسلطان المغول ، كتاب د تاريخ المغول ، لرشيد الدين فضل الله ، فقد شغل منصب الوزارة في الامبراطورية المغولية في فارس فترة من الوقت ، لذلك ألم هذا المؤلف بالكثير من أخبار المغول ، وما يذكر لرشيد الدين أنه اشتغل بتصنيف كتب في الفلسفة والطب والتاريخ . توفي سنة ٧١٦ هـ (١٣١٦ م) .

كذلك أفادني كتاب ذيل مرآة الزمان لقطب الدين البعلبكي ، في موقف أتابكة الموصل والجزيرة من الخطر المغولي والظروف التي أدت إلى خضوعها للمغول . وأفادني كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ في دراسة بعض جوانب الحياة السياسية في بلاد الموصل والجزيرة في العصر الأتابكي ، فقد تضمن هذا الكتاب تراجم لأتابكة ووزراء هذه البلاد . أوضح فيها نشاطهم السياسي ، والجهود التي بذلوها لتنظيم إدارة بلادهم . ومن أهم الكتب التي أفادتني في دراسة التنظيمات الإدارية في دول أتابكة الموصل والجزيرة ، كتاب معجم البلدان لياقوت ، المتوفى سنة ٦٢٦ هـ فقد وصف إقليم الجزيرة الذي قامت فيه دول الأتابكة وصفاً دقيقاً ، وأوضح أسماء المدن والبلدان الواقعة في هذا الإقليم وقد أفادني ذلك عند دراسة التقسيم الإداري في دول الأتابكة .

تمهيد

قيام دول أتابكة الموصل والجزيرة
في أواخر العصر العباسي

الباب الأول

الموقف السياسي الداخلي في دول أتابكة الموصل والجزيرة.

- ١ - سياسة أتابكة الموصل والجزيرة في توطيد سلطانهم .
- ٢ - الأحداث الداخلية في دول الأتابكة .
- ٣ - انحلال دول أتابكة الموصل والجزيرة وزوالها .

تمهيد

قيام دول أتابكة الموصل الجزيرة في أواخر العصر العباسي

انتزع السلاجقة بلاد الموصل والجزيرة من أمراء بني عقيل، كما استولوا على ديار بكر التي كان يحكمها بنو مروان، ففي سنة ٤٧٧ هـ (١٠٨٤ م) سیر السلطان السلجوقي ملکشاہ عمید الدولة بن فخر الدولة بن جہیر إلى الموصل للاستيلاء عليها، فحاصرها حتى طلب أميرها — شرق الدولة مسلم ابن قريش العقيلي الأمان في مقابل تسليم المدينة (١)، فأمنه القائد السلجوقي، واستولى على أموال و ذخائر الأمير العقيلي، غير أن السلطان ملکشاہ مالبث أن أعاد الموصل إليه (٢).

اعترض السلطان ملکشاہ على تولية إبراهيم بن قريش الموصل بعد مقتل أخيه مسلم، وأسند ولايتها إلى أبي عبد الله محمد بن مسلم، وأضاف إليه الرحبة وحران وسروج وبلد والخابور، غير أن بني عقيل رفضوا تدخل السلاجقة في تنصيب أمير عليهم، وأبقوا على إبراهيم بن قريش حتى سنة ٤٨٢ هـ (١٠٨٩ م)، فاستدعاه ملکشاہ، واعتقله، وأنفذ وزيره فخر الدولة بن جہیر إلى الموصل حيث استولى عليها (٣).

لما توفي السلطان ملکشاہ سنة ٤٨٥ هـ (١٠٩٢ م) أطلق سراح إبراهيم ابن قريش بشفاعة زوجته صفية عمه السلطان السلجوقي (٤)، وسارت مع

(١) كان الأمير قسيم الدولة آقستق — والد عماد الدين زنكي — أحد قادة هذا الجيش، وانضم إليه الأمير أرتق بن أكسب — جد أمراء بني أرتق — على رأس جمع كبير من التركان، ولما اشتد الحصار على أهل الموصل أرسل إليهم ينصحهم بالدخول في طاعة السلطان، ويحذروهم من عاقبة العصيان، فقبلوا نصحه، وسلموا الموصل إلى القائد السلجوقي.

(٢) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٥.

(٣) تاريخ الفارقي، ص ٢٢١.

(٤) ابن خلدون: المعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٢٧٠.

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٢٣.

ابنها علي بن مسلم إلى الموصل ، فنازعه أخوة محمد في حكمهما ، ودار بينهما قتال انتهى الأمر فيه بهزيمة محمد ، ثم انتزع أخوه علي الموصل من ابن جهيز وتولى حكمها (١) .

علي أن علي بن مسلم سرعان ما نزل عن حكم الموصل لعمه إبراهيم ابن قريش . وبذلك أمتد نفوذه إلى سائر بلاد بني عقيل ، لكن السلاحيقة عولوا على استعادة الموصل ، فطلب تاج الدولة تتش من صاحبها أن يقيم الخطبة له (٢) ، ولما رفض إبراهيم بن قريش ، توجه تاج الدولة إلى نصيبين (٣) ، واستولى عليها عنوة من نائب صاحب الموصل (٤) ، ثم قصد الموصل ، واشتبك في معركة مع إبراهيم بن قريش انتهت بهزيمة ومقتله ، وأعاد السلطان السلجوقي الموصل وأعمالها سنة ٤٨٦ هـ (١٠٩٣ م) إلى علي بن مسلم (٥) .

لكن الأمور في الموصل لم تستقر لبني عقيل ، فحدث نزاع بين محمد ابن مسلم العقيلي — صاحب نصيبين — وعلي بن مسلم — أمير الموصل — فاستعان محمد بن مسلم على أخيه بالأمير السلجوقي كربوقا (٦) ، فسار إلى حران واستولى عليها ، ثم توجه إلى نصيبين ، وغدر بصاحبها وانتزعها

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبدأ والخروج ٤ ص ٢٧٠ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٨٦ هـ .

(٣) مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على الطريق من الموصل إلى الشام وفيها وفي قرأها بساكن كثيرة ،

(٤) ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٢٩٢ .

(٥) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٦٥ .

(٦) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٢ .

(٦) كان ملكشاه قد أقطع مدينة دمشق وأعمالها وما جاورها كطبرية وبيت المقدس لتاج الدولة تتش ، فلما توفي ملكشاه طمع تاج الدولة في السلطنة ، فسار إلى حلب وأخذها ثم عاد إلى الشام ، واشتبك في قتال مع بركياروق — ابن أخيه — بالقرب من حلب ، انتصر فيه تتش ، واعتقل قواد بركياروق ومن بينهم الأمير كربوقا الذي ظل معتقلا حتى أفرج عنه الملك رضوان بعد قتل أبيه تاج الدولة .

(٦) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٦٦ .

منه (١) ، واتجه بعنذلك إلى الموصل فحاصرها (٢) ، ولم يستطع الأمير العقيلي الدفاع عنها ، ففارقها ، واستولى عليها كربوقا سنة ٤٨٩ هـ (١٠٩٥ م) . وبذلك آلت الموصل وأعمالها إلى الدولة السلجوقية (٣) .

كذلك عمل السلاجقة على انتزاع ديار بكر من الأمير أبي المظفر منصور بن مروان منذ أن وليها سنة ٤٧٢ هـ (٩٧٠ م) (٤) ، فأمر السلطان ملكشاه وزيره نضر الدولة بن جهمير بالاستيلاء على ديار بكر ، وإقامة الخطبة له ، ونقش اسمه على السكة ، فسار إليها سنة ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م) وضم السلطان إليه جيشاً بقيادة الأمير أرتق بن أكسب ، فغنى الأمير المرواني إلى شرف الدولة مسلم — صاحب الموصل وطلب منه أن يعاونه ضد من يحاول مهاجمته (٥) ، على أن يسلم إليه آمد ، فأجابه إلى طلبه ، واتفقا على محاربة فخر الدولة ، واشتبك الفريقان في قتال على مقربة من آمد انتهى الأمر فيه بانتصار القائد السلجوقي وعاد شرف الدولة منهزماً إلى بلاده (٦) .

امتد نفوذ ابن جهمير إلى آمد ثم ميفارقين ، كما استولى على أموال بني مروان ، وأرسلها إلى السلطان السلجوقي (٧) ، ثم أنفذ جيشاً إلى جزيرة ابن عمر — وهي لبني مروان — فضمها إلى حوزته ، كما بسط نفوذه على

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٨٩ هـ .

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ١٧ .

(٤) أول من حكم ديار بكر من بني مروان أبو علي الحسن عقب مقتل خاله بساذ الكردي — سنة ٣٨٠ هـ أثناء محاولته الاستيلاء على الموصل ، تزوج الأمير المرواني من امرأة خاله ، وتوجه إلى حصن كيفا ، وحكمه ثم بسط نفوذه على سائر ديار بكر ولما توفي تعاقب بنوه على حكم ديار بكر حتى استولى عليها السلاجقة سنة ٤٧٨ هـ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٣٨٠ هـ ، ٤٧٨ هـ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١٢ .

Ency: of Islam: Art Marwanids.

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١٢ .

(٧) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٨ .

معظم قلاع وحصون ديار بكر ، وقد أحسن ابن جبير إلى أهلها ، ورفع عنهم ما كانوا يعانونه من المظالم (١) .

لما حل الضعف بالدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه ، استقل كل أمير بولايته ، فانقسمت الدولة السلجوقية إلى دويلات مستقلة . ومع ذلك ظل أمراؤها يظهرن الولاء والطاعة للسلطان السلجوقي .

اتخذ كل أمير من هؤلاء الأمراء قائداً تركياً يقوم بتدريب أبنائه على فنون الحرب والقتال ، وأساليب الإدارة والحكم ، يسمى أتابك . أى الأمير الوالد (٢) ، فلما عين عماد الدين زنكى أتابكاً على الموصل ، كان مؤدباً لصغيرين من أولاد السلطان السلجوقي محمود (٣) ، غير أنهما لم يقوما بإدارة شئون البلاد (٤) .

أستأثر الأتابكة بالنفوذ دون الأمراء بسبب ما كانوا يتمتعون به من سلطة أبوية ، ومما ساعد على ازدياد نفوذهم أن الأتابك كان يتزوج من أم الأمير السلجوقي المتوفى ، ويتزوج الأمير الجديد من ابنة الأتابك ، وقد يسر ذلك للatabكة إقامة أسرات حاكمة مستقلة في بلاد الموصل والجزيرة (٥) .

ففي الموصل مكن السلاجقة عماد الدين زنكى من حكمها . ذلك أن أباه قسيم الدولة آقسنقر كان مملوكاً تركياً من ممالك السلطان السلجوقي ألب أرسلان ، ثم صار من أعيان دولة ابنه السلطان ملكشاه وأكابر أمرائه وبلغ من علومه ونزاهته عنده أن لقبه قسيم الدولة (٦) . ثم عهد إليه بولاية

(١) تاريخ الفارقي ص ٢١٦ .

(٢) أنا معناها بالتركية أب وبك أمير .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ص ١٠٥ .

(٤) ابن الفلانى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٧ .

(٥) Cambridge Medieval History. Vol. 4. P. 316

Cibb . Damascus Chronicle of Crusaders. P. 23

(٦) ابن الأثير : التاريخ الناصر في الدولة الأتابكية ص ١٠٥ .

بعد جلب أن زال سلطان بني عقيل عنها سنة ٤٧٩هـ (١١٨٣ م).

لما توفي السلطان ملكشاه سنة ٤٨٥هـ (١٠٩٢ م)، خرج آفستقر على طاعة السلطان السلجوقي تاج الدولة تتش، لكنه مالبث أن قضى عليه سنة ٤٨٧هـ (١٠٩٤ م)، وباستمر على أملاكه. وبذلك حرم عماد الدين زنكي ابن آفستقر من أملاك أبيه (٢).

اجتمع بمالك آفستقر حول عماد الدين زنكي (٣)، وأحاطه الأمير كربوقا — الذي استولى على الموصل — برعايته، وضم ممالكه إلى جنده وأقطعهم الإقطاعات واستعان بهم في حروبه، واشترك عماد الدين مع كربوقا في غزو آمد (٤). ولم يزل زنكي في خدمة كربوقا حتى وفاته سنة ٤٩٦هـ (١١٠٢ م) (٥).

ذاع صيت عماد الدين زنكي لما أبداه من الشجاعة أثناء قتال الصليبيين فقد اشترك مع مودود — أمير الموصل — في مهاجمة طبرية (٦)، وقاتل الفرنجة على باب هذه المدينة (٧)، وكافأه السلطان السلجوقي محمد، بأن أسند إليه شحنكية (٨) البصرة وواسط سنة ٥٠٧هـ (١١١٣ م) (٩).

(١) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٦٥ — ٦٦

(٢) المقرئى: السلوك لمعرفة دول الملوك، القسم الأول، ج ١ ص ٢٣

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٨٩هـ: ٥.

Lane Poole: Saladin. P. 35.

(٤) أعظم مدن ديار بكر، وأجلها قدراً، وأشهرها ذكراً وهو بلد حصين ركين، تحيط به دجلة بشكل شبه مستدير كالحلال.

(٥) لما هاجم كربوقا آمد واشتد القتال وكثرت جموع التركان التي كربوقا عماد الدين زنكي بين أرجل الخيل، وقال لجنده: «قاتلوا عن ابن صاحبكم» فحين أذن اشتد قتالهم، وقوى حماسهم وانتهت المعركة باستيلاء كربوقا على آمد.

(٦) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٦٦

Lane-Poole: Saladin. P. 37

(٧)

Zoe Olden Bourg. Les Croisades. P. 278

(٨)

(٨) الشحنة: رياسة الشرطة، أو الأمير المشرف على حراسة المدينة أو محافظها.

المقرئى: السلوك لمعرفة دول الملوك، القسم الأول ج ١ ص ٣٥.

(٩) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٢٤.

ولما ولي السلطان محمود الحكم أقر أخاه الملك مسعود مع أتابكة جيوش بك في إمارة الموصل ، غير أنه ما لبث أن خرج على السلطان بتحريض من أتابكة الذي خطب له بالسلطنة ، مما ترتب عليه قيام حرب بينهما حلت فيها الهزيمة بمسعود وأتابكة (١) . ثم عفا السلطان عنهما ، وولى آقسنقر البرسقي على الموصل سنة ٥١٥هـ (٢) (١١٢١ م) وأضاف إليه الجزيرة وسنجار ونصيبين وغيرها من أعمال الموصل (٣) .

اشترك عماد الدين زنكي في الحروب التي دارت بين آقسنقر البرسقي (٤) ودبيس بن صدقة (٥) صاحب الحلة — وانتهت بهزيمة (٦) دبيس ، ولما استقر رأى آقسنقر على العودة إلى الموصل طلب من عماد الدين زنكي أن يصحبه في المسير إليها لكنه رفض وقال لأصحابه : قد ضجرنا مما نحن فيه ، كل يوم قد يملك البلاد أمير ، وتؤمر بالتصرف على اختياره وإرادته ، ثم تارة بالعراق ، وتارة بالموصل وتارة ببلاد الجزيرة ، وتارة بالشام (٧) ، ثم قدم على السلطان محمود ، فأكرم وفادته ، وتوثقت بينهما عرى الصداقة ، كما اتصل في نفس الوقت بالخليفة المسترشد واكتسب وده واحترامه (٨) .

Setton : A Hist. of the Crusades. Vol. 1. P. 170 (١)

(٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٣

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣٠

(٤) كان الأمير آقسنقر البرسقي في خدمة السلطان محمود ناصحاً له ، ملازماً له في حروبه كلها وهو الذي أصبح بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود ، ولما ولاه السلطان الموصل أمره بمجاهدة الفرنجة ، وقد أصلح أمر الموصل في فترة ولايته عليها .
(ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٥هـ) .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣٠

(٦) نشبت حرب بين دبيس بن صدقة وبين الخليفة العباسي المسترشد سنة ٥١٦هـ ، انضم فيها البرسقي — صاحب الموصل — وعماد الدين زنكي إلى الخليفة العباسي ، فانهزم دبيس ، وذهب إلى البصرة ، ودخلها ونهبها وهاجها ، فأمر الخليفة البرسقي بحفظ البصرة فسار إليها وانتزعها من دبيس ، وولى عليها عماد الدين زنكي :

(Zoe Olden Bourg : Les Croisades. P. 276)

(٧) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٢٧

(٨) Lane Poole . Saladin. P. 35

لما هاجم أنصار ديبس بن صدقة صاحب - الحلة - البصرة . وعاثوا فيها فساداً ، أعاد السلطان تولية زنكى شحنة لها ، فسار إليها ، واستطاع أن يصد المغيرين عنها ، ويعيد الأمن إلى نصابه ، فعظم شأنه عند السلطان وأسند إليه شحنة العراق ، وفوضها إليه مضافة إلى ما لديه من الإقطاع (١) أما فيما يتعلق بامارة الموصل ، فانه بعد مقتل البرسقي سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) خلفه في حكمها ابنه عز الدين مسعود ، وأقره السلطان على ممتلكات أبيه ، فضبط البلاد ، وأحسن إلى الأهلىن ، وكان يساعده في الحكم الأمير جاولى - أحدهما لك أبيه - (٢) .

على أن عز الدين مسعود ما لبث أن توفي ، وخلفه في ولاية الموصل أخ له ، وظل جاولى يتولى مهام الحكم في البلاد نيابة عنه . وأرسل إلى السلطان محمود القاضي بهاء الدين أبا الحسن تلى بن الشهرزورى ، وصالح الدين محمد الياغيسيانى يطلب إقرار الأمير الجديد على ما يليه من البلاد ، وبذل فى سبيل ذلك كثيراً من الأموال (٣) . بيد أن السلطان محمود كان قد أصدر مرسوماً بتسليم ديبس بن صدقة الموصل ، وأعد العدة للمسير إليها ، لكن الخليفة المسترشد عارض توليته ، وترددت الرسائل بينهما وبين السلطان بتولية زنكى (٤) . فلقيت هذه الفكرة قبولاً من الرسولين ، ذلك أنهما كانا ينحشيان جاولى ويرفضان الدخول فى طاعته ، وطلباً من أنوشروان ابن خالد - وزير السلطان محمود - تولية زنكى الموصل لأنه يستطيع الدفاع عن بلاد الموصل والجزيرة بعد أن ازدادت هجمات الصليبيين عليها (٥) ، فأبلغ الوزير ذلك إلى السلطان ، فاستدعاهما ليقف بنفسه على

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٢١ هـ .

ابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج ٤ ص ٦١
Zoe Olden Bourg : Les Croisades. P. 278

(٢) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٢٤٩

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ٤٣ - ٣٥

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٧٩

(٥) العيني : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان ج ١٢ ورقة ٤ .

رأيهما في زنكى ، فتحدثا عن كفايته وشجاعته ، فوافق على توليته الموصل
وبعث في طلبه حيث سلبه منشورا بذلك ، وسير معه إلى الموصل وإليه
ألب أرسلان وفروخ شاه المعروف بالحنفاجى ليشرف على تربيتهما (١) .
ولهذا قيل له الأتابك (٢) .

سار زنكى قاصداً الموصل ، فدخلها دون أن يتعرض له جاولى بل
دخل في خدمته (٣) ، فأقطعه زنكى الرحبة وأعمالها ، وسيره إليها ، وأقام
هو بالموصل ليرتب أمورها ، فجعل نصير الدين جقر نائبا له ، وصلاح
الدين الياغيسىانى أمير حاجب ، وبهاء الدين الشهرزورى قاضيا لقضاة
بلاده مكافأة لهم على جهودهم في توليته الحكم (٤) .

ظلت سنجان تتبع أتابكية الموصل حتى وفاة صاحبها قطب الدين
مودود سنة ٥٦٥ هـ (١١٦٩ م) ، إذ استقل بها ابنه الأكبر عماد الدين
زنكى ، ذلك أن أباه لم يعهد له بالحكم ، إنما عهد إلى ابنه الآخر سيف الدين
غازى ، فسار عماد الدين زنكى بن مودود إلى عمه نور الدين محمود فى
بلاد الشام ليعينه على أخذ الملك لنفسه ، فاستجاب له ، وسار إلى بلاد
الجزيرة حيث ضم الرقة إلى حوزته ، ثم زحف إلى الحابور وفتحها ، كما
استولى على نصيبين وسنجان (٥) ، وولى ابن أخيه عماد الدين زنكى ابن
مودود على هذه البلاد التى استولى عليها (٦) .

كذلك تمكن نور الدين محمود من الاستيلاء على الموصل وأقر أتابكها

(١) ابن العماد الحنبلى شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ج ٤ ص ١٢٨

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٨٠

(٣) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٦

(٤) Lane Poole ; Mohammedan Dynasties P. 162 - 163

(٥) ابن قاضى شهاب : السكواكب الدرية فى السير النورية ورقة ١٤٨

(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٥٣ .

سيف الدين غازي بن مودود عليها ، وأضاف إليه جزيرة ابن عمر (١) ،
واشترط عليه أن يكون طوع إرادته .

أقام عماد الدين زنكي بن مودود أتابكية مستقلة عن الموصل في سنجار
مما ترتب عليه ظهور الشقاق بين أفراد البيت الأتابكي (٢) ، وعبر عن ذلك
القاضي جلال الدين الشهرزوري بقوله : « وفي هذا طريق إلى أذى يحصل
لبيت الأتابكي لأن عماد الدين زنكي كبير ، لا يرى طاعة أخيه سيف الدين
وسيف الدين هو الملك ، لا يرى الإغناء لعماد الدين ، فيحصل الخلف ،
وتطمع الأعداء » (٣) .

لما شعر سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود بدنو أجله سنة ٥٧٦ هـ
(١١٨٠ م) ، أشار عليه كبار رجال دولته ، بأن يعمد بالإمارة من بعده إلى
أخيه عز الدين مسعود لكفايته وحسن تصريفه الأمور ، بدلا من ابنه
معز الدين سنجر شاه الذي لم يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، وكان ذلك في
الوقت الذي قويت فيه شوكة صلاح الدين الأيوبي (٤) في بلاد الشام ،
فاستجاب له ، وأقطع ابنه سنجر شاه جزيرة ابن عمر ، فأقام بها أتابكية
مستقلة ، عرفت باسم أتابكية الجزيرة سنة ٥٧٦ هـ (٥) (١١٨٠ م) .

كذلك قامت أتابكية مستقلة في إربل سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) ، كانت
في بداية الأمر ملكا لأبي الهيجاء الكردي الهذباني ، ثم آلت إلى ورثته من
بعده ، واستولى عليها السلاجقة فيما بعد ، وحكمها مسعود بن محمد بن ملكشاه
صاحب مراغه - قبل توليته السلطنة - وفي سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١ م) سار

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان . القسم الأول ج ٢ ص ٢٨٢

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٦٦ هـ .

(٣) أبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٥٢

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٦ هـ .

(٥) ابن العبري : تلويح مختصر الدول ص ١٨١ .

إليها عماد الدين زنكى ، وهاجمها وظل يحاصرها حتى قصدها السلطان مسعود من مراغة ، فرحل عنها ونزل الزاب وترددت الرسل بينهما ثم اتفقا على أن يعاون زنكى السلطان في إقامة الخطبة له في بغداد وسائر العراق ، في مقابل أن ينزل له عن أربل — غير أن عماد الدين زنكى لم يلبث بعد أن آلت إليه هذه المدينة أن أقطعها للأمير زين الدين على كجك بن بكتكين (١) الذى ضم إلى حوزته بلادا أخرى ، مثل شهر زور وملحقاتها ، وقلاع الهكارية والحيدية وتكريت وسنجار وحران وقلعة الموصل .

ولما تقدمت به السن وعجز عن مباشرة مهام الحكم ، نزل عن البلاد التى فى حوزته فيما عدا أربل إلى قطب الدين مودود (٢) .

انقسمت أسرة بنى أرتق إلى فروع حكمت ماردین ، وحصن كيفا ، وخر تبرت . وتنسب إلى أرتق بن أكسب — أحد ممالك السلطان ملكشاه — فقد ولاه حلوان وما إليها من أعمال العراق (٣) ، ولم يستمر فى ولايته طويلا ، إذ فارق فخر الدين بن جبير — وزير ملكشاه — بعد غزوه آمد سنة ٤٧٦ هـ (١٠٨٣ م) وسار إلى الشام حيث التحق بخدمة السلطان تاج الدولة تنش ، فولاه القدس بعد أن استولى عليها (٤) .

لما توفى أرتق بن أكسب خلفه ابنه سقمان وإيلغازى فى حكم بيت المقدس ، وظلت على هذه الحال حتى انتزعها الوزير الفاطمى الأفضل ابن بدر الجمالي سنة ٤٩١ هـ (١٠٩٧ م) ، فخرج سقمان وإيلغازى إلى العراق ، فأسند السلطان محمد إلى إيلغازى شحنة بغداد ، أما سقمان ، فسار إلى الرها

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٣٥

(٢) نفس المصدر السابق .

Lane Poole : The Mohammedan Dynasties. P. 165

(٣) ابن خلکان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٧١

(٤) ابن خلکان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧١

وحدثت بينه وبين كربوقا — صاحب الموصل — فتن وحروب . ولما توفي كربوقا ، خلفه موسى التركماني — نائبه على حصن كيفا (١) — ، فزحف إليه جكرمش — صاحب جزيرة ابن عمر — وحاصره بالموصل (٢) ، فاستنجد بسقمان ، ووعدته بأعطائه حصن كيفا ، فسار إليه ، وأنقذه من جكرمش وجنده واستولى على حصن كيفا سنة ٤٩٥ هـ (١١٠١ م) (٣) ، وأقام بها أمارة صغيرة توارث حكمها بنوه (٤) .

تعاقب بنو أرتق على حكم حصن كيفا حتى وليه نور الدين محمد بن قرا أرسلان سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٦ م) ، وكان حليفاً لصلاح الدين الأيوبي ، واشترك معه في حصار الموصل ، على أن يساعده في الاستيلاء على آمد (٥) ، فعاونته في حصارها وأخذها من وزيرها ابن نيسان سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٠ م) ، وضمها إلى دولته (٦) . وبذلك اتسع نطاق أتابكية حصن كيفا .

أما ماردین وأعمالها فكانت تتبع السلطان برکیاروق ثم أقطعها لأحد مماليكه ، ولما حاصر كربوقا — صاحب الموصل — مدينة آمد . استنجد صاحبها بسقمان — صاحب حصن كيفا — فأنجده ، واشتبك في عدة معارك مع كربوقا ، انتهت بهزيمته ، وأسر ابن أخيه ياقوتي ، ولما اشتدت غارات الأكراد على ماردین ، وعجز صاحبها عن صدم ، طلب ياقوتي منه إطلاق سراحه ، على أن يساعده في صد غارات الأكراد ، فأجاب طلبه ، وشرع

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٤٩٥ هـ .

(٢) Runciman : A History of the Crusades Vol. 2. P. 168

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٧

(٤) زامباور : معجم الأنساب ج ٢ ص ٣٤٤ .

(٥) ابن خلدون : المعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢١٢ .

(٦) Cambridge Medieval History Vol. 4 P. 317

ياقوتى فى شن الغارات على الأكراد، وتمكن من الاستيلاء على ماردين (١) ولم يكتف بذلك، بل اعتزم التوسع فى منطقة الجزيرة، فسار إلى نصيبين واستولى عليها، ثم قصد جزيرة ابن عمر، لكن صاحبها جكرمش، أوقع به الهزيمة وقتله (١). على أن ماردين لم تستمر طويلاً فى حوزة جكرمش فقد انتزعها منه سقمان صاحب حصن كيفا (٢) — ثم آل حكمها بعد وفاته سنة ٤٩٨ هـ (١١٠٤ م) إلى أخيه إيلغازى بن أرتق وأقام بها أتابكية مستقلة عن كيفا، توارث أبناؤه ولايته (٤).

وكان يحكم ميفارقين السلطان قلج أرسلان بن سليمان بن قلمش، ثم استولى عليها الأمير سكران — صاحب خلاط (٥) — سنة ٥٠٢ هـ (١١٠٨ م) وأحسن معاملة أهلها، وخفف عنهم عبء الضرائب وعين عليها والياً من قبله.

وفى عهد هذا الوالى طمع أمراء البلاد المجاورة فى ميفارقين وانتزعوا بعض أراضيتها، فرأى السلطان أن يسند ولايتها إلى حاكم آخر يدعى إيلغازى فضبط أمورها ونشر العدل بين أهلها (٦)، ولما توفى سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) ولى ابنه تمر تاش حكم ماردين، على حين استقل ابنه الآخر سليمان بحكم ميفارقين (٧).

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، حوادث سنة ٤٩٥ هـ.

(٢) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢١٤.

لما اعتزم سقمان بن أرتق الانتقام لابن أخيه، أراضاه جكرمش — صاحب الموصل ببعض المال، على أن سقمان انتزع ماردين من على الذى خلف أخاه ياقوتى فى حكم ماردين — لدخوله فى طاعة جكرمش. وقال إنما أخذتها لثلا يخرب البيت، وأقطعه جبل جور بالقرب من ماردين. (ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٩٥ هـ).

(٣) Cambridge Medieval History Vol. 4 P. 317

(٤) زامباور: معجم الأنساب ج ٢ ص ٢٤٥.

(٥) قصبة أرمينية الوسطى (ياقوت: معجم البلدان ج ٣ — ٤٥٣).

(٦) ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق ج ١٧١.

(٧) ابن الوردي: تكملة المختصر فى تاريخ البشر ج ١ ص ٨٨.

أما عن حصن كيفا وآمد ، فإن أميرهما نور الدين محمد توفى سنة ٥٨٧هـ
(١١٨٥ م) وخلفه ابنه الأكبر قطب الدين سقمان على الرغم من أن عماد
الدين — أخو نور الدين محمد — كان مرشحا للإمارة ، إلا أنه لم يتمكن
من توليتها ، لاشتراكه وقتذاك مع صلاح الدين الأيوبي في حصار الموصل
فلما بلغه ما حدث ، سار إلى حصن كيفا ، غير أنه لم يتمكن من الاستيلاء
عليه فقصده خرتبرت وضمها إلى حوزته ، وكون بها إمارة ، توارث
أبناءؤه حكمها (١) .

(١) ابن خلدون : المعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢١٨ .

الباب الأول

الموقف السياسي الداخلي في دول أتابكة الموصل والجزيرة

١ - سياسة أتابكة الموصل والجزيرة في توطيد سلطانهم :

حرص أتابكة الموصل والجزيرة على توطيد سلطانهم، فبادروا بالقضاء على حركات التمرد والعصيان التي قامت ضدهم، ففي سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) أعلن والي حلب - سليمان بن إيلغازي بن أرتق - العصيان على أبيه إيلغازي - صاحب ماردين وحلب (١) - فلما علم بذلك أسرع في السير إلى حلب (٢)، وشرع في مهاجمتها (٣) بما حمل أبنة سليمان على الخروج إليه معتذراً (٤)، فعفا عنه (٥)، وقبض على المشتركين معه في الفتنة وعادت المدينة إلى طاعته وأتاب بحلب ابن أخيه عبد الجبار بن أرتق، ولقبه بدر الدولة. ثم عاد إلى ماردين (٦).

كذلك حاول سودكين الكرجي الاستقلال عن إمارة عماد الدين زنكي صاحب الموصل - على الرغم من أن زنكي أقطعه حران سنة ٥٢٢ هـ (١١٢٨ م) كما انضم إلى الخليفة العباسي المسترشد أثناء حصاره الموصل سنة ٥٢٧ هـ (١١٣٢ م)، وعين والياً من قبله على حران، فأحبط زنكي محاولته بأن أرسل جيشاً إلى حران سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م)، تمكن من

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ.

(٢) ابن التديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٠٠ - ٢٠١

(٣) Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 P. 161

(٤) ابن العبري . تاريخ مختصر الدول ص ٣٥١ ١٧٩

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٩

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ.

استعادتها ، وانتزاع قلعتها من واليها (١) .

وفي سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) خرج أهل الحديثة على طاعة عماد الدين زنكى ، فأرسل جيشاً كبيراً إليهم (٢) ، وحاصر البلدة ، ولم يزل يحاصرها حتى استعاد نفوذه عليها (٣) .

لما قتل عماد الدين زنكى سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) ، استرد حسام الدين تمر تاشى - صاحب ماردین - مدينة دارا التي كان زنكى قد استولى عليها غير أن سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى - أتابك الموصل - مابث بعد ثلاث سنوات أن تمكن من ضمها الى حوزته ، كما استولى على كثير من أعمال ماردین (٤) .

سار قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى - أتابك الموصل - على سياسة أبيه في القضاء على حركات التمرد والعصيان ففي سنة ٥٢٢ هـ خرجت عليه جزيرة ابن عمر (٥) ، فقد كانت إقطاعاً للأمير أبى بكر الدينى . ولما توفي هذا الأمير ، تحصن بها أحد مماليكه ، فسار إليها قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكى وحاصرها عدة شهور حتى استعادها (٦) .

كان زين الدين على - نائب قطب الدين مودود - أتابك الموصل - قد أسند ولاية تكريت (٧) للغلام له ، يدعى تبر (٨) ، فلما اعتزل عمله

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أبوب ج ١ ص ٨٤

(٢) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٠

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ

(٤) ابن الأثير التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٩٠

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٧٦

(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١١٢ - ١١٣

(٧) كانت تكريت إقطاعاً لزين الدين على

(٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٦٧

بالموصل ، وانتقل إلى إربل ، وآلت البلاد التي كانت في حوزته إلى قطب الدين مودود ، امتنع تبر عن تسليم تكريت فأجاب طلبه ، خشية أن ينزل عنها للخليفة العباسي (١) .

ولما توفي تبر ، خلفه إخوته في حكم تكريت ، غير أن الخلاف والشقاق ما لبث أن وقع بينهم ، وعجزوا عن حكمها كما أن قطب الدين مودود - أتابك الموصل - لم يحاول استعادتها (٢) .

ولما آلت أتابكية الموصل إلى سيف الدين غازي بن مودود سنة ٦٥٠ هـ (١١٦٩ م) ، أعلن الأمير شهاب الدين محمد بن بوزان - وإلى شهرزور - استقلاله لعداوة كانت بينه وبين مجاهد الدين قياز - نائب سيف الدين غازي بن مودود أتابك الموصل - فأرسل إليه رسولا من قبله ومعه كتاب يحثه فيه على القدوم إلى الموصل ، وترك التمرد والعصيان (٣) . وكان لهذا الكتاب أثر بالغ في نفس شهاب الدين ، فتوجه إلى الموصل ، ودخل في ضاعة أتابكها (٤) .

استعان أتابكة الموصل والجزيرة برجال تمكنوا من معاوتهم في توطيد سلطانهم ، والوقوف في وجه أعدائهم ومنافسيهم في السيادة والحكم ، فقد استناب عماد الدين زنكي - أتابك الموصل - نصير الدين جقر بن يعقوب الهمداني (٥) فسيطر على شؤونها الداخلية (٦) ، واستطاع أن يقف في وجه الخليفة العباسي المسترشد حين هاجم بلاده سنة ٥٢٧ هـ (١١٣٢ م) (٧) ، كما

(١) نفس المرجع السابق ج ٣ ص ١٦٧

(٢) ابن خنكسان : وفیات الأعيان ج ٣ ص ١٦٧

(٣) ابن الأثير : الذريع الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٧٨

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٢ هـ .

(٥) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٥٢

(٦) ابن خنكسان : وفیات الأعيان ج ١ ص ٣١٥

(٧) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١

ضد الأكراد الذين عاثوا فساداً في بلاد الجزيرة ، واستولى على بعض بلادهم (١).

كذلك علا شأن زين الدين علي بن بكتكين الذي جعله عماد الدين زنكى نائبا له سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) ، وامتد نفوذه إلى إربل (٢) وشهرزور وقلاعها وجميع قلاع الهكارية (٣) ، كما ضم إليه السلطان السلجوقي مسعود سنة ٥٤٤ هـ تكريت وحران وسنجار (٤).

أبقى سيف الدين غازي بن زنكى — أتابك الموصل — زين الدين علي نائبا له ، واتخذ وزيراً له يدعى جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني . وظل الحال على ذلك حتى ولي قطب الدين مودود بن زنكى سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) أتابكية الموصل . فأقرهما في عملهما (٥) ، وقد أثار ازدياد نفوذهما حقد بعض الأمراء ، فأرسلوا إلى نور الدين محمود بن زنكى — صاحب الشام — يطلبون منه القدوم اليهم ، وحكم بلادهم ، فاستجاب لهم وقصد الموصل (٦) . ولما علم قطب الدين مودود بن زنكى — أتابك الموصل — بذلك ، اعتزم الوقوف في وجه أخيه ، فسار على رأس جيش كبير إلى بلاد الشام ، ولما اقترب هذا الجيش من تلك البلاد ، أرسل إلى نور الدين ينكر عليه محاولة الاغارة على بلاده ، ويهدد بمحاربته إن لم يرجع عنه (٧) . غير أن الوزير جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني أشار بالصلح (٨) ، واستطاع أن يصلح بين الأخوين (٩) ،

- (١) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٠
- (٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٤٤
- (٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١
- (٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٦
- (٥) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٦٠
- (٦) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٤
- (٧) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١١٩
- ابن قاضي شهنشه : السكواكب الدورية في السيرة النورية ورقة ١٤٨
- (٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ
- (٩) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١١٩

كان الوزير جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني كثير البر والصدقات كما قام بكثير من الإصلاحات في الموصل وسنجار ونصيبين وجزيرة ابن عمر (١)، وكانت الموصل في أيامه ملجأ لكل ملهوف ، ومأمن لكل خائف (٢)، وبلغ من علو منزلته أن قطب الدين مودود — أتابك الموصل — جعله مشرف مملكته كلها ، غير أن خواص قطب الدين مودود أوغروا صدره عليه ، فأمر بحبسه ، مما ترتب عليه حدوث بعض الاضطرابات في أتابكية الموصل (٣) .

كذلك استناب سيف الدين غازي بن مودود — أتابك الموصل — مجاهد الدين قيمان — وفوض إليه الحكم في سائر أتابكياته ، كما قام بإدارة شؤون أتابكيتي الجزيرة واربيل نيابة عن أميريهما (٤) . غير أن سيف الدين غازي مالبت أن قبض عليه بتحريض من بعض خواصه ، فاضطربت البلاد ، وطمع فيها الطامعون (٥) ، فأرسل الخليفة العباسي جيشا ، استولى على دقوقا (٦) ، واستقل زين الدين علي بن بكتكين باربيل ومعز الدين سنجر شاه بالجزيرة (٧) ، ولم يستطع عز الدين مسعود — أتابك الموصل — السيطرة على أتابكياته ، فأطلق سراج مجاهد الدين قيمان ، وأعادته نائباً له (٨) .

اتخذ سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود — أتابك الموصل — جلال الدين أبا الحسن علي بن جمال الدين وزيراً له سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ م) .

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الثاني ج ٨ ص ٢٤٨

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٢١٩-٢٢٠

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية . ص ١١٨ - ١١٩

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١٥٤ - ١٥٥

(٦) مدينة بين بربيل وبنغداد (ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ١١٦)

(٧) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٧١

(٨) حلدون . المعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٠١

وفوض إليه كافة أمور الدولة (١) ، فأظهر كفاية في مباشرة مهام عمله . وإداره البلاد غير أن سيف الدين غازي قبض عليه بتحريض من بعض أخصائه سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٧ م) ثم أطلق سراحه ، فذهب إلى آمد (٢) .

كما كان لبدر الدين لؤلؤ — نائب نور الدين أرسلان شاه الأول ابن مسعود — أتابك الموصل — أثر كبير في توطيد سلطانه ، فأسند إليه إدارة الجيوش والعساكر وسياسة القبائل والعشائر (٣) ، وأوصاه بأن يدبر أمر ابنه عز الدين مسعود الثاني بعد وفاته . . ولما توفي أرسلان شاه الأول تصدى بدر الدين لؤلؤ لمعاونة عز الدين مسعود الثاني في توليته أتابكية الموصل ، ولم يمكن عنه عماد الدين زنكي — صاحب قلعتي العقير وشوش (٤) من انتزاع الحكم من الأتابك الجديد . ثم عين بدر الدين لؤلؤ نور الدين أرسلان شاه الثاني أتابكاً على الموصل بعد وفاة عز الدين مسعود وحرص على عدم تحقيق أطماع أمراء البلاد المجاورة في أتابكية الموصل (٥) ثم انفرد بحكم هذه الأتابكية وظل يلى أمورها حتى وفاته سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) ، فخلفه ابنة الملك الصالح ركن الدين إسماعيل ، وهو آخر أتابكتها (٦) .

كذلك حرص أتابكة حصن كيفاً على الاستعانة برجال أكفاء تمكنوا بمعاوتهم من توطيد سلطانهم ، فاستعان فخر الدين قرأ أرسلان — أتابك

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٥٤

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧١ هـ

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٢٠٣

(٤) إحدى قلاع الموصل .

(٥) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ١ ص ٢٥٧

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخير ج ٥ ص ٢٦٩ .

(٦) رشيد الدين فضل الله الهمذاني : جامع النوارينج — تاريخ المغول المجلد الثاني

ج ١ ص ٣١٧

حصن كيفا - بنور الدين محمود - صاحب لشام - في صد المغيرين على إمارته . ولما عهد إلى ابنه محمود ، اعزم أن يؤمنه في دولته بعد توليته الحكم ، فأوصى نور الدين محمود بأن يصد الأعداء عن ابنه (١) فأجاب طلبه (٢) .

على أن بعض أتابكة الموصل والجزيرة لم يقبل سيطرة النواب والوزراء على شؤون الحكم ، فلما توفي إيلغازي الثاني بن أبي بن تيمورقاش - صاحب ماردين سنة ٥٧٥ هـ (١١٧٩ م) ، خلفه ابنه بولق أرسلان - وكان طفلاً صغيراً - فقام بتدبير أمور أتابكته وزير أبيه - نظام الدين - ولما توفي بولق خلفه أخوه الأصغر - ناصر الدين أرتق - ، فظل تحت وصاية الوزير نظام الدين حتى سنة ٦٠١ هـ (٣) (٢٢٠٤ م) . حيث عول على استعادة نفوذه وسلطانه في إمارته ، فدبر مؤامرة للتخلص من نظام الدين ، كما خارب أنصاره ، وأوقع بهم الهزيمة . وتمكن بذلك من أن يصبح الحاكم الفعلي في أتابكته (٤) .

٢ - الأحداث الداخلية في دول الأتابكة

كان الخلاف والنزاع كثيراً ما يظهر في دول الأتابكة حول الحكم مما أضعف من شأن هذه الدول . فبعد مقتل عماد الدين زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل (٥) - اضطرب الجند ، وقصدوا خيمة الملك ألب

(١) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١٥٣ - ١٥٤

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٢ هـ

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢١٨ - ٢١٩

(٤) سبط ابن الجوزي : مآة الزمان في تاريخ الأعيان ، القسم الثاني ج ٨ ص ٥١٨

(٥) كلل عماد الدين زنكي أتابكاً له

أرسلان بن محمود (١)، ونادوا به أميرا على الموصل (٢)، لكن وزراء زنكي بذلوا قصارى جهدهم للاحتفاظ بالملك في بيته، وأنهى وزيراه جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني، وصلاح الدين الأيوبي العداء التي كانت بينهما (٣)، وأرسل جمال الدين إلى صلاح الدين يقول: «إن المصلحة أن نترك ما كان بيننا وراء ظهورنا، ونسلك طريقا يبقى به الملك في أولاد صاحبنا، ونعمر بيته جزاء لإحسانه إلينا، فاستجاب صلاح الدين له، وتصافيا ومن ثم استطاعا الحيلولة دون تولية ألب أرسلان الموصل، وتنصيب سيف الدين بن عماد الدين زنكي، أتابكا عليها (٤) وقد أشاد ابن الأثير (٥) بالدور الذي قام به جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني وزير زنكي — لإبقاء حكم الموصل في بيته، فقال: «فانظر إلى فعل جمال الدين وحسن عقله وكمال مروءته، ورعايته لحقوقه وخدمته وإحسانه وهذا المقام الذي ثبت فيه، يعجز عنه عشرة ألف فارس».

لم يحكم سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي دولة أبيه كلها، بل وفي أخوه نور الدين محمود بعض نواحيها، وامتدت أضاعه إلى (٦) ولاية حلب وشجعه على ذلك أسد الدين شيركوه (٧) فقال له: «قد رأيت أن أصيرك إلى حلب، وتجعلها كرسى ملكك، ونجتمع في خدمتك عساكر

(١) ابن الفلاني، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٥

Setton : A History of the Crusades. vol.I p.462 .

(٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١١٥

ابن حنبل : وقفيات الأعيان ج ٣ ص ١٧٦

(٣) ابن واصل : مفرج السكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٨ - ١٠٩

Runciman : A History of the Crusades. vol .S p.239

(٤) أبو شامة . الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١٢١ - ١٢٢

(٥) ابن الأثير . التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٦

(٦) نفس المصدر

Lane Poole ; Saladin. p.60

(٧) ابن هبشي شبيه الكواكب الدرية في السيرة النورية ورقة ٤

الشام ، وأنا أعلم أن الأمر يعير جميعه إليك ، لأن ملك الشام يحلب ومن ملك حلب استظهر على بلاد الشرق (١) ، ولم يلبث نور الدين محمود بن زنكي أن سار قاصداً حلب (٢) وضمها إلى حوزته ، كما استولى على حماة وحمص وحران وحصن وجميع ما كان بيد أيه من بلاد الشام (٣) .

لما استقر سيف الدين غازي بن زنكي في حكم الموصل سار إلى بلاد الشام لإقرار أخيه على البلاد التي وليها على اعتبار أنه الوريث الشرعي لملكه أبيه (٤) ، وقد تبودلت المراسلات بين الأخوين في هذا الصدد ، وعلى الرغم من أن سيف الدين غازي بن زنكي أنابك الموصل - استمال أخاه ، فإن نور الدين محمود بن زنكي لم يسرع في القدوم إليه خشية منه ، ولما التقيا تعرف نور الدين محمود على أخيه (٥) . فقبل الأرض بين يديه ، ودخل في خدمته - فأقره على ما يده من بلاد الشام (٦) ، وعاد سيف الدين غازي إلى الموصل ونور الدين محمود إلى حلب (٧) .

لم يترك سيف الدين غازي ولداً يخلفه في الحكم ، فلما توفي سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م) ، اتفق كبار رجال دولته على تولية أخيه قطب الدين (٨) محمود ، لما عرف عنه من كرم الأخلاق ، وأقسموا له يمين الولاء والطاعة ، كما أقسم لهم أن يحكم بالعدل ، وتسلم جميع ما كان بيد سيف الدين من البلاد (٩) .

(١) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١١١

(٢) ابن الأثير : السكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٢ هـ

أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٩

(٣) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ١١٥

(٤) Runciman: A History of the Crusades vol.2 p.241

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٨

(٦) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١٢٢

(٧) Zee'olden Bourg; Les Croisades. p.338

(٨) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٨

ابن واصل : منرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١١٧

(٩) ابن الأثير : السكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ

أوصى قطب الدين مودود قبل وفاته سنة ٥٦٥ هـ (١١٦٩ م) بالملك بعده لابنه عماد الدين زنكى - وهو أكبر أولاده (١) - ثم عدل عنه إلى ابنه الآخر سيف الدين غازى ، والذي عاونه النائب فخر الدين فى تولية الملك بعد وفاة أبيه وأحضر الأمراء والأجناد واستحلفهم له ، ذلك أنه كان يبعض عماد الدين بن قطب الدين مودود بن زنكى ، لأنه كان طوع وإرادة عنه نور الدين محمود بن زنكى الذى اعترض على بقاء هذا النائب فى الموصل (٢).

اعترض عماد الدين زنكى بن مودود على تحويل الملك منه إلى أخيه وطلب من عمه نور الدين (٣) محمود بن زنكى أن يعاونه فى تمكينه من حكم الموصل (٤) ، فاستجاب له (٥) واضطر صاحبها سيف الدين بن قطب الدين مودود بن زنكى إلى الاستنجاد بشمس الدين أيلدكز - صاحب همذان والجبل وإذربيجان وأصفهان والرى - فأنفذ رسولا إلى نور الدين محمود يحذره من المسير إلى الموصل (٦) فاستاء نور الدين من هذه الرسالة ، وقال للرسول قل لصاحبك : أنا أصليح لأولاد أخى منك (٧).

ولما تمكن من الاستيلاء على الموصل ، أبقى سيف الدين غازى بن مودود

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٧٤

(٢) Runciman; A History of the Crusades. vol.2 p. 390

(٣) ابن قاضى شهبه : السكوك الدرية فى السيرة النورية ورقة ١٤٨

(٤) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٠١

(٥) نفس المصدر.

(٦) كذلك قال نور الدين محمود للرسول قل لصاحبك : « ولم تدخل نفسك يدينا ، وعند الفراغ من إصلاح بلادهم يكون الحديث معك على باب همذان فإنا قد ملكنا هذه المملكة العظيمة ، وأهملت الثغور ، حتى غلب الكرج عليها ، وقد بايت أنا ولى مثل ربيع بلادك بالفرنج - وهم أشجع العالم - ولا يحل لى السكوت عنك ، فإنه يجب علينا القيام بحفظ ما أهملت وإزالة الظلم عن المسلمين ».

(٧) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٢ ص ١٩٢

أتابكا عليها (١) ، وجهد إلى أخيه عماد الدين زنكي بن مودود بحكم سنجار وأضاف إليه الرقة ونصيبين والخابور (٢) .

لم يعهد سيف الدين غازي بن مودود بأتابكية الموصل من بعده لابنه الأكبر معز الدين سنجر شاه ، لأنه كان حدثاً لا يتجاوز الثانية عشرة من عمره ، في الوقت الذي قويت فيه شوكة صلاح الدين الأيوبي في بلاد الشام ، وخشى أن تمتد أطماعه إلى الموصل ، فعهده إلى أخيه عز الدين مسعود ، لما عرف بحكمته من حسن السياسة ، وولى ابنه بعض البلاد (٣) ، وأمرهما أن يكونا طوعاً وإرادةً عهما عز الدين مسعود (٤) ، فلما توفي سيف الدين غازي سنة ٥٧٧ هـ (١١٨١ م) ركب عز الدين مسعود إلى دار الأتابكية ، وتولى مقاليد الأمور في أتابكية الموصل (٥) .

على أن معز الدين سنجر شاه لم يعمل بوصية أبيه ؛ بل أوقع بينه وبين جيرانه فحاصره صاحب الموصل ، وضيق عليه الحصار ، واعتزم أخذ الجزيرة منه ، فلما عجز سنجر شاه عن الدفاع عن أتابكيتيه ، سأل العفو والصفح ، فأجاب طلبه وأنعم عليه ، وأمنه ، وأقره على بلده ثم عاد إلى الموصل (٦) .

على أن معز الدين سنجر شاه لما لبث أن عاد سيرته الأولى ، وأساء إلى عمه ، وعلى الرغم من ذلك فقد تغاضى أتابك الموصل عن أخطائه (٧) .

(١) ابن العماد الجنبلي ؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٤ ص ٢١٦ .

(٢) البافعي ؛ مرآة الجنان وعبرة اليقظان ج ٣ ص ٤٠٧ .

(٣) تاج الدين شاهنشاه بن أيوب ؛ تاريخ حماة ص ٣٧٧ .

(٤) ابن العماد الجنبلي ؛ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٤ ص ٢٤٨ .

(٥) ابن العبري ؛ تاريخ مختصر الدول ص ٢٧٩ .

(٦) ابن الأثير ؛ الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٧٧ هـ .

(٧) قال عز الدين مسعود : « ما يمنعني من أخذ بلده ، والحجر عليه ، إلا الخوف من »

الملك ، لأنني فعلت ذلك شرها علي ما بيده ، وإلا كنت فعلت معه ما يستحقه . »

(ابن واصل ؛ مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٩٧)

ولما أحس عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود ، بدنوا أجله ،
أوصى بأتابكية الموصل من بعده لولده نور الدين أرسلان شاه ، فاعترض
أخوه شرف الدين على ذلك ، وطلب منه أن يوليه أتابكية الموصل ، وأعد
جنداً لتحقيق هذه الغاية (١) .

ولكن مجاهد الدين قيمانز — نائب الموصل — لم يمكنه من تحقيق
غرضه ، فأسرع في أخذ البيعة لنور الدين أرسلان شاه . وكان لذلك أثر
سريع في جند شرف الدين ، فانفضوا من حوله . ولم يمض غير قليل حتى
توفي عز الدين مسعود ، واستقر نور الدين في الحكم (٢) .

عهد نور الدين أرسلان شاه الأول بن مسعود بالحكم من بعده إلى ابنه
عز الدين مسعود الثاني (٣) ، وأخذ له البيعة من الجند وكبار رجال
الأتابكية (٤) ، وأقطع ولده الأصغر عماد الدين زنكي بعض القلاع ، وأسند
إلى بدر الدين لؤلؤ تدير مقاليد الأمور (٥) في أتابكية الموصل .

ولما توفي الملك القاهر عز الدين مسعود سنة ٦١٥ هـ (١٣١٨ م) عمل
بدر الدين لؤلؤ على تولية ابن هذا الأتابك ، كان (٦) أبيه ، وأقام له الخطبة
ونقش اسمه على السكة ، وأرسل إلى الخليفة العباسي الناصر لدين الله ، يطلب
التهليل له (٧) ، كما بعث إلى أمراء البلاد المجاورة يطلب منهم تجديد العهد
للأتابك الجديد الذي توطدت سلطاته بعد أن وصل إليه تقليد من الخليفة
العباسي .

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٩٩ .

(٢) نفس المصدر .

(٣) ابن واصل : هرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٣ ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

(٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٩٩ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٠٨ هـ .

(٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٦ ص ٢٣٥ .

(٧) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٢٥ .

لم يرض عماد الدين زنكى بن نور الدين أرسلان شاه الأول عن تولية ابن أخيه أتابكية الموصل ، وعول على الاستقلال ببعض القلاع التي أقطعت له بؤدار القتال بينهما . واستعان عماد الدين زنكى بمظفر الدين كوكبورى بن زين الدين — صاحب أربل — لمحاول بدر الدين لؤلؤ أن يثنيه عن اعزازه (١) . غير أن مظفر الدين أصر على الوقوف إلى جانب عماد الدين زنكى ، الذى ما لبث أن أوقع الهزيمة بجند الموصل ، وأرغمهم على الارتداد على أعقابهم منهزمين (٢) .

كان لهذا الانتصار الذى أحرزه عماد الدين زنكى أثر بالغ فى نفسه فأرسل إلى سكان قلاع الهكارية والزوزان ، يطلب منهم الدخول فى طاعته (٣) ، فأجابوا طلبه ، وعين ولاية من قبله (٤) .

لم يأتى بدر الدين لؤلؤ خروج قلاع الهكارية والهادية والزوزان من يده واتفاق مظفر الدين ، وعماد الدين عليه ، وسعيهما إلى الاستيلاء على بلاده ، وتعرضهما لأطرافها بالنهب والأذى ، أرسل إلى الملك الأشرف برسبى بن العادل — صاحب ديار الجزيرة وخراسان — يطلب منه العون والتأييد ، فوافق الأشرف على مساعدته فى استعادة البلاد التى أخذت منه (٥) .

أرسل الملك الأشرف إلى مظفر الدين كوكبورى ، يحذره من مغبة تأييده لعماد الدين زنكى ، ويطلب منه إعادة ما أخذ من قلاع الموصل ، وقال : « لنجعل شغلنا جمع العساكر ، وقصد الديار المصرية ، وإجلاء

(١) ابن خلدون : المعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٢٩

(٢) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٢ ص ١٢٧ .

(٣) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٤٠٥ - ٤٠٦

(٤) ابن الأثير : السكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦١٦ هـ .

(٥) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٤٠٥

الفرنج عنها قبل أن يعظم خطيئهم ويستطير شرهم ، (١) .

لم يستجيب مظفر الدين كوكبوري لتحذير الملك الأشرف له ، وانضم إليه ناصر الدين محمود - صاحب حصن كيفا وآمد - وكذلك صاحب ماردين ، فأرسل الأشرف جيشاً إلى نصيبين لمعاونة بدر الدين لؤلؤ (٢) .

أما عن مرقف عماد الدين زنكي بن أرسلان شاه الأول ، فإنه أرسل فرقاً من جنده للإغارة على أعمال الموصل ، غير أن بدر الدين لؤلؤ أوقع به هزيمة ساحقة (٣) ، واضطره إلى الفرار هو وجنده إلى إربل ، وجاءت الرسل من قبل الخليفة الغياثي الناصر لدين الله ، والملك الأشرف موسى بن العادل الأيوبي ، واستطاعت عقد صلح بين بدر الدين لؤلؤ وعماد الدين زنكي (٤) .

كذلك اعترض عماد الدين زنكي على تولية ناصر الدين محمود أتابكية الموصل ، وعاد إلى التمرد والعصيان ، وأغاثه على ذلك مظفر الدين كوكبوري - أتابك إربل - وأغار جندهما على أطراف (٥) الموصل ، فاستعان بدر الدين لؤلؤ بمحمد الملك الأشرف بن العادل الأيوبي المرابطين في نصيبين ، ودار قتال بين الفريقين ، انتهى بعقد صلح بينهما ، تضمن أن يحتفظ كل منهما بما تحت يده من البلاد (٦) . غير أن هذا الصلح لم يستمر طويلاً ، فعاد النزاع بين بدر الدين لؤلؤ ، وعماد الدين زنكي سيرته الأولى ، مما اضطر

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦١٦ هـ

أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٣١

(٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٤٠٤

(٣) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٢٨

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٧٠

(٥) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٢٨

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦١٦ هـ

بدر الدين إلى الاستنجاد بالملك الأشرف بن العادل الأيوبي الذي كان وقتذاك بحلب ، فقدم إليه (١) .

أما مظفر الدين كوكبوري فإنه استطاع أن يضم إليه أمراء الجزيرة في صراعه ضد صاحب الموصل ، وحليفه الملك الأشرف بن العادل ، كما استمال بعض أمراء الملك الأشرف بن العادل الأيوبي . وقد أغار هؤلاء جميعاً على قرى وأعمال الموصل ، غير أن بدر الدين لؤلؤ سرعان ما تمكن من صد هجماتهم (٢) .

لما قدم الملك الأشرف بن العادل الأيوبي الموصل بعد أن استولى على سنجار وفد إليه رسل الخليفة ، ومظفر الدين ، وعقدين الفريقين صلح ، استرد بمقتضاه بدر الدين لؤلؤ بعض القلاع . ولم يمض غير قليل حتى انتهت فتنة عماد الدين زنكي ، واسترد بدر الدين جميع القلاع التي كانت في حوزته (٣) .

لم يستمر سكان قلعة العمادية على ولائهم لبدر الدين لؤلؤ بل خرجوا عليه بزعماء أولاد خواجه ، وأرسلوا إلى عماد الدين زنكي يطلبون منه القدوم إليهم ، ومنعوا أصحاب بدر الدين لؤلؤ من البقاء بينهم ، بل تحصنوا في القلعة ، فحاصروهم جند بدر الدين ، وقطعوا الميرة عنهم ، فاضطروا إلى التسليم ، ثم عفا بدر الدين عن مثيري الفتنة (٤) .

كذلك حدث في سنجار نزاع بين أفراد البيت الأتابكي حول الحكم ، مما عرض هذه الأتابكية لاضطرابات داخلية ، فلم يكدر يتولى شأهنا

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٧٢

(٢) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٣١

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦١٥ هـ

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٢٢ هـ

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٧٤ .

ابن قطب الدين محمد الحكم في سنجار حتى نازعه أخوه عمر ، ثم عمل على التخلص منه ، وخافه ، غير أنه ما لبث أن اضطر إلى تسليم سنجار إلى الملك الأشرف بن الملك العادل الأيوبي (١) ، وأخذ الرقة عوضاً عنها (٢) ، لكنه لم يستمر طويلاً في حكمها فقد انتزعها منه الأيوبيون ، وتوفي بعد قليل (٣) .

ولم يكن في أتابكية إربل نظام ثابت لتولي الحكم ، فلما توفي زين الدين على كجك — أتابك إربل — سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) خلفه ابنه مظفر الدين أبو سعيد ، لكن نائبه مجاهد الدين قهار عزله ، وولى مكانه أخاه زين الدين أبا المظفر يوسف (٤) ، وظل يحكمها حتى وفاته سنة ٥٨٦ هـ (١١٩٠ م) فطلب أخوه مظفر الدين من صلاح الدين الأيوبي إعادته إلى إربل ، فأقره عليها مقابل نزوله له عن حران والرها ، وأضاف إليه شهرزور وأعمالها (٥) .

لم يرهن أهل إربل عن تولية مظفر الدين عليهم ، فسكاتبوا مجاهد الدين قهار ، يطلبون منه القدوم إلى بلادهم وتسليمها ، لكنه خشي من صلاح الدين وبذلك أن يخلف مظفر الدين أن يوطد سلطته في إربل (٦) . على أن هذه المدينة لم تبلغ أوجها إلا في عهد هذا الأمير ، فزاد في رفعتها بأن ضم إليها إقليم شهرزور بما فيه كركوك (٧) .

-
- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦١٦ هـ
 (٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الثاني ج ٨ ص ٦٠٩
 (٣) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٣١ .
 (٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٣٦ .
 (٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٣
 (٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨٦ هـ .
 ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٤٣٥ .
 (٧) Encyc. of Islam; Art Irbil.

لم يكن لمظفر الدين وارث يخلفه في الحكم ، فأوصى بإمارته من بعده إلى الخليفة العباسي المستنصر (١) ، فلما توفي سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣١ م) ، آلت السيادة عليها إلى هذا الخليفة ، فولى عليها أبا المعالي محمد بن نصر ابن صلايا (٢) .

كذلك حدثت خلافات في أتابكية حصن كيفا حول ولاية الحكم ، ففي سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) لم يتمكن عماد الدين أبو بكر بن قرا أرسلان من تقلد الإمارة ، على الرغم من أنه كان مرشحاً لها بعد أخيه نور الدين محمد - صاحب حصن كيفا - ذلك أن قطب الدين سقمان - أكبر أبناء هذا الأمير (٣) ، انتبهز فرصة غياب عمه عماد الدين أبو بكر بن قرا أرسلان ، وأعلن نفسه أميراً على حصن كيفا ، فاستاء من ذلك عماد الدين ، وعول على المسير إلى حصن كيفا للاستحراذ عليه من ابن أخيه (٤) ، غير أنه لم يتمكن من تحقيق غايته ، فاستولى على خربتوت ، وولى حكمها (٥) .

لم يعهد قطب الدين سقمان - صاحب حصن كيفا - لأخيه محمود من بعده ، على الرغم من أحقيته في الإمارة إذ كان شديد الكراهية والبغضاء له ، كما لم يعهد لأحد من أفراد أسرته ، بل عهد إلى أحد مماليكه ، ويدعى إياس ، وزوجه أخته ، فلما توفي خلفه إياس ، غير أن أهل حصن كيفا لم يرضوا بانتقال الحكم من بني أرتق إلى أحد المماليك ، وأنفوا من ذلك ، والتفوا حول محمود أخو قطب الدين ، وتنادوا به أميراً عليهم ، فسار إلى آمد على رأس جمع كبير من أنصاره ، ولما عجز إياس عن صدم ، اضطر

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٤٣٥

(٢) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٧٣ .

(٣) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٧٣

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨٦ .

إلى تسليم البلدة لهم ، فاستولى عليها محمود ، كما استولى على حصن كيفا سنة ٦١٩ هـ (١) (١٢٢٢ م) . وبذلك آلت إليه الأتابكية التي كان يليها أبوه .

كذلك تعرضت أتابكيات الموصل والجزيرة لفتن داخلية أضعفت من شأنها ، فعلى الرغم من أن عماد الدين زنكى بن آقسنقر - أتابك الموصل - كان يظهر طولاء والطاعة للسلطان السلجوقي ألب أرسلان (٢) ، ويكتب الرسائل باسمه ، ويقم الخطبة له ، وينقش اسمه على السكة ، ويعتزم أن يخطب له بالسلطنة في الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان مسعود ، إلا أن ألب أرسلان لم يكن وفياً لأتابكته (٣) ، فوجه اهتمامه إلى استعادة نفوذه في الموصل ، منتهزاً فرصة غياب عماد الدين زنكى بن آقسنقر ، وحرصه على قتل نصير الدين جقر - نائب أتابك الموصل - فوافقهم على ذلك (٤) .

استاء أنصار نصير الدين جقر من مؤامرة ألب أرسلان ، فقاتلوا رجاله قتالا شديداً (٥) ، وفي نفس الوقت عمل القاضي تاج الدين يحيى بن الشهرزورى على تهدئة الفتنة (٦) ، فقدم السلطان السلجوقي بأن أقنعه بالصعود إلى قلعة الموصل حتى يملكها (٧) . وبذلك يتيسر له الاستيلاء على الموصل (٨) ،

-
- (١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣١٥-٣١٦
(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٧١
(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١
(٤) Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusaders P.288.
(٥) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١٠٤
(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ .
(٧) قال له : « إناك أن قتلته ، ملكك للموصل وغيرها ، ويسجز أتابك أن يقيم بين يديك ، ولا يجتمع معه فارسان عليك » (ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ) .
(٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣١٦

ولما تقدم ألب أرسلان إلى قلعة الموصل ، حاصره أصحاب نصير الدين ، وأوقعوا الهزيمة بجنده وأنصاره ، فأدى ذلك إلى إخماد هذه الفتنة (١) .

تعرضت الموصل لفتنة أخرى سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) ، فقد تسلب بعض الخدم إلى مخيم عماد الدين زنكي بن آقسنقر أثناء حصاره قلعة حمير وذلك بتحريض من خصومه ، ثم وثبوا عليه ، وطعنوه طعنة أدت إلى وفاته . مما ترتب عليه حدوث بعض الاضطرابات ، غير أن بعض وزرائه تمكنوا من إخمادها (٢) .

كذلك تأمر بعض أبناء سنجر شاه — أتابك الجزيرة عليه ، بسبب ما عرف عنه من سوء السيرة ، وعدم إقراره العدل بين رعاياه (٣) ، وانتهى الأمر بمقتله ، وتولية ابنه محمود الحكم (٤) .

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١

(٢) Archer : The Crusades p. 203

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٠٥ هـ

(٤) ابن واصل : مفريج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ص ٣٠٦

٣ - انحلال دول أتابكة الموصل والجزيرة وزوالها

تعرضت بلاد الموصل والجزيرة في النصف الثاني من القرن السابع الهجري للغزو المغولي ، مما أدى إلى ضعفها وانهارها ، ففي الموصل اضطر صاحبها بدر الدين لؤلؤ إلى إظهار ولائه لهولاكو ، وإرسال الأموال إليه ، واشترك معه في بعض غزواته (١) . ولما توفي سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) ، خلفه ابنه الملك الصالح نعهد من هولاكو (٢) ، غير أنه لم يلبث أن رحل عن الموصل بسبب تدخل المغول في إمارته ، ولجأ إلى السلطان الملك الظاهر بيبرس في مصر ، فأكرم وفادته ، وعين له راتباً شهرياً (٣) .

ثم أعاده إلى الموصل على رأس ألف فارس فدخلها قبل قدوم المغول إليها (٤) ، وأغلق أبوابها ، وكان بها جيش كبير من الأكراد والتركمان ، فوزع عليهم الرواتب الوفيرة ، وحثهم على القتال .

ولما بلغ المغول الموصل ، نازلوا أهلها وأقاموا المتاريس ، ونصبوا المجانيق ، وتآهب أهلها لقتالهم (٥) . فاضطر هولاكو إلى إرسال جيش آخر لا يخضعهم واعترض جيش المغول قوات الظاهر بيبرس التي قصدت الموصل لنجدتها عند سنجار (٦) ، ودارت بين القوات المغولية والقوات المملوكية معركة ، قتل

(١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٥١

(٢) Howorth: History of the Mongols. vol.4, p. 181

(٣) قطب الدين البطليني : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٤٥٢

(٤) نفس المصدر ج ٢ ص ١٥٦

(٥) رشيد الدين فضل الله الهمزاني : جامع التواريخ - المجلد الثاني تاريخ المغول

(٦) Howorth: History of the Mongols. vol.4, p.181

فيها كثير من جند السلطان يبرسون ، ولم ينبج منهم إلا من استطاع الفرار من هذه المعركة (١) .

أدى حصار المغول للموصل الذي استمر ستة أشهر إلى اضطراب كثير من أهلها إلى الرحيل إلى الصحراء ، فساروا طعمة لسيوف المغول ، ولما اشتد بهم الكرب ، أرسل الملك الصالح بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل - إلى سند ياغو - قائد المغزيين يطلب الأمان ويقول : « إني نادم على ما فعلت ، وسأخرج إليك لأتلافى ما فات ، ولكن بشرطين ، أحدهما : ألا تأخذني بأخطائي السابقة ، وثانيهما : أن تبعثني إلى هولاكو خان وتشفع لي عنده حتى لا يهدر دمي ، فأمنه القائد المغولي ، وخرج إليه بحفل الهدايا والأموال ، ولم يسمح للصالح بالثول أمام هولاكو ، وأمر بعض الجند بقتله (٢) .

دخل المغول الموصل في رمضان سنة ٦٦٠ هـ ، ونكلوا بسكانها ، وأسروا بعض أرباب الحرف والصناعات ، بحيث لم يبق في هذه المدينة أحد (٣) . وهكذا زالت أتابكية الموصل .

كذلك استولى المغول على سنجار أثناء حصارهم الموصل سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) ، وكان الملك الأشرف بن العادل الأيوبي قد أخذ سنجار من أتابكها محمود بن محمد بن زنكي الثاني سنة ٦١٣ هـ (٤) (١٢٢٠ م) ،

(١) قطب الدين البعلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ١٥٦

(٢) رشيد الدين فضل الله الهمزاني : جامع التواريخ المجلد الثاني ج ١ ص ٣٢٨

(٣) قطب الدين البعلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ١٥٩

(٤) هاجم محمود بن محمد بن زنكي قرى الموصل بهريض من عمالة الدين أحمد بن علي المشطوب الذي خرج على الملك الأيوبي الأشرف موسى بن الملك العادل ، فخرج بدر الدين لؤلؤ من الموصل وهاجم ابن المشطوب بئل أعفروا استولى عليه ، وقبض على ابن المشطوب ، وأبلغ الأشرف بذلك فمظمت مكانة صاحب الموصل عنده ، ولما طلب منه مساعدته على الوقوف ضد هجمات صاحب سنجار ، أجاب طلبه ، وسار بجيشه عبر الفرات إلى حران

وظل الأيوبيون يحكمونها حتى استولى عليها بدر الدين لؤلؤ — أتابك الموصل — سنة ٦٣٨ هـ (١٢٣٩ م)، وظل يحكمها حتى وفاته سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) خلفه ابنه علاء الدين الذي استمر يلى أمرها حتى دخلت في حوزة المغول (١).

وكان بدر الدين لؤلؤ قد انتزع جزيرة ابن عمر من أتابكها مسعود ابن محمود سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م) (٢)، وظل يحكمها حتى وفاته، خلفه في ولايتها ابنه المجاهد إسحق، وأبقاه هولاكو حتى سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٢ م) حيث انتزعها منه (٣).

ولم تكن إربل أحسن حالا من دول أتابكة الموصل والجزيرة، فقد تعرضت لغزو المغول، وأوصى صاحبها مظفر الدين كوكبورى، بأن تقول إربل من بعده إلى الخليفة العباسى، إذ لم يكن له وارث يرثه في الحكم، فلما توفى سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٢ م)، أرسل الخليفة المستنصر بالله العباسى، الشريف تاج الدين بن صلاحيا (٤) إلى إربل، فدخلها بعد أن قاومه أهلها مقاومة عنيفة، وظل أهلها غير راضين عن حكم العباسيين لهم حتى هدها المغول بغاراتهم (٥) سنة ٦٣٢ هـ (١٢٣٥ م)، ثم انسحبوا مقابل جزية كبيرة.

== فاستولى عليها، ثم قصد سنجار، وبينما هو في طريقه إليها، لقينه رسل صاحبها، يعرض على الأشرف تسليمه سنجار، في مقابل تمويجه الرقة، فأجاب الأشرف طلبه، وفارق محمود بن محمد بن زنكي سنجار سنة ٦١٧ هـ.
(ابن الأثير الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦١٧ هـ).

- (١) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٢ ص ٢٠٦
- (٢) حدث نزاع بين مسعود بن محمود — أتابك الجزيرة وبدر الدين لؤلؤ، فعول على الانتقام منه، وأرسل جيشاً استولى على بلاده سنة ٦٤٨ هـ.
- (٣) محمد على عوض : تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامى ص ١٦٤
- (٤) أبو الفدا . المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٣١
- (٥) نفس المصدر ج ٣ ص ١٦١
- (٥) سبط ابن الجوزى : مرآة الرمان في تاريخ الأعيان، القسم الثانى ج ٨ ص ٤٨٠

ولما اعتزم هولاكو الاستيلاء على بغداد ، عول على أخذ إربل في نفس الوقت ، وعهد إلى أحد قواده بفتحها ، وكان لهذه المدينة قلعة عظيمة مشيدة على مرتفع يجعل فتحها أمراً عسيراً (١) ، فظلت حاميتها تقاوم قوات المغول حتى عجز القائد المغولي عن المضي في القتال ، وأرسل إلى بدر الدين — صاحب الموصل — يطلب مساعدته (٢) ، فأشار عليه بدر الدين لؤلؤ بأن يرجئ الاستيلاء على القلعة حتى الصيف ، حيث يلجأ الأكراد إلى الجبال هرباً من حرارة الجو ، ثم عهد القائد المغولي إلى بدر الدين لؤلؤ بمهمة الاستيلاء على القلعة (٣) ، فهدم أسوارها . وبذلك سقطت القلعة في أيدي المغول (٤) .

كذلك هاجم المغول ماردن سنة ٦٣٧ هـ (١٢٣٩ م) ، فاعتصم المالك السعيد بقلعتها ، ودافع جند الأكراد والتركمان عنها دفاعاً مجيداً واستمرت الحرب على أشدها أكثر من ثمانية أشهر — ولما تعذر على المغول الاستيلاء على القلعة أغاروا على مدن وملوك القرية منها (٥) .

أرسل مظفر الدين — بعد أن خلف أباه في إمارة ماردن — إلى القائد المغولي يطلب منه وقف القتال على أن يسلم إليه قلعتهما ، فأجاب طلبه ، وعقد بينهما الصلح ، ثم عفا عنه هولاكو ، وظل مظفر الدين وأبناؤه مواليين للمغول (٦) . ومن ثم أخذت أتابكية ماردن في الضعف والانحلال .

(١) قطب الدين البعلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ٩١

(٢) قطب الدين البعلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٩١

(٣) رشيد الدين فضل الله الهمذاني : جامع التواريخ — المجلد الثاني ج ١

ص ٢٩٧ — ٢٩٩ .

(٤) Howorth; History of the Mongols. vol.4, pp. 133 — 134

Ibid: vol. 4p. 161. (٥)

(٦) رشيد الدين فضل الله الهمذاني : جامع التواريخ المجلد الثاني ج ١ ص ٣٢٥

كذلك استولى المغول على ميفارقين سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) وكان صلاح الدين يوسف بن أيوب يطمع في امتلاكها (١) ، في عهد ولاية أميرها حسام الدين بن قطب الدين الشيرازي ، غير أن وزيرها تصدى للدفاع عنها ، فكان ذلك مما حمل صلاح الدين على محاصرتها ، ثم أرسل إلى أميرها وإلى والدته الخاتون يرغبهما في الصلح فاستجاب لدعوته (٢) . وبذلك تيسر لصلاح الدين الأيوبي مد نفوذه إلى ميفارقين (٣) . وظل الأيوبيون يحكمونها حتى استولى عليها المغول (٤) .

أما أتابكية خرتبرت فلم تتعرض للغزو المغولي ، فقد استولى عليها علاء الدين كيقياد — سلطان دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى — ذلك أن الملك الكامل بن الملك العادل بن أيوب ، سار قاصداً دولة سلاجقة الروم ، فاشتبك معه سلطانها علاء الدين كيقياد في معركة انتهت بهزيمة الملك الكامل ، واستولى الملك علاء الدين كيقياد على خرتبرت وما تبعها من القلاع سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) ، لتأمين حدود دولته من مطامع بني أيوب ، ثم أمن سلطان سلاجقة الروم نور الدين أرتقشاه آخر أتابكة خرتبرت (٥) . وبذلك انتهى حكم بني أرتق في خرتبرت .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ .

(٢) محمد بن شاهنشاه : مضاف الحقائق وصر الخلائق ص ٢٠٢٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨٩ هـ .

(٤) محمد بن شاهنشاه : مضاف الحقائق وصر الخلائق ص ٢٠١٨ .

(٥) العيني : عقد الجمان في أخبار الزمان ج ١٨ ص ١٥٨ .

الباب الثاني

موقف اتابكة الموصل والجزيرة

من حكام البلاد الإسلامية المجاورة

١ - الخلفاء العباسيون في بغداد

استعان العباسيون بالفرس لأنهم أقاموا دولتهم على أكتافهم ، وقد ر الخلفاء العباسيون الأوائل موقف الفرس منهم ، فكان أبو جعفر المنصور يقول لأهل خراسان : أنتم شيعتنا وأنصارنا ، وأهل دعوتنا . كما أوصى ولي عهده بهم بقوله : « وأوصيك بأهل خراسان خيراً ، فإنهم أنصارك وشيعتك ، بذلوا أموالهم في دولتك ، ودماءهم دونك ، ومن لا يخرج محبتك من قلوبهم ، أن تحسن إليهم ، وتتجاوز عن سيئهم ، وتكافأهم على ما كان منهم . . . » وازداد نفوذ الفرس في عهد الرشيد والمأمون (١) .

ولما ولي المعتصم الخلافة أساء الظن بالفرس لأنهم طموحون يعملون على تحقيق مطامع قومية ، فاستعان بالترك . وبعث في طلبهم من فرغانة وأشروسنه ، واتخذ من حسن هندامهم وجمال منظرهم وشجاعتهم ، وتمسكهم بتعاليم الإسلام سبباً للاعتماد عليهم ، فأصبح معظم جند الدولة العباسية منهم ، كما أسند إليهم المناصب العسكرية والمدنية الكبيرة في دولته ، وآثرهم على العرب والفرس في كل شيء . وبذلك قوى شأن الترك ، وازداد نفوذهم ، بينما ضعف شأن العرب والفرس (٢) .

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : تاريخ الاسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي ص ١٣

Gibbon : The Hist. of the Decline and Fall of the Roman Empire
vol. iv. p. 47.

أدى ازدياد نفوذ العنصر التركي في الدولة العباسية واستثمارهم فيها بالنفوذ دون الخلفاء ، إلى حدوث كثير من القلاقل والاضطرابات في الدولة العباسية ، حقيقة أن الأتراك كانوا يحتشرون الخليفة المعتصم لقوة يأسه . فلما توفي وولي الزائقي (٢٢٧ هـ - ٢٣٢ هـ) أخذوا يتدخلون في شؤون الدولة ، ولم يستطع الخليفة السيطرة عليهم .

ولما استخلف المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) عول على سلبهم السلطة والنفوذ ، فتخلصوا منه ، وأصبحت الدولة العباسية مسرحاً للفوضى والاضطرابات بسبب ازدياد نفوذ الترك (١) .

لم يقف العرب والترك مكتوفي الأيدي ، إزاء ضعف نفوذهم ، واستثار الأتراك بالسلطة والنفوذ دونهم ، بل عملوا على استرداد مكانتهم ، فحاولوا الاستقلال ببعض بلدان الدولة العباسية ، فأقام الفرس في شرق الدولة الإسلامية دولة مستقلة عن الخلافة العباسية ، وهي الدولة الصفارية ، وبعد أن انهارت الدولة الصفارية ، أقام السامانيون الفرس دولة في خراسان ، وبلاد ما وراء النهر ، ومن العناصر الفارسية التي سيطرت على بعض أقاليم الدولة العباسية ، بنو بويه الذين حكموا العراق ، وفارس والري وهمدان وأصبهان ، وبلاد الجبل (٣٣٤ هـ - ٤٤٧ هـ) ، ومثلوا دوراً رئيسياً في السيادة الإسلامية .

ولم يكن الأتراك أعداء للعرب والفرس فقط ، بل كانوا في منازعات مستمرة مع بعضهم البعض ، وصاروا مصدر قلق واضطراب في الدولة العباسية ، وأصبحوا يتدخلون في تولية الخلفاء وعزلهم ، ويستبدون بأمور الدولة دونهم .

ولما نجح الأتراك في التآمر على الخليفة المتوكل وقتله ، وتولية

(١) المسعودي : مروج الذهب ج ٤ ص ٥٠

المختصر بالله ٢٤٧ هـ ، سيطروا على الخلافة سيطرة تامة ، حتى أن الخليفة خضع لإرادتهم ، ولما توفي بايعوا أحمد بن محمد بن المعتصم سنة ٢٤٨ هـ ولقبوه المستعين بالله ، واستبدوا بأمر الدولة دونه . ولما حاول هذا الخليفة الاستئثار بالسلطة ، واسترداد نفوذه خلعوه من الخلافة ، وبايعوا للمعتز (١) .

لم تنعم الدولة العباسية بالهدوء والاستقرار بعد أن انقرض المعتز بالخلافة ، بل اختل توازنها من جراء ازدياد نفوذ الأتراك ، والمنازعات التي قامت بينهم وأرغموا المعتز على التنازل عن الخلافة سنة ٢٥٥ هـ . وبايعوا المهتدي . ولكنهم كرهوا منه محاولته استرداد سلطانه ومباشرتها بنفسه ، فأعلنوا العصيان ، وشقوا عصا الطاعة ، ودارت حرب بين جند الخليفة ، وجند الأتراك ، انتهت بهزيمة الخليفة وخلعه سنة ٢٥٦ هـ ، وبويع على أثر ذلك أحمد بن المعتز ولقب المعتز على الله ، وخلفه المتعصم الذي عمل على استرداد نفوذ الخلافة وتقوية شأنها ، وإضعاف سلطة الأتراك ، واستقرت أمور الدولة في عهده .

رأى الأتراك أن الخلفاء الأقوياء خطر على نفوذهم ، لذلك عملوا على تولية خلفاء ضعاف حتى ينفردوا بالسلطة ، ولا يتعرضوا لمحاولات الخلفاء لإضعافهم ، أو النيل من سلطانهم ، فلما توفي المكتفي ، ولوا المقتدر الخلافة وكان غرا أصميراً ، وانصرف عن أمور الدولة ، وفضل حياة اللهو والطرب ، وأهمل أحوال الخلافة كثيراً ، وحكم فيها النساء والخدم ، وأساء اختيار رجال الدولة ، فطمع أصحاب الأطراف والنواب ، وخرجوا عن طاعته (٢) .

(١) محمد جمال الدين مروري: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص ٢٩ وما بعدها .

(٢) الآثار الباقية من القرون الخالية من ١٣٢٠ .

إزداد ضعف الدولة العباسية منذ بداية القرن الرابع الهجري بسبب
ازدياد نفوذ الأتراك ، واستئثارهم بالسلطة والنفوذ دون الخلفاء حتى أن
سلطان الدولة العباسية لم يعد يتجاوز بغداد وضواحيها . وفي غضون ذلك
ارتفع شأن بني بويه ، ودخل أحمد بن بويه بغداد في عهد الخليفة المستكني
سنة ٣٣٤ هـ ، حيث أكرم الخليفة وفادته ، ولقبه معز الدولة . ولم يلبث
هذا الأمير البويهي أن استأثر بالنفوذ في الحاضرة العباسية دون الخليفة .
وفي ذلك يقول البيروني : أن الدولة والملك قد انتقل من آل العباس إلى
آل بويه .

وعلى الرغم من أن البويهيين استأثروا بالنفوذ السياسي دون الخلفاء
العباسيين ، فإنهم كانوا ينظرون إليهم على اعتبار أنهم رؤساء المسلمين ،
واحتفظ هؤلاء الخلفاء بسلطتهم الدينية (١) .

ظل البويهيون رغم تنازعهم على السلطة والنفوذ مسيطرين على شؤون
بلاد فارس والعراق حتى ولى الملك الرخيم سنة ٤٤٠ هـ ، فإزعه الأمراء
البويهيون السيادة والحكم ، كما استفحل خطر البساسيري في بلاد العراق ،
وتقرب بنو بويه من الفاطميين ، وانضم عدد كبير من الجند الأتراك والديلم
إلى دعوتهم ، فعمل السلاجقة الذين ازداد نفوذهم في الدولة الإسلامية ،
وضموا إلى دولتهم الكثير من ممتلكات الدولة الغزنوية على السيطرة على
العراق . ففي أوائل سنة ٤٤٨ هـ أظهر طغرل بك أنه يريد الحج ، وإصلاح
طريق مكة المكرمة ، والمسير إلى الشام ومصر ، والقضاء على دولة
العلويين بها ، وأذن له الخليفة العباسي القائم بدخول بغداد ، فأزال عنها
الحكم البويهي ، وانتقلت السيطرة على مقاليد أمور الخلافة العباسية من
البويهيين الفرس ، إلى السلاجقة الترك (٢) .

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي

ص ٨٣

(٢) المصدر السابق ص ٨٤

الحكومة عطاء، وكان يزاعى في تقدير العطاء ثلاثة ونحوه أخذها عدد من يعمل الفرد من الذراري والعبيد، والثاني عدد ما عنده من الخيل والظفر. والثالث ظروف المتوسع الذي يقيم به من العطاء والرخص (١).

وكان من شروط إثبات اسم الشخص في الديوان، أن يكون حراً فلا يثبت في الديوان عبد تابع لسيدته داخل في عطاءه، ولا يجوز إثبات الضيف في الديوان، بل يكون جاريًا في جملة عطاء الذراري. والثالث الإسلام، ليدفع عن الدين باعتقاده. والرابع السلافة من الآفات المانعة من القتال، والخامس أن يكون فيه إقدام على الحرب، فإذا ضعفته همته عن الإقدام أو قلت معرفته به، حذف اسمه من الديوان (٢).

وكان على أهل العطاء أن يجهزوا أنفسهم بالأسلحة، ويذهبوا للقتال حينما يؤمرون بذلك. وإذا لم يلبوا الدعوة للقتال، فإن اسمهم يحذف من الديوان (٣).

وقد حدد عمر بن الخطاب العطاء طبقاً للقراءة من الرسول، فبدأ بنعم الرسول ثم الأقرب فالأقرب، ففرض للعباس وبدأ به، وقال من قربت داره أحق بالزيادة ممن بعثت داره، لأنهم كانوا دواعاً للإسلام وهدفاً للعدو (٤).

فرض عمر بن الخطاب لأهل اليمن وقيس بالشام والعراق لكل رجل ما بين ألفين إلى ألف إلى تسعمائة إلى خمسمائة إلى ثلاثمائة. ولم ينقص أحداً عن ثلاثمائة. وقال: لن نكثر المال لأقرضن لكل رجل أربعة آلاف درهم، ألفاً لسفره وألفاً لسلاحه وألفاً يتخلقه لأهله وألفاً لفرسه ونظله (٥).

ظل العطاء كما حدده عمر بن الخطاب حتى استقرت الخلافة معاوية، فزاد في

(١) الماوردي: الأحكام السلطانية ص ١٩٣

(٢) القلقشندي: صبح الاعشى ج ١٣ ص ١٠٨

(٣) الطبري تاريخ الأمم والملوك ج ١ ص ٧٣٣

(٤) المصدر السابق حوادث سنة ١٥ هـ

(٥) البلاذري: فتوح البلدان ص ٤١٣.

زنكى ما لبث أن أعرض عن الخليفة حين رفض تسليمه دبيس بن صدقه .
 — صاحب الحلة (١) — وزادت العلاقات سوءاً بينهما حين توفي السلطان محمود سنة ٤٢٥ هـ (٢) (١١٣٠ م) ، وطلبت رسل السلطان السلجوقي من الخليفة العباسي إقامة الخطبة له في بغداد ، فرفض الخليفة وقال : إن الحكم في الخطبة للسلطان سنجر من أراد خطب له . فعزم السلطان مسعود على دخول بغداد ، وتولى السلطنة ، وطلب من عماد الدين زنكى — أتابك الموصل — الوقوف إلى جانبه ، حتى يتيسر له تحقيق غرضه ، فسارع إلى نصرته (٣) .

لما بلغ الأمير إبراهيم بن سقمان بن أرتق — صاحب حصن كيفا — أن عماد الدين زنكى سار إلى بغداد على رأس جيش كبير ، أنكر ذلك ، وزحف إليها بجدة للخليفة (٤) ، وانضم إليه في الحرب التي دارت بينه وبين السلطان السلجوقي وحليفه أتابك الموصل (٥) ، وانتهت باحرازه .

(١) كل دبيس بن صدقه قد هاجم البصرة سنة (٥٢٣ هـ — ١١٢٨ م) ونهبها ، فسير إليه السلطان السلجوقي محمود جنداً للقبض عليه ، ففارق دبيس البصرة إلى بلاد الشام حيث قبض عليه تاج الملوك بورى بن طفتكين — صاحب دمشق — ولما بلغ عماد الدين زنكى ذلك أرسل إلى تاج الملوك يعرض عليه إطلاق سراح ابنه بهاء الدين سوفج ، في مقابل تسليمه دبيس بن صدقه ، فاستجاب صاحب دمشق لطلب زنكى ، وسلمه دبيس ، وأطلق سراح سوفج .

ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٤٥ .

Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusades. p.261

(٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٩ .

السنى : عقد الجمان في أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ٣٢ — ٤٧ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٤٥ — ٤٧ .

Lane Poole; Saladin p. 52.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٣٦ هـ (١١٣١ م) .

Setton: A Hist. of the Crusades. vol. I. P. 456.

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٢٦ هـ .

النهر على أعدائه ٥٢٦ هـ (١) (١١٣١ م) ، وأسر الكثير منهم ، وفر
عماد الدين زنكى إلى (٢) تكريت حيث يسر له - دزدارها (٣) - نجم الدين
أيوب عبور نهر دجلة إلى الموصل (٤) ، وقد فت ذلك في عضد السلطان
مسعود ، فكف عن القتال (٥) .

لم يقف العداء بين أتاك الموصلى ، والخليفة العباسى عند هذا الحد ،
بل اشتبكافى قتال آخر (٦) ، ذلك أن السلطان سنجر - صاحب خراسان -
سار على رأس جيش كبير - وبصحبة الملك طغرل بن السلطان محمد -
إلى بغداد ، ليوليه السلطنة (٧) ، فأثار ذلك غضب الخليفة المسترشد ، وعقد
الصالح مع السلطان مسعود ، وعهد إليه بالسلطنة ، ثم صحبه إلى خارج بغداد
لمنع السلطان سنجر من دخولها (٨) ، فأرسل سنجر إلى عماد الدين زنكى
يأمره بالمسير إلى بغداد ، ومعه ديس بن صدقه - صاحب الحلة - ليكونا
عوناً له على الخليفة المسترشد (٩) ، واشتبك سنجر وصاحب الموصل فى

-
- (١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٥٢ .
(٢) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٦ .
(٣) دزداريه : كلمة فارسية مكونة من لفظين دز - أى قلعة ، ودار الحافظ فكان معناها
صاحب القلعة ، أو متوليها .
ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٨ .
(٤) قدر عماد الدين زنكى هذا الموقف لنجم الدين أيوب وأدخله مع أسرته منذ ذلك
الوقت فى خدمته .

- بن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٨ .
(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٤ .
(٦) ابن النديم : زبدة الخلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٥١ .
Runciman: A History of the Crusades Vol. 2 P. 194
(٧) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٤٩ - ٥٠ .
المينى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ١٦ .
(٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٦ هـ .
(٩) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٤٣ .
أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٨ .

معركة مع الخليفة المسترشد ، دارت فيها الدائرة على السلطان السلجوقي وحليفه في رجب سنة ٥٢٦ هـ (١) (١١٣١ م) . وقد وصف بعض أصحاب زنكي المعركة وصفاً يتجلى فيه ما كان يتمتع به الخليفة من هيبة في نفوس أهل الموصل بقولهم : « اشتد القتال ، وظهرنا على عسكر الخليفة ، ولم يبق غير أن ينهزموا ، فرأينا خيمة سوداء قد نصبت عند المعركة ، وخرج المسترشد بالله منها راكباً بسواده ، ويده سيف منلول ، فنكلهم قالوا : لما رأينا هذه دهشة ورعدة حتى كاد السلاح يسقط من أيدينا ، فكانت الهزيمة ، ولن نطق الثبات : فانهزمنا ، ونحن لا نعقل (٢) » .

استقر رأى الخليفة المسترشد — بعد ما شاهده من عداء عماد الدين زنكي له — على مهاجمة بلاده (٣) ، فسار قاصداً الموصل سنة ٥٢٧ هـ (١١٣١ م) على رأس ثلاثين ألف مقاتل (٤) ، منتهزاً فرصة وقوع الخلاف بين الأمراء السلاجقة (٥) ، ولما اقترب منهما انصرف زنكي في بعض عسكره وترك أمر الدفاع عنها لنائبه ، فحاصرها الخليفة ، وأخذ يضيق عليها الحصار (٦) حتى اضطر عماد الدين زنكي إلى طلب وقف القتال ، لكن الخليفة أبي إجابة طلبه (٧) .

(١) ابن النديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٥١
Grousset: Histoire des Crusades vol. 2 p. 55.

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٤٦
ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٥٣

(٣) العيني : عقد الجمان في أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ٤١
(٤) ابن واصل : مفرج السكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٥٢

(٥) ابن النديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٥١
Setton : A History of the Crusades. vol.1 p. 432.

(٦) تاريخ العظمى ص ١٨٤
Setton : A History of the Crusades, vol.1 p. 432 (٧)

١ استمر حصار الخليفة للموصل ثلاثة أشهر متوالية (١) ، كان زنكى خلالها يربط في سنجار ، ويعمل على قطع الميرة عن جند الخليفة (٢) ، ولما لم يظفر الخليفة بشيء أثناء ذلك الحصار ، وبلغه أن السلطان مسعود هاجم بغداد (٣) ، اضطر إلى رفع الحصار عن الموصل . وعاد إلى حاضرة دولته (٤) .

٢ رأى عماد الدين زنكى أن يعدل عن موقفه العدائى من الخليفة العباسى ويعمل على تحسين علاقاته به ، رغبة في اكتساب رضاه ، فبعث بابنه سيف الدين غازى إلى الخليفة العباسى فى بغداد للسعى فى إحلال الصفاء بينه وبين أبيه ، فاستقبله الخليفة ، ومعه قاضى القضاة فى موكب عظيم . ولما دخل سيف الدين غازى بن زنكى قصر الخلافة قبل الأرض ، وطلب من الخليفة العفو والصفح بقوله : « أنا وأبى عبيد هذه الدولة ، وما زالت العبيد تجيء والموالى تصفح ، ونحن بحكم الخدمة فى أى شيء . » فأعلن عفوهم عن زنكى (٥) ، وساد الوئام بينهما ، بل أن زنكى أظهر ولاءه للمستترشد ، وليس أدل على ذلك من أنه طمع فى ضم دمشق إلى حوزته بعد مقتل أتابكها تاج الملوك بورى بن طغتكين — أرسل أهل هذه المدينة إلى الخليفة أموالاً ، وطلبوا منه أن يعمل على صد زنكى عنهم ، فبعث إليه يأمره برفع الحصار عن دمشق ، فاستجاب له (٦) ، وسار إلى العراق . ولما طلب الخليفة من زنكى مساعدته فى محاربة السلطان مسعود سنة ٥٢٩ هـ (٧) (١١٣٤ م) ، قدم إليه وأنجده (٨) .

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ .

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٤٧ - ٤٨ .

(٣) Archer : The Crusades. p. 201

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٨٤ .

(٥) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١ ص ٢٢ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٣٥ .

(٧) Gibb : The Damascus Chronicle of the Crusades p.235

(٨) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٤٣ .

استمرت العلاقات الودية سائدة بين عماد الدين زنكى والخليفة الراشد ،
فوقف إلى جانبه في النزاع الذى دار بينه وبين السلطان مسعود الذى حرص
شحنة بغداد على مهاجمة دار الخلافة (١) ، فأمر الخليفة بحذف اسم السلطان
مسعود من الخطبة ، وأرسل إلى زنكى يطلب منه معاونته ، ويطمعه فى
المملك (٢) ، فانضم زنكى إلى جانب الراشد ضد مسعود ، على حين انحاز
بعض أمراء البلاد المجاورة إلى السلطان السلجوقى (٣) ، وخرج الخليفة
الراشد من بغداد فى صحبة زنكى لمحاربة السلطان مسعود (٤) .

سار السلطان مسعود إلى العراق على رأس جيش كبير ، ولم يستطع
الأمراء فى بغداد قتاله لما كان بينهم من خلاف وشقاق ، فحاصروهم السلطان
مسعود أكثر من خمسين يوماً (٥) ، ثم دخل بغداد ، واضطر الراشد بالله
إلى الرحيل إلى الموصل ملتجئاً إلى أتابكها (٦) عماد الدين زنكى ، ومعه
وزيره ابن صدقه ، وجماعة من أصحابه ، وأعرانه ، فأكرم زنكى وفادة
الخليفة فى الموصل (٧) ، بينما استقر السلطان مسعود ببغداد (٨) .

شرع السلطان مسعود بعد دخوله بغداد فى حذف اسم الخليفة من
الخطبة تمهيداً لخلعه ومبايعة غيره ، فلقى عمله موافقة من الأمراء وكبار

-
- (١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٠ هـ .
(٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ج ٥ ص ٢٥٨
(٣) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٥٥
(٤) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٨٠
(٥) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٥٥
ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٥٥
(٦) ابن القلافى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٦
أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٨٠
(٧) الميمنى : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان ، القسم الأول ج ١٢ ورقة ٨١
(٨) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٥٣
أبو الفتح : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١١

الدولة (١) . ثم أحضر السلطان القضاة والفقهاء ، وأثبتوا محضراً تضمن اتهام الخليفة بالظلم ، وأخذ الأموال ، وسفك الدماء (٢) ، كما عرض السلطان عليهم اليمين الذي حلف به الراشد له ، وفيها بخط يده : « أتى متى جندت ، أو خرجت ، أو لقيت أحداً من أصحاب السلطان مسعود بالسيف ، فقد خلعت نفسي من الأمر » ، فافتوا بخلعهم وصارت الخطبة لا تقام باسمه في بغداد ، وسائر البلاد (٣) .

استقر رأى السلطان مسعود على تولية أبي عبد الله بن المستظهر بالله الخلافة ، ولقبه المقتنى لأمر الله (٤) ، فأرسل الخليفة الجديد رسولا إلى زنكي في الموصل ، يحمل إليه الكتاب الذي تضمن خلع الراشد ، وفيه شهادة الشهود والقضاة ، وقرأه عليه فبايعه ، وأقام الخطبة له في الموصل (٥) .

كما كتب السلطان مسعود إلى زنكي يطلب منه تسليم الراشد إليه ، وإرساله إلى بغداد ، فامتنع عن إجابة طلبه (٦) ، ولم يلبث الخليفة المخلوع أن رحل عن الموصل إلى أذربيجان (٧) ، ومنها إلى همدان ، ثم قصد أصفهان (٨) حيث هجم عليه بعض الإسماعيلية وقتلوه (٩) سنة ٥٣٢ هـ . (١١٣٧ م) .

-
- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٠ هـ .
 (٢) الخزرجي : أخبار الزمان في تاريخ بني العباس ورقة ١٥٩ .
 (٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٥٤ .
 (٤) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٢ .
 (٥) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٦٧ .
 Runciman : A History of the Crusades, vol. S p.195
 (٦) الخزرجي : أخبار الزمان في تاريخ بني العباس ورقة ١٥٩ .
 (٧) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٨٠ .
 (٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٠ .
 (٩) ابن واصل : مفرج السكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٧٠ .
 Setton : A History of the Crusades vol. 1. p: 458.

حضر موت^(١) . ولها قضى عبد الملك بن مروان على معركة ابن الزبير واقعت بمقتله في مكة في جمادى الآخرة سنة ٧٣ هـ^(٢) ، أخذ الحجاج بن يوسف الثقفي البيعة من أهل مكة لعبد الملك وأسندت إليه عقاليده وولاية الطحان بالإضافة إلى اليمن والنجامة^(٣) .

واستعمل الحجاج على صنعاء ومخاليضها أخاه محمد بن يوسف ، وعلى الجند واقده بن سليم الثقفي ، وجعل حضر موت للحكم بن حواري الثقفي^(٤) . وكان اليمن بخلافين فقط ، الجند وما إليها ، وصنعاء وما إليها ، وتوالت على اليمن الولاة من بني ثقف ، من بينهم يوسف بن عمر الثقفي ، ولأه سليمان بن عبد الملك اليمن ، فلم يزل والياً عليها حتى عهد إليه هشام بن عبد الملك بحكم العراق بدلا من اليمن . وكان آخر ولاة اليمن الثقفيين في العهد الأموي ، القاسم بن عمر الثقفي في عهد مروان بن محمد^(٥) آخر خلفاء بني أمية ، وقد قاسى اليمنيون من الولاة الثقفيين الكثير من الشدائد فعامل هؤلاء الولاة ، الأهليين معاملة تنطوي على الجور والظلم وتطلع اليمنيون إلى الخلاص من الحكم الأموي وولائه الجبابة العتاة . لذلك أصبحت اليمن أرضاً خصبة للحركات المناهضة للحكم الأموي - كما سنرى .

(١) الخزرجي : المسجد المسبوك ورقة ٢٠

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٧٣ هـ

(٣) الخزرجي : المسجد المسبوك ورقة ٢٠

(٤) يحيى ابن الحسين : غاية الأمان ص ١٢٣

(٥) العرشي : بلوغ المرام ص ٨

— أتابك الموصل — نائبه زين الدين علي كجك للقبض عليه ، فهاجمه في
شهرزور ، وعاد به إلى الموصل (١) ، حيث قبض عليه ، على الرغم من أن
الخطبة كانت تقام له في بغداد (٢).

لم ينته العداء بين الخليفة العباسي المقتدى ، وقطب الدين مودود عند هذا
الحد ، بل توترت العلاقات بينهما في سنة ٦٥٢ هـ (١١٥٧ م) ، حين سار
الملك محمد بن السلطان محمود إلى بغداد وحاصرها (٣) ، وبعث إلى صاحب
الموصل يطلب منه النجدة ، فأجاب طلبه ، وأرسل جيشاً كبيراً إلى بغداد
بقيادة زين الدين علي كجك . على أن الخليفة ما لبث أن استمال زين الدين
إلى جانبه ، فكف عن القتال ، وعاد إلى الموصل (٤) ، فأدى ذلك إلى
إضعاف شأن الملك السلجوقي الذي عاد إلى همدان دون أن يحقق غرضه من
محاربة الخليفة (٥) .

تحسنت العلاقة بعد ذلك بين زين الدين علي كجك ، والخلافة العباسية ،
ففي سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) سار زين الدين — نائب أتابك الموصل — إلى
بغداد ، وطلب من الخليفة المستنجد العفو والصفح ، فعفا عنه ، وخلع عليه ،
ومنحه بعض الهدايا (٦).

على أن العلاقات بين الخلافة العباسية ، ودول أتابكة الموصل والجزيرة
ما لبثت أن تطورت منذ ذلك الوقت ، فعمل الخلفاء على حماية هذه الدول .

-
- (١) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق من ٣٣٧
الحسيني : تاريخ الدولة السلجوقية من ١٤٢
(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية من ١٠٨
(٣) الحسيني : تاريخ الدولة السلجوقية من ١٣٤
(٤) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب من ١٣٢
(٥) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ من ١٦٩
ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية من ١١٤
(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية من ١١٥ ، ١١٩

عن أظماع بنى أيوب ، فلما اعتزم صلاح الدين الأيوبي المسير إلى الموصل سنة ٥٧٠ هـ (١١٨٤ م) ، أرسل الخليفة الناصر رسولا للصلح بينه وبين أتابكها عز الدين مسعود (١) ، وكذلك كانت الحال حين حاصر العادل ابن أيوب سنجار سنة ٦٠٦ هـ ، أنفذ الخليفة العباسي الناصر رسولا إليه يطلب منه الكف عن محاصرتها ، ومصالحة أتابكها (٢) .

ولما هاجم الملك الأشرف موسى بن الملك العادل إربل ، استنجد صاحبها مظفر الدين كوكبوري بالخليفة العباسي ، بل سار إلى بغداد ليعلن ولاءه له ، وأعطاه مفتاح إربل وقلاعها في موكب حضره أرباب الدولة كما قدم إليه التحف والهدايا ، فخلع عليه الخليفة خلع السلطنة ، ثم عاد صاحب إربل إلى أتابكيته ، وقطع الخطبة لبنى أيوب ، وصارت تقام باسم الخليفة وحده (٣) .

على أن بعض الخلفاء العباسيين انتهزوا فرصة ضعف دول الأتابكة وعملوا على ضم أجزاء من بلادهم إلى حوزتهم ، فلما قبض عز الدين مسعود - أتابك الموصل - على وزيره مجاهد الدين قياز ، وعجز عن ضبط أمور دولته ، أرسل الخليفة الناصر لدين الله جيشاً استولى على دقوتا (٤) . كما أن الخليفة المستنصر أرسل جيشاً استولى على إربل بعد أن توفي صاحبها مظفر الدين كوكبوري سنة ٦٣٠ هـ ، دون أن يكون له وريث ، وكان قد طمّع فيها بنو أيوب (٥) .

(١) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ٨٠

(٢) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الثانى ج ٨ ص ٤١٠

(ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٦٠٦ هـ) .

(٣) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٦٨

(٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٧٩ هـ .

(٥) أبو الفداء : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٦١

السلاجقة

يرجع أصل السلاجقة إلى الترك الذين كانوا يقيمون في الصحراء الواسعة الشاسعة ، التي تمتد من حدود الصين حتى شواطئ بحر قزوين ، وكثرت هجراتهم إلى شواطئ جيحون ، خصوصاً في وقت انهيار الدولة السامانية حيث المراعى الوفيرة .

يكتنف أصل السلاجقة الغموض ، ويبدو أن سلجوق - جد هؤلاء القوم - ابن قائد جيش يدعى دقاق ليغو ، أو يوغو - ملك الخزرج جنوب روسيا (١) - وينسب إلى قبيلة غزقنق (٢) ، ولقد حدثت خلافات بين يوغو ودقاق - الزعيم السلجوقي - اضطر على أثرها سلجوق وأسرته إلى ترك ديارهم ، والهجرة إلى نواحي جند (٣) ، ومعه ألف فارس ، وألف بعير ، وخمسون ألف رأس من الماشية عند مصب نهر سيحون ، ويرجح أن هذه القبيلة قد دخلت الإسلام . بعد أن توصلت العلاقات بين أفرادها ، وبين أهل جند (٤) .

أظهر السلاجقة نشاطاً ملحوظاً في الجهات الجديدة التي هاجروا إليها ، فقاموا بالذود عنها من خطر كفار الترك - بني جلتهم - واشترك السلاجقة في الصراع المرير الذي حدث بين القره خانية ، والسامانيين حول السيادة على بلاد ما وراء النهر ، وانضموا إلى جانب السامانيين في القتال الذي دار بينهم ، وبين أعدائهم (٥) . وقد تمكن سلجوق من خلال هذا الصراع

(١) Cambridge History of Iran. vol. 5 p. 16.

(٢) Cambridge Medieval History. vol. 1v p. 300

(٣) Cambridge History of Iran. vol 5. p. 18.

(٤) قاميري : تاريخ بخارى ص ١٢٧ - ١٢٩

(٥) Encyc. of Islam. Art Saljuk.

من السيطرة على منطقة خصيبة في بلاد ما وراء النهر ، وضمها إلى إمارته الناشئة (١) .

ظل أمر السلاجقة في صعود في بلاد ما وراء النهر ، وكانت منازلهم في الشتاء في نور بخارى ، وفي الصيف في سغد سمرقند (٢) ، وتوفي سلجوق بعد أن تجاوز من العمر العام السابع بعد المائة ، وله من الأولاد أرسلان وميكائيل وموسى (٣) ، وكان أرسلان أقوى هؤلاء الأبناء شأنًا . ولقد وقف إلى جانب الأمير الصاماني المنتصر في حروبه ضد القره خانية ، وحالف على تكين — أخا إيلك خان — الذي سيطر على بخارى ، كما أن أخاه ميكائيل لم يأل جهداً في سبيل غزو كفار الترك حتى استشهد ، وخلفه من الأولاد بيغو وطغرل بك محمد وجغرى بك داود ، ولقد أطاعتهم عشائرهم ، ولما خشي أمير بخارى بأسهم ، وعول على التخلص منهم ، لجأوا إلى بغراخان — ملك تركستان — فأذن لهم بالمقام في مملكته على أن بغراخان مالبث أن نوجس منهم خيفة ، فقبض على طغرل بك ، وعندئذ ثارت ثورة السلاجقة ، واشتبكوا مع جند بغراخان في عدة معارك ، تمكنوا على أثرها من تخليص أميرهم طغرل بك ، غير أنهم لم يستطيعوا المقام بعد ذلك في مملكة بغراخان ، فعادوا إلى جند (٤) ..

تحالف السلاجقة مع على تكين — أمير بخارى — فأذن لهم بالإقامة في نور بخارى ، وما زالوا في أنضر عيشة ، وهم في المراعى يكأون الكأ لا يذعرهم ذاعر ، ولا يردعهم رادع (٥) ، ووقف زعيمهم أرسلان بن سلجوق

(١) حمد الله مستوفى قزوینی : تاریخ کریمه ص ٣٢٤

(٢) الراوندى : راحة الصدور وآية السرور ص ١٤٥

Hubib : Sultan Mahmud of Ghazni. p. 59.

Cambridge Medieval History vol VI . P. 303 (٣)

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٣٧٦

(٥) حمد الله مستوفى قزوینی : تاریخ کریمه ص ٤٢٤

إلى جانب على تكين ضد السلطان محمود الغزنوي، ولذلك عول محمود على التخلص من على تكين (١)، ففي سنة ٤٢٠ هـ / ١٠٢٩ م غر بنهر جيحون والتقى بحليفه قدر خان - ملك تركستان - واتفق مع إيلك خان على إنهاء نزاع الحدود بينهما، ووافقت انقراضة السلطان محمود لجميع المعلومات عن هؤلاء السلاجقة، وقد أطلعهم إيلك خان على شجاعة جندهم، وكثرة عددهم، فرأى أنه لا يستطيع أن يلحق جانبهم إذا نهض في وقت من الأوقات إلى بلاد الهند، فقد يخذلوا في مملكته فسأداً طلباً لولاية أو رغبة في التغلب على إحدى النواحي، فعزل على التخلص منهم، بأن أرسل إليهم رسلاً لا يعرض عليهم صداقته، ويبدى لهم حسن نواياه نحوهم، ويطلب منهم إيفاد أحد زعمائهم لعقد اتفاقية صداقة معهم (٢)، فلما بلغت الرسالة أسماع أمراء السلاجقة، رحبوا بما جاء فيها، وأحسنوا استقبال رسول السلطان الغزنوي، وأرسلوا كبيرهم وزعيمهم أرسلان بن سلجوق، ولما وفد أرسلان السلجوقي إلى محمود الغزنوي مع أصحابه وأعيان دولته، أحسن وفادتهم وقال، عندما نذهب إلى بلاد الهند لغزو الكفار يلزمنا جيش جرار نسير به إلى هذه الديار، مما يترتب عليه عدم وجود حامية تدود عن خراسان، ولي رغبة في أن أعقد معكم ميثاقاً وتحالفاً على أنه إذا خرج على عدو أو تار ثائر، واختبجت إلى حد، استعنت بخيلكم وفرسانكم، فأظهر أرسلان بن سلجوق، رغبته في مساعدة السلطان محمود الغزنوي وقال له: لو أنني أرسلت هذين السهدين إلى قومي لاجتمع منهم مائة ألف رجل، ولو أن قوساً أضيف إليهما لاجتمع من الرجال قدر ما أشتهى من القوم، فتوجس محمود خيفة من السلاجقة، واستشار حاجبه أرسلان جاذب فيما يجب اتخاذه حيال هؤلاء القوم، فأشار عليه بقطع إيهام الرجال جميعاً حتى لا يستطيعوا من بعد شد القوس (٣) أو

(١) Cambridge History of Iran 5 p. 19.

(٢) البنداري: تاريخ دولة سلجوق ص ٥.

(٣) الحسن: أخبار الدولة السلجوقية ص ٣.

أن يفرقهم جميعاً في جيحون لكن محمود الغزنوي فضل أن يأذن لهم باجتياز جيحون والتفرق في أطراف خراسان حتى يمكن السيطرة عليهم (١)، وأمر بالقبض على أرسلان بن سلاجوق وتحديد إقامته في قلعة من أعمال الملتان حتى يكون رهينة عنده . ترغم السلاجقة على التزام الهدوء والسكينة (٢) .

تقرب السلاجقة في مقرهم الجديد بخراسان من إليها الغزنوي أبي سهل أحمد بن الحسن الحمدوني ، وسأله أن يضيف إليهم مرجا من مروج خراسان فأنزلهم مرج دندانقان ، فقرروا بها وبما قاربها (٣) .

غير أن أطماع السلاجقة لم تتوقف عند هذا الحد ، بل شتوا غارات متعددة في إقليم خراسان إذ كان انتقلهم إلى خراسان بداية لمرحلة جديدة من مراحل كفاحهم ، كما كان ذا أثر قوى موجه لمستقبل إيران وما جاورها ، فقد أخذوا يذعمون قواتهم وينتشرون في البلاد المجاورة لها ، ويتحينون الفرص للانقضاض على الدولة الغزنوية أو اقتلاع جذورها (٤) .

زاد خطر السلاجقة في إقليم خراسان ، فوفد أهل نسا وباورد على السلطان محمود شاكين له عبث السلاجقة ببلادهم سنة ٤١٨ م / ١٠٢٧ م فأمر السلطان أرسلان الجاذب وإلى طوس باخضاعهم فظل يحاربهم نحو سنتين ، لكنه لم يستطع قهرهم ، فأرسل إلى السلطان محمود يقول : لقد قوى شأن التركان ولا يستطيع دفع فسادهم ، إلا إذا خرج السلطان إليهم بنفسه (٥) فصار السلطان محمود إلى خراسان سنة ٤١٩ م / ١٠٢٨ م ، واشتبك في معارك

(١) Cambridge Medieval History. vol. IV. P . 303 - 403.

(٢) البنداري : تاريخ دولة سلاجوق ص ٥ - الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ص ٣

Cambridge History of Iran. vol. 5. P. 18.

(٣) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ص ٣

(٤) عبد النعيم حسنين : سلاجقة العراق وإيران ص ٢٦

(٥) الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ص ١٥٤

مع سلاجقة مزق شملهم ، وقتل منهم كثيرين ، ولأذن من نجا منهم بالفرار إلى بلخ وقهستان (١) .

لم يستطع السلاجقة الإقامة في بلدان الدولة الغزنوية بعد الهزائم التي لحقت بهم ، فعمدوا إلى غزو البلدان الإسلامية ، وأحدثوا الكثير من أعمال الشغب والتخريب في مدن دامغان وسمنان والري وأصفهان ومرأغة وهمدان وغيرها من مدن إعراف وأذربيجان (٢) ، وأذن لهم هرون بن التونتاش - والي خوارزم - بالإقامة في أقاليم خوارزم شتاءً وأمر السلطان مسعود ابن محمود ، شاه ملك - والي جند - بمهاجمة خوارزم ، والتخلص من السلاجقة ، فباغت شاه ملك السلاجقة على حين غفلة وشدت شملهم (٣) ، فهجروا خوارزم ، وتفرقوا في مفازة نسا وقصدار ومرو وفارسوا إلى السلطان مسعود يطلبون منه الأمان ، وتعهدوا بالوقوف إلى جانبه في وجه الطائفة التي قد تقسدت في مملكته ، وبأن يكونوا أنصاراً وأعواناً مخلصين له ، لكن السلطان مسعود لم يكن على استعداد للتحالف معهم لما يعرفه عن أطماعهم في بلدان دولته ، لذلك قبض على الرسل ، وغادر جرجان ، وتوجه إلى نيسابور لمحاربة السلاجقة (٤) ، لكن جيشه كان قد أحسن بوهن شديد ، وفسد سلاحه بسبب الرطوبة ، فعلاه الصدا ، وضعفت دوابه لأنها لم تأكل علف الربيع ، لذلك عهد السلطان مسعود إلى بعض رؤساء جنده بطرد السلاجقة من دولته ، لكن السلاجقة هزموا الجيش الغزنوي ، واستولوا على ممتلكاته (٥) .

أدى انتصار السلاجقة على الجند الغزنوي إلى ارتفاع مكانتهم ، وازدياد

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٤٠ هـ .

Gambridge Medieval History. vol. IV P. 304.

(٢) الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ص ١٥٥ - ١٥٦ .

(٣) (٤) Cambridge Medieval History vol. P. 52—53 .

(٢) ابن خلدون : البر وديوان المبتدأ والخبر ٢٢ ج ٤ ص ٣٧٦ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٥٩ هـ .

هيبتهم ، وزادت أطماعهم في مستلكات الدولة الغزنوية ، وأرسل إليهم السلطان مسعود قولاً لنا لعلمهم يكفروا عن أعمالهم العدوانية في دولته ، وسير مع رسوله الخلع النفيسة ، وأمرهم بالرحيل إلى الشط - على جيحون - ونهاهم عن الشر والفساد ، وأقطع دهستان داود ونسا لطغرل بك وفراوه ليغزو ، ولقب كل واحد منهم بالدهقان (١) ، فاستخفوا بالرسول والخلع ، وقالوا للرسول : لو علمنا أن السلطان يبقى علينا إذا قدر لأطعناه ، ولكننا نعلم أنه متى ظفر بنا أهلكنا لما علمناه وأسلفناه فنحن لا نطيعه ، ولا نثق إليه (٢) .

ظل السلاجقة مصدر خطر دائم على مدن خراسان ، وفشل عمال الغزنويين في خراسان في الدفاع عن هذه البلاد ، فأرسلوا إلى السلطان مسعود يستغيثونه ، ويشكون إليه ما يفعله السلاجقة في خراسان (٣) ، فأعد السلطان جيشاً كبيراً بقيادة سباشي في سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م واشتبك سباشي مع السلاجقة في عدة معارك انتصر فيها السلاجقة ، ولما طال مقام سباشي وعساكره بخراسان والبلاد منهوبة ، والدماء مسفوكه وقلت الميرة والأتوات على العساكر ، بينما السلاجقة لا يزالون بذلك يقنعون بالقليل ، غادر سباشي خراسان ، فبسط السلاجقة سيطرتهم عليها (٤) ، ورأى السلاجقة أن الوقت حان لإعلان قيام دولتهم ووجئ ثمار انتصاراتهم ، فوحدوا قياضهم في يد طغرل بك الذي توجه إلى نيسابور ، واستولى عليها (٥) ، ثم جلس على عرش السلطان مسعود ، وأعلن قيام دولة السلاجقة (٦) ، وأمر

(١) Cambridge History of Iran. vol. 5. P 51-52.

(٢) الحسيني . أخبار الدولة السلجوقية ص ٥

(٣) الراوندي ، راحة الصدور ص ١٥٧

(٤) Cambridge History of Iran. vol 5. P. 22

Habib : Sultan Mahmud of Ghazni P. 44-101

(٥) البنداري ، تاريخ دولة سلجوقي ص ٧ - ٨

(٦) Cambridge History of Iran. P. 35.

بأن تقرأ الخطبة باسمه ، و فرق النواب في النواحي (١) ، وأصبح بذلك أول سلطان للسلاجقة ، وأرسل إلى الخليفة العباسي رسولا يقول : إنه لما يوجد ابن يمين الدولة مائلا عن الخير والسمو غار للمسلمين وللبلاد (٢) .

لم يقف السلطان مسعود مكتوف اليدين إزاء اقتزاع خراسان منه ، بل عول على استردادها ، فأعد جيشاً كبيراً لتنفيذ هذه المهمة ، و فرق فيهم الأموال الكثيرة ، وسار عن غزاه وفي جيوش يضيق بها الفضاء (٣) ولما بلغ السلطان خراسان ، كان طغرل بك في مدينته سوس منفصلاً عن أخيه ، فإراد السلطان مسعود مباغتته والحيلولة بين الأخوين وبين الاتصال ببعضهما ، (٤) فلما أرخى الليل سدوله ركب فيه سريعة العدو ، واتجه إلى سوس مع فريق من فرسانه ، فأخذته سنة من النوم ، وهو على ظهر الفيلة ، ولم يستطع أحد من أعوانه أن يوقظه ، أو أن يقود الفيلة في سرعة ، فكان بذلك سبباً في فشل خطته (٥) ، ذلك أن طغرل بك انتهاز الفرصة ، ولحق بأخيه جعري بك ، وتأهب مسعود للحرب مع السلاجقة في دندانقان بالصحراء الواقعة بين سرخس ومرو ، حيث الماء القليل ، والحر الشديد وحدثت منازعات بين عسكر مسعود حول الماء ، ولم يغب عن السلاجقة أخبار هذا الخلاف ، فتقدموا إليهم (٦) ، وخملوا عليهم وهم على هذا الحال من التخاذل والقتال والنهب ، فهزمهم شر هزيمة ، وولوا الأدبار ، لا يلوى أول على آخر ، وقتل منهم كثيرون وغنم السلاجقة من الجيش الغزنوي معانم كثيرة ، وقسمها قادمهم داود على أصحابه وجنده ، وآثرهم على نفسه ،

(١) Cambridge Medieval History, vol. iv. P. 304

(٢) البنداري : تاريخ دولة سلجوقي ص ٨

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦١٧ .

(٤) تاريخ البيهقي ص ٦٦٧

(٥) الراوندي : راحة الصدور وآية السرور ص ١٤٦ - ١٥٨

(٦) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ص ٢٧

ونزل في سراحق السلطان مسعود ، وقعد (١) على كرسية ونظر مسعود من حوله . فإذا به وجيداً ، فأدار عنانه ، وامتطى ظهر الفيلة ، وولى مهزوماً تاركاً خزائنه وأمتعته وسائر ما يملك قانعاً بالفراز والنجاة . وكان ذلك في رمضان سنة ٥٣١ هـ / ١٠٣٩ م (٢) .

تمتكن السلاجقة على أثر انتصارهم الراجع على السلطان مسعود من استعادة سيطرتهم على خراسان ، فعاد طغرل بك إلى نيسابور وحفظ الأمن والنظام فيها ، ودخل بيغوهرارة ، وسار داود إلى بلخ ، ولكن واليها الغزنوي رفض تسليم البلدة إلى السلاجقة ، وشد السلاجقة من حصارهم لبلخ ، فاستنجدوا فيها بالسلطان مسعود ، فسير مسعود جيشاً ، هزمه السلاجقة ، فاضطر وإلى بلخ إلى تسليم البلدة للسلاجقة ، ودخل في طاعتهم (٣) .

لما توفي السلطان مسعود سنة ٤٣٣ هـ / ١٠٤١ م . كان السلاجقة قد ارتفع شأنهم ، وعظمت قوتهم بعد الانتصارات الرائعة التي أحرزوها على الدولة الغزنوية ، والتي سيطروا على أثرها على إقليم خراسان ، ومن الطبيعي ألا يقنع السلاجقة بما أحرزوه من مكاسب بل تطلعوا إلى المزيد ، فاتهمزوا فرصة اضطراب الأمور في طبرستان وجرجان ، وضعف واليها أنوشروان ابن منوچهر بن قابوس بن وشمكير عن السيطرة عليها . وانصراف الحكومة الغزنوية عن ضبط الأمور في بلادها ، وسار طغرل بك إلى جرجان وامتلكها وصالح أهلها على مائة ألف دينار ، وولى عليها نائباً من قبله ، وعاد إلى نيسابور (٤) وبذلك فقدت الدولة الغزنوية تلك البلاد .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٣٢ هـ

(٢) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ص ١١

Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. P. 181.

(٣) الحسيني : أخبار الدولة السلجوقية ص ١٢ - ١٣

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٣٣ هـ

أخذت للدولة السلجوقية في الامتداد والاتساع على حساب الدولة الغزنوية ، ففي سنة ٤٣٤ هـ / ١٠٤٢ م أمر السلطان مسعود بخلع إسماعيل ابن التوتاش — والية على خوارزم — بسبب خروجه على طاعته ، وعهد إلى شاه ملك — وإلى جند — بولاية هذه البلدة بالإضافة إلى ولايته ، فلهذا إسماعيل إلى طغرل بك وداود وطلب منهما إعادته إلى خوارزم (١) ، فرأى الأميران السلجوقيان في هذا المطلب فرصة لتحقيق سياستهما التوسعية ، فسار داود مع إسماعيل إلى خوارزم . لكن شاه ملك تصدى للسلاجقة وقتلهم وهزمهم (٢) ، غير أن السلاجقة لم يركنوا إلى هذه الهزيمة ، بل عادوا إلى مهاجمة خوارزم بقيادة طغرل بك ، فحاصر خوارزم واستولى عليها وذاورها شاه ملك (٣) . وعلى ذلك دخلت خوارزم في حوزة السلاجقة بعد أن كانت تابعة للدولة الغزنوية .

وفي سنة ٤٤٧ هـ (١٠٥٥) م دخل طغرل بك بغداد ، ونودي به سلطاناً ، واعترف له الخليفة القائم بذلك ، فقبض طغرل بك على الملك الرحيم البويهى — آخر ملوك بني بويه — واعترف الخليفة القائم بأمر الله بطغرل بك سلطاناً ، وغمره بالهدايا بعد أن صد عنه قوات البساسيري ، وخلصه من بني بويه الشيعة ، ومنحه الخليفة بعض الامتيازات ، مثل حق ذكر اسمه في الخطبة ، وأنعم عليه ببعض الألقاب ، وبذلك اكتسب حكمه الصفة الشرعية ، وأصبح مؤسس دولة ، بعد أن كان زعيم قبيلة .

خلف طغرل بك في الحكم ابن أخيه ألب أرسلان ، وقد بلغت الدولة السلجوقية في عهده درجة كبيرة من القوة والازدهار ، بسبب شجاعته

(١) نفس المصدر السابق حوادث سنة ٤٣٤

(٢) Cambridge History of Iran vol. 5. P. 51.

(٣) Cambridge Medieval History. vol. IV. P. 303.

بإقدامه واستوزر الوزير المصلح نظام الملك الذي اشتهر بالعلم والسياسة ،
وأهم عمل أدبي قام به هو كتاب (سياسة نامه) الذي ضمنه نصائحاً للأمراء .
جمع نظام الملك حوله طائفة من العلماء والأعلام المشهورين ، فازدهرت
بتشجيعه الآداب والعلوم والفنون ، وأهم عمل قام به هو تأسيس المدرسة
النظامية المعروفة ببغداد ، وقد وفد عليها الطلاب من جميع أنحاء العالم
الإسلامي ، وتخرج منها مشاهير العلماء والأدباء .

أما ألب أرسلان فعنائه بالتركية الأسد الباسل أو الهمام ، وقد حكم
مملكة تمتد من نهر جيحون حتى نهر دجلة ، غير أنه لم يقنع بما تركه أسلافه
من فتوح وممتلكات ، بل عمل على إضافة ممتلكات جديدة إلى الإمبراطورية
السلجوقية ، فسير حملة إلى فارس سنة ١٠٦٤ م وأخضع إقليم خوارزم ،
وجعل ابنه ملكشاه حاكماً على هذا الإقليم ، وأخذ البيعة لابنه ملكشاه
بولاية العهد من حكام الأقاليم والولايات السلجوقية .

على أن أعظم أعمال هذا السلطان الحرية كانت انتصاره على الإمبراطور
البيزنطي رومانوس سنة ١٠٧١ م في موقعة ملازكرد ، ذلك أن البيزنطيين
أخذوا في توسيع ممتلكاتهم حتى بلغوا أطراف الدولة الإسلامية ، فسار
ألب أرسلان غرباً حتى قابل عدوه الذي خرج في مائتي ألف من الروم
بجلاء راء في تجمّل كثير وزي عظيم ، إلى ملازكرد من أعمال خلاط . والتقى
جيش السلجوقية بقيادة ألب أرسلان بجيش الروم في معركة حامية الوطيس .
تمكن المسلمون من أعدائهم وقتلوا فيهم كيف شاءوا ، وأنزل الله نصرهم
عليهم ، فانهزم الروم وقتل منهم ما لا يحصى حتى امتلأت الأرض بجثث
القتلى ، وأسروا ملك الروم ، وسبق إلى معسكر السلطان السلجوقي ألب أرسلان ،
فقال له السلطان : ما عزمتم أن تفعل بي إن أسرتني ، فقال أفعل القبيح .
فقال له السلطان : فما تظن أني أفعل بك . قال : إما أن تقتلني ، وإما أن
تسهرني في بلاد الإسلام ، والأخري بعيدة وهي العفو وقبول الأموال

واصطناعى فامباً عنك . قال السلطان السلجوقي : ما عزمت على غير هذا (٢) .

أطلق السلطان سراح الامبراطور البيزنطى بعد أن وعد بدفع فدية كبيرة قدرها ألف ألف دينار ، وخمسمائة ألف دينار ، وأن يرسل إليه عسكر الروم فى أى وقت يطلبه ، وأن يطلق كل أمير فى بلاد الروم .

ونجم عن هذه الموقعة تأسيس دولة سلجوقية بأرض الروم فى آسيا الصغرى ، كما أن ضياع هذه الولايات من البيزنطيين قد أصاب الإمبراطورية ينسكية لم تفق منها ، لأن الإمبراطورية كانت تأخذ خيرة جندها من تلك البلاد .

وفى سنة ١٠٧٢ لى السلطان ألب أرسلان حتفه بعد أن اقتصر على الترك فى إقليم تركستان (٢) .

تولى ملكشاه الحكم فى الدولة السلجوقية بعد وفاة أبيه ألب أرسلان وبدأ هذا السلطان عهده بالقضاء على الثورات والفتن الداخلية التى حدثت فى الدولة بعد وفاة أبيه . وفى سنة ١٠٨٦ قصد حلب ماراً فى طريقه بالموصل وقلعة جعبر ، وكان يهدف من وراء هذه الرحلة إقامة حكم سلجوقي قوى ومنظم فى هذه الجهات ، ودفع الطامعين عن حلب ، ومنحها لاق سنقر والدرزكى ، وعهد إلى ياغى سنان بحكم أنطاكية .

ولما عاد السلطان ملكشاه من حلب زار بغداد واستقبله الخليفة المقتدى بأمر الله بمظاهر الحفاوة والتكريم ، ثم أخضع بخارى وسمرقند وكاشغر ، وعلى كل فقد بلغت الدولة السلجوقية أقصى اتساعها فى أواخر عهد السلطان لملكشاه ، فقد اتسع نفوذها حتى امتد من حدود الصين شرقاً إلى أقاصى بلاد الشام غرباً ومن البلاد الإسلامية فى الشمال إلى جنوبى بلاد اليمن ، وأدى له هاباطرة الروم الجزية .

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٦٣ .

(٢) المصدر السابق حوادث سنة ٤٦٥ هـ .

وكان ملكشاه من أحسن الملوك سيره حتى أنه كان يلقب بالملك العادل وكان يحرص على رد ظلامه المظلوم ، ويفتح بابه لكل من يقصده من أصحاب الظلمات والحاجات ، وكانت السبل في أيامه آمنة ، والقوافل تسير من بلاد ما وراء النهر ، إلى أقصى بلاد الشام في أمن وطمانينة . ومهد الطرق المتجهة إلى مكة المكرمة . وأنشأ الآبار فيها (١) ، وكانت أمور الدولة الداخلية في يد الوزير المصلح نظام الملك ، وكان ملكشاه قد فوضه أمور دولته كلها ، وقال له : أفعل ما تراه مصلحة ، قد رددت الأمور كلها كبيرها وصغيرها إليك ، فأنت الوالد . ولقبه ألقاباً من جملتها أتابك . فظهر من كفايته وشجاعته وحسن سيرته ما هو مشهور في ذلك وكان عالماً جواداً كثير الصمت حلماً متديناً ، مجلسه يضم الفقهاء والأئمة والزهاد ، وأسس عدة مدارس ، وخصص لها أموالاً جلية (٢) .

ضعفت الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه ، وانقسمت إلى دويلات مستقلة ، يحكم كل منها أتابك .

أظهر أتابكة الموصل والجزيرة الولاء والطاعة لسلطين السلاجقة في فارس والعراق ، فكان زنگي أتابك لابن السلطان محمود (٣) ، وحرص على أن يظهر للخليفة العباسي وأمراء البلاد المجاورة أن الولاء والطاعة للسلطان ألب أرسلان . ولما توفي السلطان محمود ، حاول زنگي تولية ألب أرسلان السلطنة سنة ٥٢٥ هـ (١١٣٠ م) ، وأرسل إلى الخليفة المسترشد ، يطلب منه أن يقيم الخطبة لألب أرسلان في بغداد ، فرفض .

(١) ابن خلصكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٣٧١-٣٧٣

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٦٥ هـ .

(٣) البنداري : تاريخ دولة شنجوق ص ١٨٧

ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٧٦ .

المسترشد (١) وقال : إنه صبي ، وأن السلطان عهد بالسلطنة إلى ابنه داود ابن محمود (٢) .

على أن ألب أرسلان لم يقبل بقاءه في الموصل مسلوب السلطة ، بل حاول استعادة نفوذه فيها ، منتهزاً فرصة غياب زنكي عنها سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) ، ودبر مؤامرة تخلص بها من نائب زنكي في الموصل ظناً منه أن ذلك يمكنه من تحقيق غايته ، ولكن أعوان زنكي في الموصل أحبطوا محاولته .

ولما قتل عماد الدين زنكي سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٦ م) نادى جند الموصل بألب أرسلان سلطاناً عليهم ، وسار على رأسهم إلى الموصل غير أن وزراء زنكي لم يمكنوه من تولية حكمها (٣) .

حرص عماد الدين زنكي — أتابك الموصل — على إرضاء السلطان السلجوقي حتى يحتفظ بأتابكيته ، فلما قدم هذا السلطان إلى بغداد سنة ٥٢٣ هـ (١١٣٨ م) بتكليف من عمه السلطان سنجر بن ملكشاه — صاحب (٤) خراسان — ومعه الأمير ديبس بن صدقه ، ليصلح بينه وبين الخليفة المسترشد ، عفا الخليفة عنه (٥) ، وولاه الموصل ، فلما علم زنكي بذلك ، سار إلى بغداد ، وأرضى السلطان بئذله الأموال الكثيرة له (٦) ، فأقره السلطان على الموصل وخلع عليه (٧) .

(١) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١٠٤

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٤٦

(٣) Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusaders P.288.

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١٠٨ — ١٠٩

Runciman: A History of the Crusades. vol.2 p. 209

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٤٤

(٦) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ١١

الميني : عند الجمان في أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ١٧

(٧) Archer : The Crusades. p. 201

أبو الحسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٥ ص ٣٥٠

كذلك أسهم عماد الدين زنكى فى الحروب التى دارت بين السلاجقة ،
فعلما توفى السلطان محمود ، وأقام الخليفة العباسى المسترشد الخطبة لابنه داود ،
حاول مسعود الوصول إلى السلطنة (١) ، وانزعها لنفسه ، غير أن سلجوق
شاه — عم داود — نافسه فى الحكم ، وسار فى سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١) إلى
بغداد ، ونزل بدار السلطنة ، فاستمال السلطان مسعود عماد الدين زنكى
إليه (٢) ، وطلب منه مساعدته فى تولية السلطنة (٣) ، فأجابته إلى طلبه ، وسار
من الموصل قاصداً بغداد . ولما بلغ تكريت ، سار قراجه الساقى — أتابك
سلجوق شاه — إليها ، بينما أقام سلجوق شاه فى بغداد مع نفر قليل من
الجنود (٤) ، ودارت معركة بين زنكى وقراجه انتهت بهزيمة أتابك الموصل ،
وعود كثير من أتباعه ، وعودته إلى بلاده سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١ م) (٥) .
أما السلطان مسعود فدارت بينه وبين سلجوق شاه مناوشات على مقربة من
بغداد ، ولما بلغه هزيمة زنكى ، فت ذلك فى عضده ، وعاد إلى فارس (٦) .
غير أن الخليفة المسترشد استطاع أن يعقد صلحاً بين السلطان مسعود وأخيه
سلجوق شاه ، آت بمقتضاه السلطنة إلى مسعود ، وولاية العهد إلى سلجوق
شاه (٧) ، على أن السلطان سنجبر لم يمكن مسعود من الاستمرار فى السلطنة .
فبذل سار إلى بغداد وأمر عماد الدين زنكى ، بالتقدم إليها ليسكن عونا له

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٤٣

(٢) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٦

(٣) العيني : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان ، القسم الأول ج ١٢ ورقة ٣٨

Runciman : A History of the Crusades . vol. 2. p. 194

(٤) ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٢٥ - ٣٦

(٥) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٦ هـ

(٥) Setton : A Hist. of the Crusades. vol. I. P. 457.

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٤٨ - ٤٩

(٧) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٤٣ - ٤٤

أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٦

على مسعود ، واستطاع سنجر دخول بغداد ، وعزل السلطان مسعود وتولية الملك طغرل (١) .

عزل مسعود على العودة إلى بغداد بعد وفاة الملك طغرل سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤) ، لكن الخليفة الراشد اعترض على توليته السلطنة (٢) ، واستعان بعماد الدين زنكي - أتابك الموصل - لصدده عن بغداد ، غير أن السلطان السلجوقي أوقع بهما الهزيمة ، وولى السلطنة (٣) .

سامت العلاقات مرة أخرى بين السلطان مسعود وعماد الدين زنكي ، حين خرج على السلطان السلجوقي كثير من أمراء الأقاليم ، واعتقد أن زنكي يحرض الأمراء ضده (٤) ، فعزل على الانتقام منه ، بأن حشد جيشاً كبيراً سار به إلى الموصل سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٣ م) غير أن مسعوداً لم يشتبك مع زنكي في قتال (٥) ، ذلك أن الرسل تدخلوا في الصلح بينهما ، وقد تضمن هذا الصلح أن يؤدي زنكي للسلطان السلجوقي مائة ألف دينار (٦) . لكن زنكي لم يود غير جزء من هذا المبلغ ، ونزل له السلطان عن الباقي ، لأنه رأى أن زنكي هو الشخص الوحيد الذي يستطيع درء خطر الصليبيين عنها (٧) ، كما أن السلطان كان في حاجة إلى مداراته بعد أن كثر خروج أمراء البلاد التابعة له عن طاعته (٨) .

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٤٩ - ٥٠

(٢) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٦

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٠ هـ

ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣٥

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ٤٣

(٥) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٩٢

(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٦٥

(٧) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٧ .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ١٦٨

Setton : A History of the Crusades vol. 1. p. 460.

وكان مما حمل السلطان السلجوقي مسعود على مصالحة زنكى أن سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى كان نائباً عن أبيه في خدمة السلطان مسعود ، فلما ساءت العلاقات بين زنكى والسلطان السلجوقي ، فر سيف الدين غازى هارباً إلى أبيه ، غير أن زنكى أمر ابنه بالعودة إلى السلطان (١) ، فكان لعمله هذا أثر بالغ في نفس مسعود ، ومن ثم علت منزلة زنكى عنده (٢) .

سار قطب الدين مودود بن زنكى أتابك الموصل - على سياسة أبيه في الاشتراك في الحروب التي دارت مع السلاجقة ، فلما سار السلطان محمد إلى بغداد سنة ٥٥١ هـ (٣) (١١٥٦ م) لإرغام الخليفة المقتدى لأمر الله على إقامة الخطبة له ، وقف قطب الدين مودود إلى جانبه (٤) ، ودارت الحرب بين السلطان السلجوقي وأتابك الموصل من ناحية ، والخليفة المقتدى من ناحية أخرى انتهت بانتصار الخليفة على أعدائه ، وإرغامهم على الرحيل عن بغداد (٥) .

كذلك انضم قطب الدين مودود - أتابك الموصل - إلى السلطان محمد في نزاعه مع سليمان شاه الذى أغار هو وعسكره على أعمال الموصل ، فأرسل إليه واليهما زين الدين على كجك يطالب منه الكف عن مهاجمة بلاده ، فلم يستجب له ، وأعد جيشاً خرج به من الموصل ، واشتبك مع السلطان السلجوقي في معركة حلت فيها الهزيمة بالسلطان الذى قبض عليه ، ويجن بالموصل (٦) .

-
- (١) البندارى : تاريخ دولة سلجوقي من ١٨٩
 (٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٥١ هـ .
 (٣) البندارى : تاريخ دولة سلجوقي من ١٨٩
 (٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية من ١٠٩
 (٥) المصدر السابق من ١٠٨
 (٦) ابن البلائى : ذيل تاريخ دمشق من ٢٣٨
 ابن الجوزى : المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ من ١٠٥

ظل سليمان شاه في مجننه حتى سنة ٥٥٥ هـ (١) (١٨٦٠ م) حيث قدمت
برسل كبار الأمراء من بلاد الجبل إلى الأتابك قطب الدين مودود يطلبون
منه إنقاذ الملك سليمان شاه بن محمد ليولوه السلطنة على أن يكون قطب الدين
مودود مدبراً لأمر دولته ، فاستحسن قطب الدين مودود هذه الفكرة ،
وأرسل سليمان شاه من الموصل إلى همدان ، وصار بصحبته زين الدين علي
كجك في عسكر الموصل ؛ فلما اقتربوا من بلاد الجبل ، انحازت العساكر
إلى سليمان شاه ، وزاد بذلك عدد جنده ، فخشي زين الدين علي نفسه ، وعاد
بدون أن يحقق غرضه (٢) .

كذلك كانت علاقة قطب الدين مودود — صاحب الموصل —
بأرسلان شاه بن طغرل بن محمد يسودها الود ، فلما ولي السلطنة أرسل إلى
قطب الدين مودود رسولا يلتمس منه إقامة الخطبة له ، ونقش اسمه على
السكة ، وإنفاذ ما كانوا يرسلونه إلى السلاطين السلاجقة فأجاب بالسمع
والطاعة ، وأقام له الخطبة في الموصل والجزيرة وسائر بلاد ديار بكر .
واستمرت العلاقات الودية قائمة بينهما حتى وفاته (٣) . ولما ولي السلطان
بركن الدين طغرل توثقت العلاقة بين قطب الدين مودود وبينه ، وأقام له
الخطبة في سائر بلاده (٤) .

٣ — أتابكة المشرق الإسلامي :

لما استقر عماد الدين زنكي في الموصل ، اعتزم ضم شمال العراق إلى
دولته ، فزحف بجيشه إلى جزيرة ابن عمر ، وعرض على مهالك البرسقي

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية من ١١٤ — ١١٥ .

ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ١٩٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٥٥ هـ .

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية من ١١٤ — ١١٥ .

(٤) الحسني : تاريخ الدولة السلجوقية ص ١٦٤ .

— وكانوا يسيطرون على هذه الجزيرة — اموالا في مقابل تسليم البلدة ، لكنهم رفضوا (١) ، فقاتلهم قتالا شديداً دارت فيه الدائرة عليهم ، فطلبوا منه أن يؤمنهم ، ويسلموا له المدينة ، فأجابهم إلى ذلك ، ودخل الجزيرة سنة ٥٢٢ هـ (٢) (١٢٢٨ م) وضمها إلى حوزته (٣) .

واصل عماد الدين زنكى — بعد ضبطه أمور الجزيرة سياسته التي تنطوي على توسيع رقعة أتابكيتيه ، فزحف بجيشه إلى نصيبين — وكان يحكمها حسام الدين تمر تاش بن إيلغازى بن أرتق — صاحب ماردین فلما بلغها صاحب الموصل ، سار حسام الدين إلى ابن عمه — ركن الدولة داود — صاحب حوض كيفا — وطلب منه العون في صد زنكى عن نصيبين ، فاستجاب له ، وأعد جيشاً لهذا الغرض ، لكن زنكى لجأ إلى الحيلة والخديعة (٤) ، حتى تمكن من الاستيلاء على نصيبين (٥) .

ولما استولى عماد الدين زنكى على هذه المدينة ، سار إلى سنجار فقاومه أهلها ، غير أنه تغلب عليهم ، وتيسر له بذلك ضمها إلى حوزته ، ثم أرسل فرساناً إلى الخابور ، فاستولوا عليه ، وقصد زنكى بعد ذلك حران فلما اقترب منها ، خرج أهلها إليه معلنين له الولاء والطاعة (٦) . أصبح عماد الدين زنكى يشكل خطراً على مصالح بني أرتق في الجزيرة وديار بكر بعد أن استولى على بعض بلادهم ، ففي سنة ٥٢٤ هـ (١١٢٩ م)

(١) Lane. p. Poole; Saladin p. 52

(٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٧

(٣) ابن قاضي شهبه : السكواكب الدرية في السيرة النورية ورقة ٦٢ المبتقى : عقد الجمان في أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ٣

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٢٢ هـ .

(٥) Lane Poole. Saladin. P. 49

(٦) يذكر ابن الأثير أن أهل حران قاسوا كثيراً من هجمات الفرنج ، فلما سمعوا بفتوحات زنكى في الجزيرة ، قويت نفوسهم ، وعلموا أنهم قد أتاهاهم نصر من الله وفتح قريب ، فراسلوه بالطاعة ، واستحثوه على الوصول إليهم ، فسار نحوهم (التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٢٨) .

اجتمع ركن الدولة داود — صاحب حصن كيفا — وحسام الدين تمر تاش ابن إيلغازي — صاحب ماردين (١) — وانضم إليهما صاحب آمد، وعدد كبير من الأمراء، وجهزوا جيشا كبيرا من التركمان وعولوا على التخلص من عماد الدين زنكي (٢)، فساروا إليه، والتقى بهم زنكي عند مدينة دارا (٣) — وهي تابعة لبني أرتق — ودارت معركة بين الفريقين انتهت بهزيمة بني أرتق (٤)، وقد ضمن هذا النصر لزنكي سيادته على شمال العراق وأطراف آسيا الصغرى (٥).

واصل زنكي زحفه على البلاد المجاورة لدولته، فاستولى على سرجة (٦) ودارا (٧)، كما أنه عمل على تعقب بني أرتق، حين ساروا إلى جزيرة ابن عمر وعاثوا فيها فسادا (٨)، واضطروهم إلى الرحيل عنها (٩).

ولما تحسنت العلاقات بين حسام الدين تمر تاش بن أرتق — صاحب ماردين — وعماد الدين زنكي، انضم إليه في حصاره لآمد (١٠)، فاستنجد صاحبها سعد الدولة أبو منصور، بالأمير ركن الدولة داود — صاحب حصن كيفا — فأعد جيشا توجه إلى آمد لصده المغيرين عنها، ودار قتال بين الفريقين على أبواب المدينة، حلت فيه الهزيمة بركن الدولة، وقتل عدد كبير من

-
- (١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٤ هـ.
 (٢) ابن واصل: مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣٥ — ٣٦.
 (٣) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٨.
 (٤) ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص من ٢٧٠ — ٢٧١.
 (٥) Stevenson: The Crusaders in the East. p. 129.
 (٦) حصن بن نمشيين ودينسر ودارا (ياقوت: معجم البلدان ج ٣ ص ٢٤).
 (٧) ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٠ — ٢٧١.
 Setton: A History of the Crusades, vol.1 p. 459.
 (٨) ابن خلدون: المعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ص ٢٥٦.
 (٩) ابن واصل: مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣٦ — ٣٧.
 Setton: A History of the crusades. vol 1. p.457.
 (١٠) البغوي: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ج ١٢ ص ٥٦.
 (١١) — بلاد الجزيرة العربية

جنده (١)، وظل عماد الدين زنكى وحسام الدين تمر تاش يحاصران آمد سنة ٥٢٨ هـ (١١٣٣ م) دون أن يتمكنوا من الاستيلاء عليها (٢).

كان عماد الدين زنكى يطمع فى الاستيلاء على بعض قلاع ديار بكر (٣) حتى يتيسر له ضم هذا الإقليم إلى حوزته، فقصد قلعة الصور، وظل يحاصرها حتى استولى عليها سنة ٦٥٨ هـ (١١٢٣ م) ثم حاصر قلعة العقير وشوش (٤) وضمها إلى أتابكيتها (٥). ثم واصل زنكى زحفه وتقدمه فى ديار بكر فهاجم قلاع العسكرية، وتمكن من الاستيلاء عليها بعد أن عجز أميرها أبو الهيثجاء بن عبد الله عن مقاومة قواته (٦).

لم يكتف عماد الدين زنكى بما استولى عليه من بلاد وقلاع، بل عول فى سنة ٥٣٤ هـ (١١٣٩ م) على السير إلى شهرزور (٧)، فتصدى له حاكمها قفجاق بن أرسلان شاه التركمانى (٨) - الذى التف حوله التركمان، وكثر

(١) Gibb : The Damascus Chronicle of the Crusades p.227

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٥٤ - ٢٥٥

(٣) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٩

(٤) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، القسم الثانى ج ٨ ص ١٨٩

(٥) كان زنكى ينتقم على صاحبها الأمير عيسى الحميدى لأنه أمد الخليفة المسترشد أثناء حصار الموصل بعدد كبير من جنود التركمان.

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٥٤ - ٥٥

Gibb: The Damascus Chronicle of the Crusades. p.264

(٦) كذلك تمكن نصير الدين جمر - نائب عماد الدين زنكى - من الاستيلاء على جبل طيبة وتوش وقلعة الجلاب، كما استولى على جميع حصون الأكراد الهذبانية. وترب على ذلك استتباب الأمن والنظام فى هذه البلاد، بعد أن كان الأكراد يلحقون الضرر والأذى بأهلها.

(ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ)

(٧) كورة واسعة فى الجبال بين ماربل وحمضان.

(ياقوت الحموى : معجم البلدان ج ٣ ص ١٦)

(٨) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ١٦

جنده ، وحدثت مناوشات بين الفريقين انتهت بهزيمة التركمان ، واستيلاء عماد الدين زنكي على شهر زور وأعمالها (١) .

على أن الأمور لم تستقر لعاد الدين زنكي في بلاد الهكارية ، فعاد الأكراد فيها فساداً سنة ٥٣٧ هـ (١١٤٢ م) ولكن نصير الدين جقر - نائب زنكي - استولى على بعض بلادهم ، وحاصر قلعة الشعبان - وهي من أعظم قلاعهم - فضمها إلى حوزته ، ثم أزالها ، وأمر ببناء قلعة جديدة عوضاً عنها سماها قلعة العمادية (٢) ، نسبة إلى عماد الدين زنكي ، وكانت حصناً عظيماً يندر وجوده في حصون الجبال (٣) . كذلك عول زنكي في هذه السنة على مد نفوذه إلى آمد ، وكان يلي حكمها ركن الدولة داود - صاحب حصن كيفا - فأرسل إلى صاحبها يطلب منه الدخول في طاعته ، وإقامة الخطبة له ، وهدده بالمسير إلى آمد ، وأخذها منه عنوة ، إذا لم يستجب له ، غير أن صاحب آمد لم يوافق على تسليمها لزنكي (٤) .

لم يكف زنكي عن مهاجمة ديار بكر ، والتوسع في أراضيها ، ففي سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٢ م) استولى على عدة بلاد وبعض الحصون المجاورة لها (٥) ، ثم رتب أمورها ، وحاصر مدينتي عانة والحديثة (٦) - على نهر الفرات - وامتلكها (٧) .

كانت سياسة زنكي تنطوي على الاستيلاء على جميع القلاع التي تتوسط

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ .

(٢) ابن واصل : مفرج السكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٨٤ .

(٣) ابن قاضي شهاب : السكواكب للدرية في السيرة النورية . ورقة ٨٠ .

Lane-Posle : Saladin. p. 55

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٦٤ .

(٥) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٧٠ .

(٦) Settone: A. History of the Crusades. vol.1 p. 460 .

(٧) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٥٦ .

بلاده حتى يكون آمنا في ملكه ، فسار سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) إلى قلعة جعبر (١) بغية الاستيلاء عليها (٢) ، كما سير جيشا إلى قلعة فنك (٣) .

ولما طال حصار زنكي لقلعة جعبر ، دون أن يتمكن من فتحها ، أرسل إلى صاحبها رسولا يدعوهُ إلى تسليمها ، ويعرض عليه عوضا عنها . لكنه رفض تسليمها (٤) .

ولم يتيسر لزنكي الاستيلاء على قلعة جعبر ، فقد اغتاله بعض مماليكه (٥) ، كما أن القوات المحاصرة لهذه القلعة ، وقلعة فنك رفعت الحصار وعادت . أدراجها (٦) .

وأصل سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي سياسة أبيه في المحافظة على البلاد التي ضمها إلى دولته ، فلما توفي زنكي استرد حسام الدين تمر تاش - صاحب ماردين - مدينة دارا (٧) ، فقصدتها سيف الدين غازي سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م) ولم يزل يحاصرها حتى استولى عليها (٨) . وعلى كثير من أعمال ملردين نفسها ، كما عاث جنده في ديار بكر فسادا وتخريبا (٩) ، فلما رأى

-
- (١) كانت قلعة جعبر ملكا للسلطان ملكشاه ، فسلمها إلى الأمير - سالم بن مالك - المقتلي ، فلم تزل بيده ويده أولاده حتى سنة ٥٤١ هـ .
(٢) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٨١ .
(٣) حصن مجاور للجزيرة ابن عمر من أمنع الحصون ، ومطل على دجلة ، يمتلكه جماعة من الأكراد .

- أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١٠٥
(٤) Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 P. 241
(٥) ابن القلائسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٢
(٦) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٩٨
(٧) الميني : عقد الجمان في أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ١٦
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٥ ص ٢٧٩
(٨) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١١٥
(٩) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الثاني ج ٨ ص ٣٠٤
(٦) Runciman : A History of the Crusades. p. 241

حسام الدين أن لا طاقة له بسيف الدين خالجه ، وزوجه أبنته (١) ورحل
أتابك الموصل عائداً إلى بلاده (٢) .

تغيرت الأوضاع السياسية في بلاد الموصل والجزيرة بوفاة نور الدين
نجمود بن زنكي سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) ، فلما علم سيف الدين غازي الثاني
ابن قطب الدين - أتابك الموصل - بذلك اعتزم استعادة البلاد التي كان عمه
نور الدين قد استولى عليها في الجزيرة ، فسار إلى نصيبين ، وضمها إلى حوزته (٣)
ثم استولى على الحلابور (٤) ، وسار إلى حران وحاصرها عدة أيام ، وكان
بها مملوك لنور الدين يسمى قياز ، فامتنع بها ، ثم أعلن ولاءه لسيف الدين
غازي على أن تكون حران له . ولما أمن جانب سيف الدين ونزل عن
القلعة ، قبض عليه ، وأخذ حران (٥) منه ، ثم سار إلى الرها ، وأخذ
يحاصرها حتى تمكن من الاستيلاء عليها وعلى بلاد الجزيرة ما عدا قلعة جعبر (٦) .
لم يأل أتابك الموصل والجزيرة جهداً في سبيل توسيع رقعة إدرهم ،
وفي سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٧ م) سار نور الدين أرسلان شاه - أتابك الموصل -
إلى مدينة نصيبين (٧) ، فاستولى عليها بعد أن فشل أميرها قطب الدين
نجمد في صدده عنها ، وهرب جنده إلى ديار بكر ومنها إلى حران (٨) حيث

-
- (١) العيني : عقد الجمان في أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ١٦٧
(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٤٠٤
(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٧٥
(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٩ هـ
(٥) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٥٩
(٦) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٥٩
(٧) استاء نور الدين أرسلان شاه - أتابك الموصل - من قطب الدين نجمد - أمير
نصيبين - لأن خواجه بها استولوا على عدة قرى من أعمال بين النهرين من ولاية الموصل ،
بوسهي نجاور ولاية نصيبين .

- ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٩١
(٨) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٣ ص ٧٩

طلبوا من الملك العادل أبي بكر بن أيوب أن يساعدهم على استرداد نصيبين،
لكنه أعرض عنهم (١).

على أن قطب الدين طالبه أن يستعاد نصيبين، بعد أن اضطر نور الدين
أرسلان شاه إلى الانسحاب منها والعودة إلى الموصل، بعد أن تفشى المرض.
بين جثده (٢).

لم تقف أطماع نور الدين أرسلان شاه أتابك الموصل — عند هذا
الحد بل أغار على تل يعلم (٣) — سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م) وكانت تابعة
وقتها لسنجار — واستولى عليها، فاستنجد صاحبها قطب الدين بالملك
الأشرف بن العادل، وسنجر شاه — أتابك الجزيرة — وبعض أمراء
بنى أيوب واجتمع جندهم لمحاربة صاحب الموصل (٤)، واشتبكوا معه في
معركة، حلت فيها الهزيمة بنور الدين، وعاد إلى الموصل (٥)، وتحصن بها،
ثم دارت مراسلات بينه وبين الملك الأشرف، انتهت بالصلح بينهما،
ورفع الحصار عن الموصل (٦).

كذلك حاول قطب الدين إيلغازي بن ألبى تمر تاش — صاحب ماردين.
أخذ بلدة البيرة، وكانت ملكا لابن عمه شهاب الدين الأرتقي، ولما توفي.
خلفه ولد صغير دخل في طاعة صاحب الموصل، فطمع صاحب ماردين في.
أخذ البيرة (٧) سنة ٥٧٧ هـ وأرسل إلى عز الدين مسعود — أتابك الموصل.

(١) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٧.

(٣) اسم قلعة وروض بين سنجار والموصل في وسط واد فيه نهر جار.

(٤) ياقوت: معجم البلدان ج ٢ ص ٤٠٦.

(٥) ابن واصل: معجم الكروبي في ذكر دولة بني أيوب ج ٣ ص ١٥٦.

(٦) أبو الفدا: المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١١٠.

(٧) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الثاني ج ٨ ص ٥١٨.

(٨) ابن الأثير: التكميل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٧ هـ.

يطلب منه أن يأذن له في محاصرة البيوة والاستيلاء عليها ، فأجاب طلبه (١) ،
وسار في عسكره إلى سميساط ونزل بها ، ثم أُنقذ العسكر إلى البيرة فحاصرها
واضطر صاحبها إلى الاستنجاد بصلاح الدين ، فأنفذ رسولا إلى صاحب
ماردين يطلب منه الامتناع عن مهاجمة البيرة ، فأبى إجابة طلبه . ثم مال بث
أن رحل عنها حين رأى أن حصاره لهذه المدينة قد طال دون (٢) جدوى .

وكان مظفر الدين كوكبوري صاحب إربل يقدم على كثير من المخاطر
والمغامرات في سبيل توسيع رقعة دولته ، ففي سنة ٦٠٢ هـ (١٢٠٥ م) اتفق
مع علاء الدين — صاحب مراغة — على قصد أذربيجان (٣) ، وأخذها من
صاحبها أبي بكر البهلوان الذي عرف بميله إلى العبث واللغو ، فسار صاحب
إربل إلى مراغة ، واجتمع مع صاحبها علاء الدين ، ثم زحفا إلى تبريز ،
فأعد صاحبها العدة لمقاومة جيوشها الزاحفة ، وأرسل أيتغمش — مملوك
أبيه — إلى أتابك إربل يحثه على الكف عن القتال ، والعودة إلى بلده (٤)
غير أن مظفر الدين واصل زحفه إلى بلاده ، ولما أيقن صاحب إربل من
مسيرة أيتغمش إليه على رأس جيش كبير ، عول على الانسحاب على الرغم
من أن حليفه علاء الدين طلب منه البقاء في مكانه ، لكن مظفر الدين عاد
إلى إربل خشية من اشتباكه مع قوات أيتغمش (٥) .

كذلك حاول ناصر الدين الأرتقي — أمير ماردين — مد نفوذه إلى

(١) ابن واصل : مغرَج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١١٦

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٧ هـ

(٣) نفس المصدر حوادث سنة ٦٠٢ هـ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٠٢ هـ

(٥) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، القسم الثاني ج ٩ ص ٥٢٦

خلاط ، لكنه لم يستطع لأن أحد عماليك شاه أرمن بن سكيان ، اتزع
الحكم من صاحب خلاط (١) .

كانت مدينة حلب تتبع أتابكية ماردين قبل استيلاء زنكي عليها ،
فاضطربت أحوالها بعد وفاة صاحبها رضوان بن تلش سنة ٥٠٧ هـ (٢)
(١١١٧ م) واستدعى أهلها إيلغازي بن أرتق — صاحب ماردين — سنة
٥١١ هـ (١١١٧ م) وسلموا إليه المدينة (٣) . فأتاب عنه في حكمها ابنه
حسام الدين تمر تاش ، واستطاع درء خطر الفرنجة عن حلب (٤) . ولما
توفي أبوه عاد حسام الدين إلى ماردين وأتاب عنه في حكمها ابنه سليمان (٥)
غير أن سليمان مالبث أن ثار على أبيه بتحريض من بعض عماليكه فعزله ،
وولى مكانه سليمان ابن أخيه عبد الجبار سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) ، ولقبه
بدر الدولة (٦) .

لما عجز سليمان بن عبد الجبار عن درء خطر الفرنجة عن حلب ،
اتزعها منه مالك بن بهرام بن أرتق سنة ٥١٦ هـ (١١٢٢ م) (٧) كما استولى
على حران ومنبج ، ولم يزل مالك بن بهرام مستولياً على حلب حتى قتل ،
فسار إليها تمر تاش بن إيلغازي ، وملكها ، غير أن الفرنجة ظلوا مصدر
خطر كبير على حلب ، فاستدعى أهلها البرسقي — صاحب الموصل — فلبى

-
- (١) ابن الأثير : السكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٠٣ هـ
(٢) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٨١ - ١٨٢
Runciman : A History of the Crusades vol.2 p. 134
(٣) ابن الأثير : السكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١١ هـ
(٤) Runciman . A History of the Crusades, vol. 2 pp. 151-152
(٥) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٠٩ - ٢١٠
(٦) ابن الأثير : السكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ
(٧) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٠٩ - ٢١٠
(٨) ابن الوردي : تكملة المختصر في تاريخ البشر ج ١ ص ٣٢

طلبهم وتيسر له بذلك الاستيلاء على حلب ، ثم خلفه في حكمها ابنه (١) عز الدين مسعود .

اضطربت الأمور في حلب بعد وفاة أتابكها عز الدين مسعود بن البرسقي ، فأصبحت ميداناً للنزاع بين سليمان بن عبد الجبار الأرتقي ، وإبراهيم ابن رضوان السلجوقي (٢) في الوقت الذي أراد فيه الصليبيون الاستفادة من تلك الأوضاع في الاستيلاء على حلب (٣) التي كانت في حاجة إلى حاكم قوى يتولى صد الأخطار التي تهددها (٤) .

رأى زنكي أن الفرصة قد سنحت له للاستيلاء على حلب ، وضمها إلى دولته في شمال العراق ، وكان يأمل من وراء ذلك تكوين جبهة إسلامية متحدة . يتيسر لها الوقوف في وجه الخطر الصليبي ، ذلك أن الذي يحكم حلب يستطيع قطع الصلة بين إمارة الرها من ناحية والإمارات الصليبية بالشام من ناحية أخرى (٥) .

وبينما كانت حلب تعاني من الاضطرابات الداخلية (٦) دخلها عماد الدين زنكي حاملاً تقليداً من السلطان محمود بحكمها (٧) ، فوجه اهتمامه إلى إصلاح أمورها (٨) ، كما عمل على تعمير ما خربه الصليبيون في غاراتهم عليها ،

(١) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣٧

(٢) العيني : عقد الجمان في أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ١١

Archer : The Crusades. p. 199

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٣٧ - ٢٣٨

(٤) Setton : A History of the Crusades. vol. Ip. 433

(٥) سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٦٩

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣٨ - ٣٩

(٧) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٢ ص ٢٥٠

(٨) العيني : عقد الجمان في أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ٣٢ ورقة ١٢

وأقطع أعمالها الأمراء والأجناد (١) ، وأتاب عنه في حكم حلب الرئيس
صفي الدين أبا الحسن علي بن عبد الرازق العجلاني فأحسن معاملة أهلها (٢) .

اتبع زنكي بعد استيلائه على حلب سياسة تنطوي على ضم الإمارات
الإسلامية في بلاد الشام إلى حوزته ، فسار إلى حماة سنة ٥٢٤هـ (١١٢٩م)
وكان أتابك دمشق وقتذاك قد ولي عليها ولده سونج بن بوري (٣) — وأدعى
أنه يريد محاربة الفرنجة (٤) ، وأرسل إلى تاج الملوك بوري بن طفتكين —
أتابك دمشق — يستنجد به ، ويطلب منه المعونة على جهادهم (٥) ، فأجاب
طلبه ، إذ كان يخشى جانب بلدوين الثاني — ملك بيت المقدس — ولذلك
أرسل جيشاً إلى ابنه سونج — صاحب حماة (٦) — وأمره بالسير إلى
عماد الدين زنكي ، والوقوف إلى جانبه في محاربة الصليبيين (٦) ، لكن

(١) يقول ابن الأثير : لولا أن الله تعالى من على المسلمين بولاية عماد الدين زنكي ،
لكان الفرنج قد استولوا على الشام جميعه ، فانهم كانوا لهم من أتابك طفتكين شاغل
ومانع عن بعض أغراضهم ، وكانوا متى حصروا حلب وغيرها ، جمع طفتكين عسكره ،
وسار نحوهم ، فيرحلون ، فقدر الله تعالى أنه توفي سنة ٥٢٥هـ ، فخلت البلاد بالمره من
حام يذب عنها .

(التاريخ الباهر في الدول الأتابكية ص ٣٨) .

(٢) ابن الوردي : تشمة المختصر في تاريخ البشر ج ١ ص ٣٤ .

(٣) كانت البلاد الإسلامية في الشام مقسمة بين ثلاث قوى ، الأولى يحكمها بوري ابن
طفتكين — أتابك دمشق — ويسيطر على دمشق وحماة في الشمال وحموران في الجنوب ،
والثانية يحكمها مصمم الدين خير خان بن قراجا أمير حمص ، والثالثة سلطان بن منقذ ، وهو
الأمير العربي الذي يسيطر على شيزر . ولم يستطع كل من خير خان وسلطان بن منقذ
مقاومة زنكي ، فأعلننا ولاءهما له ، وبذلك لم يبق أمام زنكي سوى تاج الملوك بوري
— أتابك دمشق —

ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٣٨

(٤) أبو المحاسن : التيجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ١ ص ٢٣٦

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب في تلويح حلب ج ٢ ص ٢٤٥ .

Gibb : The Damascus Chronicle of the

Chusades. p.p. 200-201.

(٦) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٢٨

زنكي غدر بشونج حزين وفد إليه ، فقبض عليه ، وعلى جماعة من أصحابه (١) .
ونهب خيامهم وأثقالهم وأسلحتهم ، فهرب بعضهم ، واعتقل البعض الآخر
في حلب (٢) ، وبذلك تيسر له دخول حماه والاستيلاء عليها (٣) .

أسند زنكي ولاية حماه لعمصام الدين خير خان بن قراجه — صاحب
حمص — بعد أن أدى له مبلغاً من المال ، ثم لم يلبث أن غدر به ، فانقض
عليه وحبسه بقلعة حلب ، واتجه بعد ذلك إلى حمص ، فامتنع أولاد عمصام
الدين بقلعتها ، ورقضوا تسليمها (٤) .

استقر رأى شمس الملوك إسماعيل بن تاج الملوك بوري — أتابك
دمشق — على استرداد حماه ، فسار إليها سنة ٥٢٧ هـ (١١٢٢ م) وشدد
عليها الحصار ولم تستطع حاميتها الدفاع عنها ، كما أن أهلها طلبوا الأمان ،
فأجاب أتابك دمشق طلبهم (٥) ، وانصرفت حاميتها عن الدفاع عنها ، مما
مهد السبيل لأتابك (دمشق) للاستيلاء عليها (٦) .

هيات الأحوال السياسية في مدينة دمشق الفرصة لعماد الدين زنكي
الاستيلاء عليها ، وتحقيق أطماعه في إقامة دولته في بلاد الشام ، ذلك أن
أتابك دمشق شمس الملوك إسماعيل كان سعى السيرة (٨) ، فاشتدت كراهة الناس
له ، ولما خشي بأسهم ، أرسل إلى عماد الدين زنكي يطلب منه القدوم إلى
دمشق والاستيلاء عليها (٨) ، وألح في ذلك ، حتى أرسل إليه يقول : « إن

(١) Setton : A History of the Crusades. p. 430 .

(٢) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٣

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٣٤٦

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٣ هـ .

المعنى : عقد الجمان في أخبار أهل الزمان ج ١٢ ورقة ١٦

(٥) Gibb : The Damascus Chronicle of the Crusades. pp. 219-220

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٥٣

(٧) نفس المصدر ج ١ ص ٧٠

(٨) Setton : A History of the Crusades vol. I. p. 457

اهملت المجيء سلمت المدينة إلى الفرنج (٢) ، ولما تحقق أصحاب أتابك دمشق من نواياه ، عمدوا إلى التخلص منه ، وخلفه أخوه شهاب الدين محمود ابن بوري (٣) .

عزل عماد الدين زنكي على المسير إلى دمشق سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤ م) وأنفذ رسلاً قبل وصوله إليها لمحاولة إقناع أهلها بالتسليم ، غير أن أهلها لم يستجيبوا للصلح (٤) ، فلما بلغها زنكي أخذ في محاصرتها ، فواجه مقاومة عنيفة تزعمها معين الدين أنر — أحد مماليك طغتكين — فاضطر زنكي إلى رفع الحصار عنها ، وعقد صلحاً مع أهلها (٤) ، وخاصة أن الخليفة المسترشد أمره برفع الحصار عن هذه المدينة والرحيل عنها (٢) ، وهكذا ظلت دمشق عقبة كبيرة في سبيل تحقيق سياسة زنكي التي تنطوي على توخيد الجبهة الإسلامية في بلاد الشام .

وعلى الرغم من فشل زنكي في فتح دمشق فإنه واصل سياسته في التوسع في بلاد الشام ، فزحف إلى حمص سنة (٢) ٥٣١ هـ (١١٣٦ م) — وكان

(٣) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٤ ص ٧

(٤) Runciman : A History of the Crusades p. 197

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٤٥ — ٢٤٦

(١) المعين : عقد الجمان في أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ٧٠

(١) ابن الأثير : السكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٩ هـ

(٤) ابن واصل : مفرج السكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٥٧

(٢) كان يحكم حمص صمصام الدين خير خان بن قراجا الذي قبض عليه زكي سنة ٥٢٤ هـ ، وولى حمص بعده ابنه عين الدين إبلخان فقتله بعض مماليكه سنة ٥٢٦ هـ ، وخلفه أخوه الأمير قریش بن خير خان ، وكان يدير أمره أحد مماليكه واسمه خرتاش ، الذي سلم حمص لـ «الأمير شمس الملوك إسماعيل بن بوري — أتابك دمشق — فلما قتل شمس الملوك ، وولى بعده أخوه شهاب الدين ، سلم حمص للأمير معين الدين أنر — مملوك جده طغتكين — وقد حال بين زنكي وبين الاستيلاء على حمص .

ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٤٣

(ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٥٨)

يحكمها معين الدين أنر نائبا عن أتابك دمشق — وحاصرها فترة من الوقت (١) .
غير أنه ما لبث أن رفع الحصار عنها حين علم أن الصليبيين أتوا لتنجيدها (٢) .
لم يكف عماد الدين زنكى عن محاولة ضم البلاد الإسلامية في الشام
إلى حوزته فاستولى على حصن المجدل (٣) ودخلت بانياس في طاعته (٤) .
ثم عاد إلى محاصرة حصن ، لكنه ما لبث أن رفع الحصار عنها حين هاجم
الإمبراطور البيزنطى حنا كومنين حلب (٥) ولما عاد الإمبراطور البيزنطى
إلى بلاده ، عاود زنكى الهجوم على حصن غير أنه توقف عن مهاجمتها بعد
أن تحسنت العلاقات بينه وبين أتابك دمشق الذى وافق على ضم حصن إلى
حوزته ، ونزل زنكى له عن بعدين وحصنين آخرين (٦) .
على أن زنكى ما لبث أن أتاحت له فرصة أخرى لتحقيق أطماعه في
دمشق (٧) حين قتل أتابكها الأمير شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بيد
غلمانه سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) إذ أرسلت والدته — وهى زوجة عماد
الدين زنكى — تطلب منه القدوم إلى دمشق ، والثأر لابنها ، فأعد زنكى
العدة للزحف إلى هذه المدينة سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) ، غير أن أهلها الذين
أخلصوا لبيت يورى ، حشدوا قوات كبيرة للدفاع عن مدينتهم (٨) كما أن
معين الدين أنر — نائب أتابك دمشق — أفسد على زنكى أطماعه ، فقبض .

(١) Gibb : The Damascus Chronicle of the Crusades. p. 242

(٢) ابن الفلانى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٨

(٣) مجدل : اسم بلد بالخابور ، إلى جانبه تل عليه قصر

(مناقوت منجم البلدان ج ٧ ص ٣٨٧) .

(٤) ابن الفلانى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٢

(٥) ابن المديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦٤

Runciman : A History of the Crusades vol. 2 p. 261

(٦) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٢٠

Stevenson . The Crusaders in the East. p. 142

(٧) Gibb : The Damascus Chronicle of the Crusades. p. 254

(٨) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٨٦

على زمام الأمور في دمشق ، ثم بحث في طلب جمال الدين بوري - أمير بعلبك - ليحل محل أخيه (١) أتابك دمشق ، فلما ولي الحكم ، فوض لمعين الدين أثر تدير الأمور في أمارته (٢) ، فتصدى لزنكي وحال دون استيلائه على دمشق (٣) .

وعلى الرغم مما واجه زنكي من صعوبات في سبيل الاستيلاء على هذه المدينة فإنه لم يقلع عن سياسة التوسع فسار إلى بعلبك وحاصرها (٤) . غير أن أهلها استسلموا في الدفاع عن مدينتهم ، ولما رأوا أن لا طاقة لهم بزنكي وجنده طلبوا منه الأمان ، فأمنهم (٥) ، وسلموا إليه المدينة (٦) ، كما استلمت حامية قلعتها بعد أن ينست من النصر (٧) .

لما فرغ زنكي من ضبط الأمور في بعلبك ، عول على المسير إلى دمشق محاولاً فتحها للمرة الثالثة ، فأرسل قبل شروعه في مهاجمتها إلى أتابكها جمال الدين محمد بن تاج الملوك بوري يطلب منه الزول عن دمشق مقابل إعطائه حصص أو بعلبك (٨) ، لكن أتابك دمشق رفض هذا العرض ، فلم

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٣ هـ .

(٢) ابن العديم . زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٢

(٣) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٠

(٤) Zoe olden Bourg; Les Croisades. p.521

(٥) العيني : عقد الجمان في أخبار الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ١١٤

(٦) لما استولى زنكي على بعلبك نكث بالعهد الذي منعه لأهلها ، فاعتدى على الرجال والنساء والأطفال اعتداءً ظالماً ، ويقول ابن الأثير : إن الناس استعجبوا منه ذلك ، وخالفوه وحذروه ، ولا سيما أهل دمشق ، فانهم قالوا : لو ملكنا بفعل ذلك ، فجدوا في محاربته .

(٧) الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٣ هـ .

Setton : A History of the Crusades vol. 1. p. 549

(٨) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٩

ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٣

(٨) ابن واصل : مفرج السكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٨٦

يحمد زنكي بدأ من الزحف إلى هذه المدينة سنة ٥٣٤هـ (١١٣٩م) غير أن أتابكها توفي في ذلك الوقت ، وحدث خلاف بين أفراد بيت بوري على من يتولى الحكم في دمشق (٢) ، فاستقل زنكي ذلك الخلاف ، وشدد هجماته على المدينة (٣) غير أن معين الدين أنر مالبث أن قضى على هذه الخلافات ، وولى مجير الدين ابق بن جمال الدين أتابكية دمشق (٤) ثم استقر رأيه على الاستنجاد بمملكة بيت المقدس الصليبية ، فأرسل أسامة بن منقذ مبعوثاً إلى ملكها (٥) فوكله ، فحذر من خطر زنكي إذا ما استولى على دمشق (٦) ، وكان لحديثه تأثير بالغ في نفوسهم ، وخاصة بعد أن ضم إلى حوزته حمص وحماه وحلب وبعليك (٧) ، ولم يبق أمامه سوى دمشق ، فأيقنوا أن امتلاكه هذه المدينة يمكنه من تكوين جبهة إسلامية في بلاد الشام وشمال العراق تشكل خطراً كبيراً عليهم (٨) . كذلك عرض أسامة ابن منقذ رسول معين الدين أنر - نائب أتابك دمشق - على ملك بيت المقدس الاستيلاء على بانياس (٩) - وكانت وقتذاك تابعة لزنكي - فجمع الصليبيون جموعهم ، وتأهبوا للزحف إلى دمشق لمعاونة معين الدين أنر في الذود عنها (١٠) . ولما علم عماد الدين زنكي بذلك ، سار إلى حوران ، معزماً لقاء الصليبيين قبل أن يجتمعوا مع أهل دمشق على قتاله (١١) . غير أن الصليبيين

(١) (ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ) .

Gibb : The Damascus Chronicle of the Crusades. p. 259

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٣ - ٢٧٤

(٣) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٥ - ١٦

(٤) ابن الوردي : تمة المختصر في تاريخ البشر ج ٢ ص ٤٣

(٥) أسامة بن منقذ : الاعتبار ص ٨١

(٦) ابن الفلانسى : ذيل تاريخ دمشق ٢٧٢

(٧) Archer : The Crusades. p. 195

(٨) Zoe OldenBourg : Les Croisades. P. 468

Runciman : A History of the Crusades. vol 2 pp. 226-227

(٩) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٣٤ هـ .

(١٠) ابن الفلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٣

(١١) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٨٨

مالبثوا أن عدلوا عن خطتهم ، وظلوا في بلادهم ، فعاد عماد الدين زنكي إلى حصار دمشق (١) .

أمامعين الدين أنزفانه سار إلى بانياس ، وحاصرها وأوقع الهزيمة بصاحبها ، وقتل كثيراً من رجاله ، وتمكن من الاستيلاء على البلدة ، وتسليمها إلى الفرنجة (٢) تحقيقاً لوعده (٣) .

لما بلغ زنكي حصار بانياس ، وتسليمها إلى الفرنجة ، عظم ذلك عليه وعول على الانتقام منهم ، فأغار على ضرور وأعمال دمشق (٤) ، ثم حاصر هذه المدينة ، واضطرب أهلها حين شاهدوا في الصباح عسكر زنكي محاصراً للدم (٥) . غير أن زنكي مالبت أن رفع الحصار ، ورجع إلى مرج راهط لأن كثيراً من جنده كانوا متفرقين (٦) ، فلما عادوا إليه محملين بالغنائم ، رحل بهم عائداً إلى الموصل (٧) ،

انقسمت مملكة زنكي بعد وفاته سنة ٥٤١ هـ (١١٤٦ م) بين ولديه سيف الدين غازي ، ونور الدين محمود ، فاحتفظ الأول بالموصل ، على حين تمسكن نور الدين محمود من تثبيت قوته في حلب ، وكان الحد الفاصل بين أملاك الأخوين هو نهر الخابور (٨) .

(١) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٣

(٢) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٦ .

Setton ; A History of the Crusades vol. 1.p 460

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٢

Grousset : Histoire des Croisades vol. 2 p. 2 p. 137

(٤) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٤٨٦

(٥) Setton : A History of the Crusades vol I. p. 460

(٦) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ١ ص ٨٩

(٧) ابن الأثير الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ .

(٨) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١١٤

ولما ولي قطب الدين مودود الموصل سنة ٥٥٤٤ (١١٤٩ م) طمع أخوه نور الدين محمود في بلاده ، وشجعه على ذلك بعض أمراء الموصل الذين أرسلوا إلى نور الدين يلحون عليه في المسير إليهم ، فقصده سنجار ، واستولى عليها (١) . غير أن الأخوين ما لبثا أن عقدا صلحاً ، أعاد نور الدين محمود بمقتضاه سنجار إلى أخيه قطب الدين ، واتفقا على أن تكون ديار الجزيرة لقطب الدين مودود وأن يبقى الشام لنور الدين (٢) .

ولي حكم الموصل بعد وفاة قطب الدين مودود ابنه سيف الدين غارى ولما علم نور الدين محمود باستبداد وزيره نحر الدين بأمر الموصل عول على المسير إليها لتدبير ملك أولاد أخيه (٣) ، فعبر الفرات على رأس قوة من الجند سنة ٥٥٦٦ (١١٧٠ م) ، واستولى على الرقة وسار إلى الخابور ، وتغلب عليه كما فتح نصيبين ، وهناك انضم إليه نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود - صاحب حصن كيفا (٥) - فزاد عدد قواته . الأمر الذى شجعه على المسير إلى سنجار ، فحاصرها وملسكها (٦) ، ثم سار إلى الموصل ، واستولى عليها ، وعزل وزيرها نحر الدين (٧) ، ورفع عنها ما كان يعانيه أهلها من أنواع المظالم واتبع هذه السياسة في كل من نصيبين والخابور وسنجار (٨) ، ثم ترك لسيف الدين حكم الموصل ، ومع ذلك عين أحد رجاله سعد الدين كمشتكين نائباً عنه في هذه الإمارة وهكذا اتسعت سلطة

(١) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١١٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ .

ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٦٠ .

(٣) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١٩٢ .

(٤) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٢٧٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٦ هـ .

(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٧) Grousset : Histoire des Croisades. p558

(٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٦ هـ .

(٧٢ - بلاد الجزيرة العربية)

نور الدين محمود ، فأصبح يحكم بلاد الجزيرة (١) ، غير أن سيف الدين غازي ما لبث أن استرد هذه البلاد التي استولى عليها عمه نور الدين محمود (٢).

٤ - الأيوبيون :

كان شاذي أو شاذي أبو صلاح الدين يوسف كرديا من بلدة من قرية بالقرب من أذربيجان ، ويكتنف أصل أسلافه الغموص ، ولا يمكن قبول الرواية التي ردها الذين عملوا في خدمة بني أيوب والتي تزعم أن صلاح الدين ينسب إلى أصل عربي عريق - آل مروان - ، وكان شاذي قد هاجر إلى بغداد ومعه ولداه نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه وقد تولى دزدارية قلعة تكريت بمساعدة مواطن يدعى بهروز ، وكان له شأن في حكومة بغداد ، وتوفي شاذي في تكريت خلفه أيوب ، وفي سنة ٥٢٦ هـ / ١١٢٠ م هزمت سلاجقة بغداد جيوش أتابك زنكي - أمير الموصل - بالقرب من تكريت ، فساعده نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين شيركوه على النجاة - وهما من أتباع خصومه - وداريا جراحاته ، وخدماه أحسن خدمه ، وحمله إلى قلعة تكريت ، وأقام بها خمسة عشر يوما حتى عولجت جراحاته ، واستراح من آلامه ، ولما اعتزم العودة إلى الموصل أعوزه الظهر ، فأعطياه جميع ما عندهما من الظهر ، حمل عليها أمتعته ، فكان عماد الدين زنكي يقدر هذا الجميل لنجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه ، ويعرف لهما هذه الصنيعة ، وبالنطع لم ترض بغداد عن هذا العمل ، وعزلت نجم الدين أيوب لأن مساعدته لزنكي اعتبرت عصيانا على الدولة العباسية فترك نجم الدين أيوب وأخوه أسد الدين شيركوه تكريت سنة ٥٣٢ هـ سنة ١١٣٨ م وقصدا زنكي في الموصل ، ودخلا في خدمته ، وفي

(١) ابن قاضي شبة : الشكواكب الدرية ورقة ١٤٩

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ٢٨ ص ٧

الليلة التي غادر فيها نجم الدين أيوب تكريت ، ولد له يوسف صلاح الدين .

وحب زنكي كل الترحيب بأيوب وشيركوه ، وأقطعهما الأقطاعات واشترى كاهنه في حروبه ، فأعانه على فتح بعلبك ، وعهد زنكي بحكمها إلى أيوب في أوائل سنة ٥٣٤ م سنة ١١٣٩ م ، وبعد وفاة زنكي حاولت جيوش صاحب دمشق أن تستعيد بعلبك ، ولما وجد أيوب نفسه غير قادر على الاحتفاظ بها انضم إليه بأختياره ، وأصبح عنده قائدا ممتازا بل كبير القواد .

وبقى شيركوه في خدمة نور الدين محمود — صاحب حلب — وعول نور الدين على الاستيلاء على دمشق ، فعرض على شيركوه أن ينتزعا من يد أخيه أيوب ، واتفق الأخوان فيما بينهما ، ودخل شيركوه المدينة من غير قتال سنة ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م وبالع نور الدين في أكرام أيوب وعينه حاكما على دمشق ، وتولى شيركوه حكم حصن ، وتوارث أبناؤه حكمها .

تطلع نور الدين محمود إلى ضم مصر إلى حوزته ، وانتهن فرصة ضعف الخلافة الفاطمية في مصر ، وتنافس كبار رجال الدولة على تقلد الوزارة ، بل إن بعضهم استعان بأمراء الدول المجاورة لتحقيق أطماعهم ، مما ترتب عليه تطلع هؤلاء الأمراء إلى بسط سلطاتهم على مصر ، فقد تقلد شاور الوزارة في عهد الخليفة العاضد ، ولم يلبث أن ثار عليه ضرغام — أحد قراد الجيش — وتقلد الوزارة ، فأضطر شاور إلى الإلتجاء بنور الدين محمود لمساعدته في استعادة منصبه ، فأرسل جملة إلى مصر يقودها أسد الدين شيركوه تصدت لضرغام ، وتغلبت عليه ، وعاد شاور إلى الوزارة ، ولم يلبث أن تخلى عن حليفه نور الدين فطلب من شيركوه العودة إلى بلاد الشام ، وبعث أماريك — ملك بيت المقدس الصليبي — يستنجد به ، ويخوفه من نور

الدين إذا تمكن من الديار المصرية ، فسارع إلى تلبية طلبه ، وأرسل جيشاً أرغم شيركوه على العودة بجنده إلى الشام .

وكان لهذه السياسة أثرها في توجيه أنظار كل من نور الدين — صاحب دمشق — والصليبيين في بيت المقدس إلى غزو مصر ، ثم تابعت حملات أسد الدين شيركوه والصليبيين على مصر ، وانتهى الأمر بانتصار حملة شيركوه الثالثة ، ودعوة أماريك — ملك بيت المقدس — من غير حرب ولا قتال ، ثم أسند الخليفة العاضد الفاطمي إلى شيركوه منصب الوزارة بعد تخلصه من شاور ، غير أن شيركوه لم يستمر طويلاً في الوزارة ، فتوفي بعد قليل ، واستدعى الخليفة الفاطمي صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وولاه الوزارة .

وكان الخليفة الفاطمي مسلوب السلطة مع صلاح الدين الذي عمل على تدعيم مركزه في مصر ، . بإحاطة نفسه بأهل بيته ، فطلب من نور الدين محمود أن يرسل إليه أباه وأقاربه ، واسند إليهم بعض المناصب كما وجه اهتمامه على القضاء على المذهب الشيعي في مصر ، ولما أيقن من إنهيار سلطة الخليفة العاضد أمر بإقامة الخطبة للخليفة المستضيء بالله العباسي وإسقاط أسم العاضد من الخطبة سنة ٥٦٧ هـ / ١١٧١ م ولم يعلم الخليفة العاضد بهذا التغيير لمرضه ، ثم توفي بعد ذلك بقليل . وبذلك سقطت الدولة الفاطمية .

ولم تلبث أن نشبت الخلافات بين صلاح الدين يوسف وسيدته نور الدين محمود ، وذلك لأن صلاح الدين بعد أن كان وزيراً للعاضد ، خلا له الجو بعد وفاته ، وصار يخطب باسمه بعد أسم الخليفة العباسي وسيدته نور الدين ، واعتزم الاستقلال بمصر عن الدولة النورية ، فوطد نفوذه في مصر ، وقضى على العناصر الموالية للفاطميين في مصر بفضل شجاعته وإقدامه ، ودانت له مصر بالام والطاعة .

على أن نور الدين محمود لم يتغاضى عن نزعة صلاح الدين الاستقلالية
فاعتزم غزو مصر ، وأخذها من صلاح الدين ، ولكن نور الدين لم يلبث
أن توفي دون أن يحقق غرضه . وبذلك ترك الميدان خاليا أمام صلاح
الدين . وقامت منافسة شديدة بين أمراء نور الدين محمود في حلب ودمشق
وأمراء بنى زنكى في إقليم الجزيرة شمال العراق حول من يخلفه في حكم
الدولة النورية .

واستقر رأى الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك - أحد كبار رجال
دولة نور الدين محمود - على تولية الصالح اسماعيل مكان أبيه نور الدين سنة
٥٦٩ هـ - (١١٧٣ م) (١) حتى لا يطمع سيف الدين غازى بن مودود -
صاحب الموصل (٢) - فى الاستيلاء على حلب . غير أن سعد الدين كشتكين -
نائب نور الدين محمود فى الموصل - ما لبث أن سار إلى حلب ، وقبض على
شمس الدين محمد ، وانفرد بأتابكية الصالح اسماعيل (٣) .

ولما علم صلاح الدين الأيوبي باستبداد سعد الدين بأمور حلب ، وتديره
شؤون ابن سيده نور الدين محمود عظم ذلك عليه وأنكره ، واتخذ من
ذلك ذريعة لتحقيق رغبته فى السيطرة على الشام (٤) ، فسار إلى حلب
متظاهراً أنه يريد الإشراف على تنشئة الملك الصالح (٥) .

أثار اتجاه صلاح الدين إلى حلب مخاوف أتباع الملك الصالح اسماعيل
وأيقنوا أن الملك سينتقل منه إلى صلاح الدين (٦) ، فأرسلوا إلى سيف الدين

-
- (١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٦٩ هـ .
ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٣٨ .
(٢) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٢ ص ٧ .
(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٧٥ .
(٤) العيني : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الأول ج ١٢ ورقة ٥٤٦ .
(٥) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٢ ص ٧ .
(٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ج ٦ ص ٢٤ .

غازى — أتابك الموصل — يطلبون منه القدوم إليهم للوقوف إلى جانب الملك الصالح ضد أطماع صلاح الدين (١) .

غير أن صلاح الدين أرسل إليهم يحذرهم من منعه من دخول حلب ، وتدير أمر دولة الملك الصالح ويقول : دلو أن نور الدين علم أن فيكم من يقوم مقامى ، أو يثق إليه مثل ثقته بى لسلم إليه مصر التى هى أعظم ممالكه وولاياته ، ولو لم يعجل عليه الموت ، لم يعهد إلى أحد بتربية ولده ، والقيام بخدمته غيرى ، أو أراكم قد تفردتم بمولاي وابن مولاي دونى وسوف أصل إلى خدمته ، وأجازى انعام والده بخدمة يظهر أثرها ، وأجازى كلا منكم على سوء صنيعه فى الذب عن بلاده (٢) .

وكان صلاح الدين قد ضم إلى حوزته فى ذلك الوقت دمشق (٣) وحمص وحماء وبلبك . ولما قصد حلب ، استنجد أهلها بالصليبيين (٤) ، فهاجموا حمص ، واضطر صلاح الدين إلى رفع الحصار عن حلب (٥) ، وتأهب لصد الصليبيين عن بلاده (٦) .

استجاب سيف الدين غازى لنداء ، أهل حلب ، وأرسل جيشاً إليها لاعتقاده أن صلاح الدين قد استفحل خطره وعظم شأنه ومن ثم وجه اهتمامه إلى الوقوف فى وجهه حتى لا يستحوذ على البلاد ، وتترطد فيها

(١) أبو الفدا : المختصر فى تاريخ البشر ج ٣ ص ٦ .

(٢) العيني : عقد الجمان فى أخبار أهل الزمان القسم الثانى ج ١٢ ورقة ٥٤٧ .

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٢ ص ٢٢ .

(٣) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٢٣٦ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ٢ ص ٢٢ — ٢٣ .

(٥) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٣٩ .

Setton : A History of the Crusades Vol.I.p.567

Archer : The Crusades p.243

سلطته (١) ، فأرسل جيشاً بقيادة أخيه عز الدين مسعود لمعاونة ابن عمه الملك الصالح في صد صلاح الدين عن بلاده . كما هاجم سنجار وكان صلاح الدين قد طلب إلى أتايكها الوقوف إلى جانبه في وجه صاحب الموصل (٢) ، لكنه لم يلبث أن رفع الحصار عنها بعد أن فشل في الاستيلاء عليها (٣) ، كما أوقع صلاح الدين الهزيمة بجيشه الذي أرسله للدفاع عن حلب (٤) .

عول سيف الدين غازي بعد هزيمة جيشه في حلب على محاربة صلاح الدين الأيوبي (٥) ، فأعد جيشاً كبيراً سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) سار به من الموصل وبصحبة أخوه عز الدين مسعود ، غير أن صلاح الدين رغبة منه في تجنب الحرب ، أرسل إلى سيف الدين يعرض عليه النزول عن حمص وحماء ، على أن يقره على دمشق ، ويكون فيها نائماً عن الملك الصالح اسماعيل . فلم يجب طلبه (٦) ، وقال : لا بد من تسليم جميع ما أخذ من بلاد الشام ، والعودة إلى مصر (٧) ، فكان ذلك مما حمل صلاح الدين على اعداد العدة لمحاربته ، والتقى مع عز الدين مسعود بالقرب من مدينة حماه (٨) في موضع يقال له قرون حماه (٩) ، حيث دارت معركة انتهت بانتصار صلاح الدين وهزيمة جيش الموصل (١٠) ، ثم تابع صلاح الدين تنفيذ خطته ،

-
- (١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٦ ص ٢٤ .
 - (٢) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ٥٨ — ٥٩ .
 - (٣) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٤٠ .
 - (٤) أبو الفداء المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٦٠ .
 - ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٠ هـ .
 - (٥) أبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٦٠ .
 - (٦) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٦ ص ٢٥ .
 - (٧) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ٦ ص ٥٩ .
 - (٨) Lamb : The Crusades.p.43
 - (٩) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٤١ .
 - (١٠) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٢٤٧—٢٥٧ .

فسار إلى حلب ، وظل محاصرا لها حتى اضطر أهلها إلى طلب الصلح (١) على أن يكون له ما بيده من بلاد الشام ولهم ما بأيديهم منها ، فأجابهم إلى ذلك ، ورحل عن حلب (٢) .

لم يوافق سيف الدين غازي بن مودود على ذلك الصلح الذي تم بين أهل حلب وصلاح الدين ، فأرسل إليهم يطلب منهم نقضه ، وأعد العدة لمحاربة صلاح الدين (٣) وحشهم على الاشتراك معه في محاربتة ولم يكتف بذلك بل أرسل إلى ريموند الثالث - أمير طرابلس - يطلب مساعدته على صلاح الدين ، وأنفذ إليه أسرى الصليبيين المحتجزة عنده ، رغبة في استمالته إليه أما صلاح الدين فإنه عقد هدنة مع مملكة بيت المقدس حتى يتفرغ لمحاربه سيف الدين غازي بن (٤) مودود الذي حشد كل قواه لطرد صلاح الدين من دمشق ، ولم ينفرد وحده بمحاربتة بل استنجد عليه بأمرأه كيفاوماردين وسنجار (٥) ، وانضم إليه قوات من حلب ، وساروا جميعا إلى دمشق سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ م) (٦) . غير أن صلاح الدين أعد العدة لصددهم ، وبعث في طلب جيش كبير من مصر (٧) والتقى في معركة كبيرة مع أتاكك الموصل وحلفائه عند تل السلطان (٨) - على الطريق بين حلب وحماه - انتهت

(١) تاج الدين شاهنشاه بن أيوب . تاريخ حماه ص ٢٧١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٠ هـ ،

المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ القسم الأول ص ٥٩ .

Runciman : A History of the Crusades. Vol.2 p.626 -

(٣) ابن واصل : مفرج السكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ٣٦

(٤) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٦ ص ٢٦

(٥) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٦٩

Lane-Poole : Saladin. p.143

(٦)

(٧) تاج الدين شاهنشاه بن أيوب : تاريخ حماه ص ٢٧٢

(٨) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٢٥٥

بإحرازه النصر ، واستيلائه على كثير من الأموال والذخائر (١)
ثم وجه أهتمامه لمحاصرة حلب ، واضطر أهلها إلى مصالحة بعد
أن طال حصارها (٢) .

ولما توفي سيف الدين غازي بن مودرد - أتابك الموصل سنة ٥٧٦ هـ -
(١١٤٠ م) خشى أهلها من مطامع صلاح الدين في بلدهم فولوا عليهم عز
الدين مسعود - أخا سيف الدين غازي - لكبر سنه ، لما عرف عنه
الشجاعة وحسن السياسة (٣) .

ومما يجدر ذكره أن الصالح اسماعيل صاحب حلب توفي أيضا في هذه
السنة وأوصى بأن يخلفه ابن عمه عز الدين مسعود (٤) في حلب حتى تتألف
من حلب والموصل جبهة واحدة تستطيع الصمود في وجه صلاح الدين (٥)
لذلك سارع عز الدين مسعود إلى تنفيذ وصيه ابن عمه ، وسار قاصدا حلب (٦)
ودخلها وتولى الحكم فيها (٧) ، ثم ثار أهل حماه على أميرهم ، ونادوا بعز
الدين مسعود أميرا عليهم (٨) ، كما أن أمراء حلب أطمعوا عز الدين في

(١) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ من ١٠٦

المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ٥٩

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧١ هـ

ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٩١

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٧ هـ

ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ص ٣٨٠

(٤) Ruuciman : The Kingdom of Jerusalem.p.433

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١٠٨

(٦) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ٧٧

(٧) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٨٢

(٨) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١٠٨

في السير إلى دمشق (١) لكنه لم يستجب لهم ، بل نزل عن حلب لأخيه عماد الدين زنكي بن مودود - صاحب سنجار - (٢) وهكذا لم يتيسر له إقامة جبهة إسلامية تضم الشام والعراق (٣) .

رأى صلاح الدين الأيوبي أن الخطر يتهدده من ناحية وجود بني زنكي في الموصل وحلب ، ومن ثم عمل على التخلص منهم ، كما بلغه أن أهل الموصل استعانوا بالصليبيين عليه ، (٤) وشجعه مظفر الدين كركبوري ، أتابك أربل - على غزو الموصل ، وأظهر استعداداه لمدة بكل ما يحتاج إليه (٥) فكان ذلك مما يسر عليه أمر الزحف إلى الموصل ، فاستولى في طريقة إليها على بعض مدن الجزيرة . ثم شرع في محاصرة الموصل (٦) غير أن صاحبها عز الدين مسعود أعد عدته لصد هذا الحصار (٧) فحشد فيها عددا ضخما من العساكر ما بين فارس وراجل واضطر صلاح الدين إلى رفع الحصار عنها

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٨٧ .

(٢) ابن شداد : النوادر السلطانية والحاسن اليوسفية ص ٤٥ .

(٣) لما دخل عز الدين مسعود حلب ، جاءته رسل من أخيه عماد الدين - صاحب سنجار - يطلب أن يسلم إليه حلب ، وبأخذ عوضاً عنها مدينة سنجار فرفض لإجابة طلبه فهدده عماد الدين بقوله : «إني سلت إلى حلب وإلا سلت أنا سنجار إلى صلاح الدين» ، فخشي عز الدين من عاقبة هذا العمل ، ووافق على تسليم حلب لأخيه ، وأخذ سنجار عوضاً عنها ، وعاد إلى الموصل . (ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٨٣) وابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١٠١ .

(٤) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ٦١ .

(٥) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١١٧ .

تاج الدين شاهنشاه بن أيوب : تاريخ حماه ص ٢٨٠ .

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١١٩ .

Ruuciman : The Kingdom of Jerusalem.. p.433

(٧) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ٣١ .

Lane Poole : Salâdin. p.165

بعد أنه عجز عن الاستيلاء عليها (١) ثم قصد سنجار ، فخرج إليه أهلها
مرحبين بمقدمه (٢) .

رأى عز الدين مسعود - أتابك الموصل أن يستعين على خصمه صلاح
الدين ببعض أمراء وأتابكة البلاد المجاورة ومنهم شاه أرمن - صاحب خلاط
وقطب الدين بن نجم الدين - صاحب ماردين (٣) - وسار عز الدين مسعود
مع حلفائه خارج الموصل للقاء صلاح الدين ، قبل أن يهاجم بلاده (٤) ولما
علم صلاح الدين بإجتماع هذه الجيوش اضطر إلى العودة إلى الشام (٥) كما
عاد كل أمير إلى بلده (٦) .

واصل صلاح الدين سياسته التي تنطوي على ضم بلاد الجزيرة إلى
حوزة فلما دخل نور الدين محمد بن قرأ أرسلان - صاحب حصن كيفا -
في طاعته حرضه على المسير إلى آمد (٧) ، فاستجاب له ، وزحف إليها (٨)
ثم شرع في حصارها (٩) ٥٧٩ هـ (١١٨٣) وأرسل صلاح الدين إلى أهلها يدهم
بحسن المعاملة أن سلموا البلدة له (١٠) فكفوا عن القتال ، وطلبوا الأمان
وانفضوا من حول صاحبهم ، ورحبوا بانضمام بلدهم إلى حوزة صلاح الدين
فأعطاهم أمانا ، ومكنوه من الاستيلاء على آمد (١١) فولى عليها نور الدين بن

-
- (١) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٤٦ .
(٢) محمد بن شاهنشاه : مضمار الحقائق وصر الخلائق ص ١١٠ .
(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٨ هـ .
(٤) القريري : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ٢٠ .
(٥) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٤٦ .
أبو المحاسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٦ ص ٢٩ .
(٦) Runciman : The Kingdom of Jerusalem. p.434
(٧) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٤٦ .
(٨) Lane-Poole : Saladin. p.172
(٩) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٩ هـ .
(١٠) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ٣٩ .
(١١) تاج الدين بن شاهنشاه : مضمار الحقائق وصر الخلائق ص ١١٤ .

قرأ أرسلان - صاحب حصن كيفا - وكتب له تقليدا بأعمالها (١) فأخذها بما فيها من الأموال والذخائر (٢) واشترط عليه صلاح الدين أن يحسن معاملته الرعية ، ويقوم بينهم العدل (٣) ، ثم وفد إلى صلاح الدين رسل من قبل صاحب ماردن ويعرض أمراء بلاد الجزيرة يطلبون الأمان ، فأجاب طلبهم (٤) .

غادر صلاح الدين الأيوبي العراق بعد أن زادت هجمات الصليبيين في بلاد الشام ، وحشد جيشا كبيرا ضم جندا من البلاد (٥) المجاورة ، وحاصر (٦) حلب ، فقارمه أهلها مقاومة عنيفة (٧) ، غير أن أميرها عماد الدين زنكي بن مودود ، أرسل إلى صلاح الدين سرا يعرض عليه نزوله عن حلب مقابل إعادته إلى سنجار ، فوافق صلاح الدين على ذلك (٨) واشترط عليه أن يكون على أهبة الاستعداد للقتال معه . وبذلك خلا الجور لصلاح الدين في حلب ، فضمها إلى حوزته بعد أن غادرها صاحبها إلى سنجار (٩) . امتد نفوذ صلاح الدين إلى شمال العراق ، ولم يبق خارجا على طاعته سوى الموصل ، لذلك عاود مهاجمتها بعد أن بلغه أن عسكر الموصل قد أغار على أربل وأعمالها ، فبعقد هدنة مع ريموند الثالث - أمير أنطاكية والوصي

-
- (١) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٩٦ .
 سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٣٧٥ .
 (٢) تاج الدين شاهنشاه : مضمهر الحقائق وسر الخلائق ص ١٣٨ .
 (٣) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١٣٦ .
 (٤) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ٤٢ .
 (٥) Runciman : The Kingdom of Jerusalem. p. 435 .
 (٦) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٩٦ .
 المقرئ : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ٨٠ .
 (٧) ابن الأثير : السكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٩ هـ .
 (٨) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٣٦٧ .
 (٩) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١٥٥ ، ١٩٤ .

على مملكة بيت المقدس - مدتها أربع سنوات (١) وطلب من حلفائه في بلاد الجزيرة معاونته في فتح الموصل (٢) فاستجاب له كل من معز الدين سنجر شاه - أتابك الجزيرة - ونور الدين قرا أرسلان - صاحب حصن كيفا - ودارا ، وزين الدين علي كجك - صاحب أربل - وعماد الدين قرا أرسلان - صاحب ماردين (٣) . ولما بلغ صلاح الدين الموصل سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) حاصرها غير أن حرارة الجو حالت دون الاستمرار في القتال ، كما أبلى أهلها بلاء حسنا (٤) ، واضطر صلاح الدين إلى رفع الحصار عنها بعد أن بلغه وفاة شاه أرمن ابن سكيان الثاني - صاحب خلاط (٥) دون أن يترك وارثا يخلفه . وقد رأى صلاح الدين أن يستغل هذه الفرصة لضم خلاط إلى حوزته (٦) غير أنه فشل في ذلك ، وسار إلى ميفارقين (٧) وبعد أن تمكن من الاستيلاء عليها أسند ولايتها إلى مملوكه حسام الدين سنقر الخلاطى (٨) ، ثم عاد إلى حصار الموصل للمرة الثالثة ، (٩) لكن أهلها طلبوا مصالحةته (١٠) ، كما أن أتابكها عز الدين مسعود يش من مساعدة الخليفة والسلاجقة له (١١) ، فنزل لصلاح الدين بمقتضى الصلح الذي عقده معه عن شهر زور وأعمالها ، وجميع ما وراء الزاب من البلاد والقلاع والحصون ، وولاية بني قفجاق وغيرها (١٢) ، كما وافق على إقامة الخطبة

- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ
(٢) Lane Poole : Saldin. p.192
(٣) ابن شداد : النوادر السلطانية والمعاصر اليوسفية ص ٥٤
(٤) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١٩٦
(٥) القرطبي : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ٨٩
(٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٣٨٣
(٧) Lane-Poole : Saladin. p. 192
(٨) ابن شداد : النوادر السلطانية والمعاصر اليوسفية ص ٥٦
(٩) تاج الدين شاهنشاه بن أيوب : تاريخ حياه ص ٢٨٦
(١٠) ابن خلصكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٩٤
(١١) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ٦٢
(١٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ

تصالح الدين بدلا من سلاطين السلاجقة (١) ، وتعهد فضلا عن ذلك بأن
ينفذ عسكره لمعاونة صلاح الدين وينقش اسمه على السكة (٢) . وهكذا
تيسر لصلاح الدين مد سلطانه إلى جميع بلاد الموصل والجزيرة (٣) .

وجه أتابكة الموصل والجزيرة اهتمامهم بعد وفاه صلاح الدين إلى
التخلص من نفوذ بني أيوب (٤) ، فسار عز الدين «سعود» إلى نصيبين (٥)
سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م) ، كما وفد إليه أخوه عماد الدين زنكي - صاحب
سنجار - وأرسل عز الدين إلى أمراء البلاد المجاورة للموصل يستمدونهم ،
لكن الملك العادل - الذي خلف أخاه صلاح الدين - عول على الاحتفاظ
بسيادته على بلاد الموصل والجزيرة ، فأعد جيشا كبيرا وزحفت إلى حران
في طريقه إلى الموصل (٦) وضم إلى حوزته الرقة والخابور (٧) ثم قصد
ماردين وحاصرها ، واستطاع أن يستولى على بعض أعمالها (٨)

استقر رأى نور الدين قرأ أرسلان - صاحب الموصل - على استخلاص
ماردين من الملك العادل ، وانضم إليه قطب الدين بن عماد الدين زنكي -
أتابك سنجار - ثم سارت القوات المتحالفة إلى ماردين (٩) ، وكان الملك
العادل بن أيوب قد أناب عنه الملك الكامل في حصارها فاشتبك مع جند الموصل

-
- (١) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ٩٠
 - (٢) ابن الأثير : في التاريخ حوادث سنة ٥٨٩ هـ
 - (٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٨٥
 - (٤) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ٢٣٧
 - (٥) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٩٢
 - (٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨٩ هـ
 - ابن واصل : مفرج السكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١٩
 - (٧) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ٢٣٨
 - (٨) المقرئى : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ٩٢
 - (٩) ابن خلدون : المعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٣٦

وسنجار في معركة دارت فيها الدائرة عليه ، فاضطر الى رفع الحصار عن ماردین ، ثم عاد الى حران سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٨ م) (١) .

كان لا تنصار صاحب الموصل وسنجار على بنى أيوب في ماردین أثر بالغ في تشجيعهما على المسير إلى حران ، ومالبثا أن استوليا عليها وعلى الرها ، ثم انضم اليهما صاحب ماردین . غير أن الرسل سعوا بين بنى أيوب وأمراء الموصل وسنجار وماردین في الصلح ، وبخاصة بعد أن علموا أن الملك العادل بن أيوب قد زال عنه الخطر الذي كان يهدده من ناحية ابني أخيه الملك الأفضل والملك الظاهر (٢) .

وكان الملك العادل يطمع في استمادة ماردین ، فعهد سنة ٥٩٩ هـ (١٢٠٢ م) إلى ابنه الأشرف موسى بمحاصرتها (٣) وانضم اليه عسكر الموصل وسنجار ولما تعذر على صاحب ماردین مقاومة جيوش خصومه ، أرسل إلى العادل يطلب الصلح (٤) ، فأجاب طلبه . وكان مما تضمنه هذا الصلح أن يؤدي صاحب ماردین للعادل مائة وخمسين ألف دينار ، ويقيم له الخطبة في بلاده وتضرب السكة باسمه (٥) ويمده بالجنود اذا ما طلبها منه (٦) .

حدثت بين نور الدين أرسلان شاه الأول بن مسعود — أتابك الموصل وقطب الدين محمد بن زنكي الثاني — أتابك سنجار — خلافات ترجع إلى أن صاحب سنجار ، دخل في خدمة الملك العادل ، وأقام الخطبة له في بلاده ، فخشي نور الدين من عاقبة هذا العمل على نفسه وبلده ، فهاجم أتابكيه

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ١٩٥

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بنى أيوب ج ٣ ص ١٢٩ .

(٣) القرطبي : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ١٦١

(٤) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٣٣٨

(٥) للقرطبي : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١٩١

(٦) ابن الأثير الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٩٩ هـ .

سنجار سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٧ م) ، وبدأ بمدينة نصيبين ، فظل يحاصرها حتى تمكن من الاستيلاء عليها. وفي أثناء حصارها ، هاجم مظفر الدين كوكبوري بعض بلاد الموصل ، حتى يضعف من شأن أتابكها ، ويرغمه على رفع الحصار عن نصيبين (١) .

لم يكتف نور الدين باتزاع نصيبين من صاحب سنجار ، بل سار إلى تل يعفر — وكان صاحبها وقتذاك — قطب الدين محمد — فحاصرها وضمها إلى حوزته ، ثم عمل على ترتيب أمورها ، وعاد إلى الموصل (٢) .

رأى صاحب سنجار بعد هذه الاعتداءات التي تعرضت لها بلاده أن يستنجد بالملك الأشرف موسى بن الملك العادل — صاحب ديار الجزيرة وخلاط — الذي سار من حران ، وانضم إليه أصحاب أربل وآمد والجزيرة (٣) ، فضلا عن أخيه الملك الأوحى نجم الدين — صاحب ميافارقين — وقد صارت قوات الملك الأشرف وحلفائه نحو الموصل ، والتقت بصاحبها نور الدين على مقربة من هذه المدينة في معركة حلت فيها الهزيمة به ، وتفرق عسكره (٤) ، ولم يكتف الملك الأشرف بهذا النصر الذي أحرزه ، بل تابع زحفه حتى دخل الموصل ، ثم ترددت الرسل بين الملك الأشرف ونور الدين صاحب الموصل في الصالح (٥) . غير أن الملك الأشرف اشترط أن يعاد تل يعفر إلى قطب الدين — صاحب سنجار — (٦)

-
- (١) أبو الفداء المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١١٢
(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٠٠ هـ
ابن الأثير التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٩٢
(٣) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٣ ص ١٥٩
(٤) المقرئ : السلوك لمعرفة دول الملوك القسم الأول ج ١ ص ١٩٣
(٥) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٣ ص ١٥٧ - ١٥٩
(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٠٠ هـ

فوافق نور الدين على ذلك وتم عقد المصلح بين الفريقين سنة (١) ٦٠٠ هـ (١٢٠٣ م).

امتدت أطماع الملك العادل أبو بكر بن أيوب - صاحب مصر ودمشق - إلى بلاد سنجار وجزيرة ابن عمر ، فدارت مراسلات بينه وبين نور الدين قرا أرسلان - صاحب الموصل على تقسيم هذه البلاد بينهما ، على أن تكون بلاد قطب الدين - صاحب سنجار - للملك العادل ، وجزيرة ابن عمر لنور الدين ، ولما عزم الملك العادل على تنفيذ هذا الاتفاق نزل بجران (٢) ، حيث انضم إليه صاحب خلاط ومياقارقين ، وصاحب آمد وحصن كيفا وغيرهم من الأمراء ، ثم زحف إلى سنجار سنة ٦٠٦ هـ (١٢٠٥ م) على رأس جيش كبير فرأى صاحبها قطب الدين أنه لا قبل له بمواجهة العادل وجنده ومن ثم أرسل إلى الملك العادل يعرض عليه أخذ سنجار ، على أن يعرضه عنها ، غير أن أهلها رفضوا هذا العرض (٣) ، وأعدوا العدة لمقاومة الملك العادل الأيوبي الذي زحف إلى مدينتهم (٤) ، وشرع في حصارها مما اضطر صاحبها إلى الاستنجاد بالخليفة العباسي وأمراء البلاد المجاورة . واتفق مظفر الدين كوكبوري - صاحب أربل - ونور الدين أرسلان شاه - صاحب الموصل ، وصاحب ماردين على رفع الحصار عن سنجار (٥) ، كما أنفذ الخليفة العباسي رسلا إلى الملك العادل تطالب منه عدم التعرض (٦) لأنابك سنجار ، وانتهى الأمر بأن رفع العادل الحصار عن سنجار ، وخاصة بعد أن حدثت خلافات بين أمراء بني أيوب في بلاد الشام (٧).

(١) أبو الفداء المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١١٨

(٢) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدوائين ج ٢ ص ٢٣٨

(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ٢٣٨

(٤) أبو الفداء : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١١٨

(٥) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٦٨

(٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، القسم الثاني ج ٨ ص ٥٤١

(٧) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٦٨

سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الثاني ج ٨ ص ٥٤١
(م - ٨ بلاد الجزيرة)

عهد الملك العادل قبل وفاته ببلاد الجزيرة التي كانت في حوزته إلى الملك الأشرف موسى . ولما ثار عماد الدين زنكي بن أرسلان شاه على بدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل استعان بالملك الأشرف (١) ، ودخل في طاعته سنة ٦١٥ (١٢١٨ م) ، كما أن محمود بن قطب الدين محمد - صاحب سنجار - عرض عليه أن يسلم إليه سنجار على أن يعوضه عنها بمدينة الرقة ، فوافق الأشرف على ذلك سنة ٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) . ثم عقد صلحاً مع صاحب ماردين ، على أن يعطيه رأس عين ، ويؤدى إليه ثلاثين ألف دينار (٢)

رأى مظفر الدين كوكبوري - صاحب أربل - أن الملك الأشرف موسى ازداد نفوذه حتى أصبح يهدد بلاده ، ومن ثم وجه سياسته إلى إضعاف شوكته ، فتحالف سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م) مع شهاب الدين غازي - صاحب خلاط - والملك المعظم عيسى - صاحب دمشق - وساروا نحو بلاد الملك الأشرف ، غير أن حليف مظفر الدين ما لبث أن توقف عن مهاجمة بلاد الملك الأيوبي (٣) . أما مظفر الدين كوكبوري فإنه سار إلى الموصل ، وحاصرها ، لكن صاحبها بدر الدين لؤلؤ ، أحكم أمورها ، فاضطر مظفر الدين بعد أن امتنعت عليه البلد إلى الرحيل عنها . لكنه لم يلبث أن عاد إلى مهاجمتها (٤) بعد أن اتفق مع بعض أمراء الجزيرة وديار بكر على قصد بلاد الأشرف ، غير أن الأشرف أحبط محاولته (٥) .

عزل الملك الأشرف على الانتقام من الأمراء الذين تحالفوا مع صاحب

-
- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦١٧ هـ
 (٢) ابن خلدون : المعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٣٠٦
 (٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٢١ هـ
 (٤) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٤٠ - ١٤١
 (٥) ابن خلدون : المعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٨٠

عُزَّيْل فهاجم ماردين سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٨ م) وعاك جنده فيها تخريباً ونهباً
كما حرض علاء الدين كيقباد - صاحب بلاد الروم السلاجقة - على المسير
إلى بلاد الملك المسعود - صاحب آمد - مما حمله على أن يتعهد للملك
الأشرف الأيوبي بعدم مخالفة أعدائه (١).

على أن آمد لم تنج من أطماع ملوك الأيوبيين ، فزحف إليها الملك الكامل
الثاني سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣١ م) وحاصرها ، وانزعها من صاحبها الملك
المسعود بن محمود ، كما استولى على البلاد التي كانت تابعة له ، وضمها
إلى حوزته (٢).

ولما توفي الملك الكامل طمع بدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل في
سنجار - وكانت تتبع الملك الصالح أيوب ابن الملك الكامل فهاجمها (٣)
وإستولى عليها سنة ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) (٤) كما أمتلك جزيرة ابن عمر (٥)
سنة ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م).

(١) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٤٤

(٢) نفس المصدر ج ٣ ص ١٥٦ - ١٦٠

(٣) نفس المصدر ج ٣ ص ١٧٠

(٤) حاصر بدر الدين لؤلؤ سنجان سنة ٦٣٥ هـ ، فاستنجد صاحبها الملك الصالح
الأيوبي بالنخوارزمية ، وبذل لهم حران والرها في مقابل نجدة فوقفوا إلى جانبه في
صد غارات جند الموصل وهزيمتهم وفي سنة ٦٣٦ هـ اتفق الملك الصالح مع أخيه الجواد
يونس - صاحب دمشق وأعمالها - على أن يحكم الملك الصالح دمشق بدلاً من سنجان
على حين يلى الجواد يونس حكم سنجان وهامه والركة . ولما استقر الجواد يونس حكم
سنجان ، عاد بدر الدين لؤلؤ إلى مهاجمتها ، والاستيلاء عليها

(٥) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٧٠ ، ١٧٢

(٥) محمد علي ميرزا : تاريخ الدول والإمارات الكردية في العهد الإسلامي ص ١٦٤

عما تقدم يمكن القول أن علاقة أتابكة الموصل والجزيرة بأمراء البلاد
الإسلامية المجاورة ، تغيرت تبعاً لقوة الأتابكة وضعفهم ، فاستطاع
الأتابكة إبان قوتهم بسط سيطرتهم على مساحات كبيرة في شمال العراق
وبلاد الشام ، فاتسع نفوذ نجم الدين أيلغازي - صاحب ماردين - ،
في ديار بكر ، وسيطر على بعض مدن الشام وبسط عماد الدين زنكي -
أتابك الموصل - سلطانه على شمال العراق ، وبعض مدن الشام . ولمدة
صغف شأن الأتابكة هجزوا عن صد هجمات بني أيوب .

الباب الثالث

العلاقات الخارجية لدول أتابكة الموصل والجزيرة

١ — مع البيزنطيين

٢ — مع الصليبيين

٣ — مع المغول

الباب الثالث

العلاقات الخارجية لدول أتابكة الموصل والجزيرة

١ — مع البيزنطيين :

لم يقف البيزنطيون إلى جانب الصليبيين في حروبهم مع أتابكة الموصل والجزيرة عندما بدأوا يوجهون حملاتهم إلى أطراف بلاد الشام والعراق لأنهم رفضوا تنفيذ الاتفاق الذي عقده معهم (١) ، والذي يقضى بأن يسلم الصليبيون البيزنطيين البلاد التي يستولون عليها على اعتبار أن هذه البلاد كانت ملكا للدولة البيزنطية قبل أن يستولي عليها المسلمون (٢) فلما استولى الصليبيون على أنطاكية سنة ٤٩١ هـ (١٠٩٨ م) سار إليها كربوقا — أتابك الموصل — وسقمان بن أرتق — أمير ماردين — لاستعادتها (٣) ، وحاصر المسلمون أنطاكية ، وشددوا عليها الحصار حتى نفذت منها الأقوات (٤) ، فاستنجد الصليبيون بالامبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين ، لكن الامبراطور أعرض عنهم (٥) الأمر الذي شجع كربوقا على تشديد هجماته على أنطاكية (٦) ، وكادت المدينة تسقط في أيدي المسلمين لولا الخلافات التي ظهرت بين قادتهم ، والتي شجعت الصليبيين المحاصرين بأنطاكية على هزيمتهم وتشيت شملهم (٧) .

(١) Settan : A History of the Crusades. Vol. I p. 313-314

(٢) Runcimon : A History of the Crusades. Vol I p. 224

(٣) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ص ١٢٥

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٩١ هـ

(٥) ابن العديم : زبدة الغلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٣٦

Runciman : A History of the Crusades. Vol. I p. 237

(٦) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٦

(٧) ابن العديم : زبدة الغلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٣٧

كذلك عمل الامبراطور السكسيون كومنين على الاستفادة من الهزيمة التي ألحقها أتابك الموصل والجزيرة بالصليبيين في موقعة حران سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٣ م) ، فاسترد البلاد التي انتزعها عنه الصليبيون في الجنوب الشرقي لآسيا الصغرى (١) وأرسل أسطولاً لاستعادة اللاذقية والبلاد الواقعة على الشاطئ بين اللاذقية وانطوطوس (٢) ، ولم يكتب الامبراطور البيزنطي بذلك ، بل أنفذ رسولا إلى السلطان السلجوقي سنة ٥٠٤ هـ (١١١١ م) يعرض عليه عقد تحالف معه لمحاربة الصليبيين ، وطردهم من بلاد الشام (٣) .

على أن البيزنطيين عادوا إلى التحالف مع الصليبيين بعد أن تابعت انتصارات عماد الدين زنكي — أتابك الموصل — على الفرنجة في بلاد الشام (٤) وفتح حصن بارين سنة ٥٣٢ هـ (١١٢٧ م) (٥) الذي مكنه من بسط سيطرته على حماه وحمص - (٦) واعترف الأمير ريموند دي بواتيه أمير أنطاكية - بالسيادة البيزنطية على إمارته (٧) ووافق البيزنطيون على الاشتراك مع الفرنجة في إنقاذ حملة صليبية كبرى لتحطيم قوة عماد الدين زنكي في بلاد الشام ، (٨) في مقابل أن يزول ريموند عن أنطاكية للامبراطور

(١) Stevenson : The Crusaders in the East. pp. 78-79

(٢) Grousset : Histoire des Croisades. Vol. I d. 414

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٤ هـ

(٤) يذكر ابن واصل أن رجال الدين الفرنجة قصدوا القسطنطينية ، واستنجدوا بالبيزنطيين على عماد الدين زنكي لأنه هاجم بارين ، وحذروا الروم من سقوط بارين في أيدي أتابك الموصل ، وإبادة من فيها .

(٥) مخرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٢٧٦

(٦) ابن القلائس : ديل تاريخ دمشق ص ٢٦٣

(٧) Setton : A History of the Crusades. Vol. I. p. 439

(٨) Cambridge Medieval History. Vol. 4 p. 359

(٩) ابن القلائس : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦١

البيزنطى ، ويتخذ ويموند لنفسه إمارة تشمل حلب وشيزر وحماه وحمص بعد انتزاع هذه البلاد من المسلمين (١) .

أحاط البيزنطيون حملتهم على بلاد الشام بالسرية والكتبان ، (٢) فأرسل إمبراطورهم حنا كومنين إلى عماد الدين زنكى يؤكد له أنه لن يحاربه (٣) كما أن ويموند ألقى القبض على جماعة من التجار المسلمين ، وعلى المسافرين من أهل حلب (٤) حتى لا تتسرب أنباء الاستعدادات الصليبية إلى زنكى (٥) .

سار الإمبراطور البيزنطى حنا كومنين إلى بلاد الشام (٦) سنة (٥٣٢ هـ - ١١٣٧ م) على رأس جيش كبير تسانده جيوش أنطاكية والرها (٦) ولما بلغت قوات الروم نزاعة - وهى على مقربة من حلب - حاصروها وشدوا عليها الحصار ، (٧) حتى اضطر أهلها إلى طلب الأمان من الإمبراطور البيزنطى (٨) ، فأجاب طلبهم ، غير أنه مالبث أن نكث بالعهد بعد استيلائه على البلدة ، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً (٩)

كان عماد الدين زنكى - أتابك المرحل - يحاصر حمص أثناء هجوم

(١) Runciman : A History of the Crusades. Vol. 2 p. 213

(٢) Vasiliev : A History of the Byzantine Empire. p. 416

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٢ هـ .

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٧٨

(٥) Runciman . A History of the Crusades. Vol. 2 p. 215

(٦) أبو شامة : الروشتين فى أخبار الدولتين ج ١ ص ٨١ .

(٧) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٥٥

(٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٢ هـ

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٧٨

(٩) ابن الفلانى : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٢

Runciman . A History of the Crusades. Vol. 2, p. 215

البيزنطيين على بزاغة ، (١) فخشى أهل حلب من مهاجمة البيزنطيين لهم ، فصار فريق منهم إلى عماد الدين زنكى ، وطلبوا منه النجدة . فسير معهم جندا كثيرا ، ودخلوا حلب ليحولوا دون مهاجمة الروم لها (٢) . ولما أغار بعض فرسان الروم على حلب ، قاتلهم أهلها ، وقاتل عماد الدين زنكى قتالا شديدا ثلاثة أيام ، وأوقعوا بهم خسائر فادحة ، مما اضطرهم إلى الرحيل عنها والمسير إلى قلعة الأثارب (٣)

خشى أهل الأثارب بأس قوات الروم . فهربوا منها ، مما أعان الروم على امتلاكها (٤) ، كما امتلئوا مرة النعمان وكفر طاب (٥) على أن سيف الدين سوار (٦) — نائب زنكى بحلب — لم يقف مكتوف اليدين . حينما هاجم الروم الأثارب ، بل عول على استعادتها ، فصار إليها على رأس جيش كبير ، وحمل على الروم حملة مكنته من استعادة الأثارب (٧)

فارق عماد الدين زنكى حمص ، وزحف إلى سلبية — من أعمال حماه — ثم عبر الفرات إلى الرقة ، ومنها أخذ يتبع البيزنطيين ، ويقطع الطريق عنهم ، وكان ذلك مما حمل الروم على عدم التوسع في الاستيلاء على البلاد الخاضعة لزنكى في الشام ، فقصدوا قلعة شيزر — وحصنوا عليها الحصار

(١) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦٥
Setton : A History of the Crusades. Vol. I p. 439

(٢) ابن واصل : مفرج السكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٧٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٢ هـ

(٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٥

(٥) يذكر ابن العديم أن سوارا كان فى خدمة يورى بن طمنكين — أتابك دمشق — وتركه ، ودخل فى خدمة عماد الدين زنكى ، فأقطعه إقطاعات كثيرة ، وولاه حلب وأعمالها ، واعتمد عليه فى قتال الفرنجة ، فظهرت شجاعته ومقدورته الحربية فى قتال الصليبيين (. زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٤٥)

Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 p. 194

(٦) ابن واصل : مفرج السكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٧٨

(٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٤

حتى يتيسر لهم السيطرة على أواسط وادى نهر العاصى ، ليحولوا
دون تحقيق أطماع عماد الدين زنكى فى بسط سيطرته على المزيد من
الأراضى الشامية (١)

استنجد سلطان بن منقذ — صاحب شيزر — بعماد الدين زنكى (٢)
بعد أن أشرفت البلدة على الهلاك ، وقتل كثير من أهلها (٣) ، فاستجاب
زنكى لطلبه ، ونزل على نهر العاصى بالقرب من شيزر ، (٤) وشرع فى
مهاجمة الروم ، (٥) كما عمد إلى مد البلدة بالرجال والعتاد والمؤن ، (٦) ولم
يكتف بذلك ، بل أرسل إلى الامبراطور البيزنطى يحذره من مغبة
مواصلة القتال (٧) .

كذلك طلب عماد الدين زنكى من بنى أرتق فى ديار بكر معاونته فى
محاربة الروم ، فسار داود بن أرتق إلى بلاد الشام على رأس جمع كبير من
التركمان لقتال البيزنطيين (٨) سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) وخرجت عساكر

(١) Runciman : A history of the Crusades Vol. 2 p. 215

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية من ٥٥

(٣) ابن الأثير الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٢٢ هـ

(٤) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق من ٢٦٤

(٥) أسامة بن منقذ : الاعتبار من ٨١

(٦) أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ من ٨١ .

(٧) أرسل زنكى إلى الامبراطور يحذره ويقول : « إنكم قد تحصنتم منى بهذه
الجبال فأنزلوا منها إلى الصحراء حتى نلتقى ، فإن ظفرت بكم ، أراحت المسلمين منكم
ولأن ظفرتم بى استرحتم ، وأخذتم شيزر وغيرها » . ولقد كان لتحذير زنكى أثر بالغ
على امبراطور الروم حتى أنه رفض نصيحة الفرنجة له فى مواصلة القتال ، وقال لهم :
« أتمثلون أن له من المسكر إلا ما ترون ، إنما هو يريد أن تلقونه ، فيبيته من نجات
المسلمين ما لا حد له .

(٨) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية من ٥٥ — ٥٦

أبو شامة : الروضتين فى أخبار الدولتين ج ١ من ٨١ — ٨٢

(٨) ابن التديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ من ٢٦٨

من دمشق بجدة لعماد الدين زنكى، كما أنفذ أتابك الموصل رسولا من قبله إلى السلطان السلجوقى مسعود يستنجد به ويحذره من التوانى عن نجدته ويبلغه أن الروم زاحفون إلى حلب، (١) وإن امتلكوها عبروا الفرات قاصدين بغداد، فاستجاب السلطان السلجوقى لطلبه، (٢) وأعد عشرة آلاف فارس للمسير إلى بلاد الشام، (٣) وفى نفس الوقت أرسل زنكى قوات للاغارة على آسيا الصغرى ليوجه اهتمام البيزنطيين إليها (٤)

على أن الامبراطور البيزنطى لم يواصل مهاجمة البلاد الخاضعة لزنكى لأن حليفه أميرى أنطاكية والرها، انصرفا إلى تحقيق آربيما الخاصة عن الوقوف إلى جانبه (٥) فضلا عن ظهور الخلاف بين أمراء الفرنجة، وتجدد العداء بينهم وبين البيزنطيين فكان جوسلين الثانى - أمير الرها - يخشى من انتصار الفرنجة والبيزنطيين على المسلمين، (٦) لاعتقاده أن ريموند سيحصل عقب النصر - بمقتضى الاتفاق بينه وبين البيزنطيين - على حلب وغيرها من البلاد الاسلامية (٧) وبذلك يصبح قريبا منه، وهذا ما كان يحذر منه جوسلين (٨)

وقف زنكى على الخلافات بين الفرنجة والبيزنطيين، فعمل على زيادة

(١) ابن واصل مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٨٠ - ٨١

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٢ هـ

(٣) ابن القلانسى: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٦

ابن الأثير: التاريخ الباهر فى الدولة لأتابكية ص ٥٦ - ٥٧

(٤) Runciman: A history of the Crusades Vol. 2. p. 216-217

(٥) ابن واصل: مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٨٠ - ٨١

(٦) ابن واصل: مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٨١

(٧) Runciman. A history of the Crusades. Vol. 2 p. 216

(٨) Setton: A hist. of the Crusades Vol. I p. 440

(٩) أسامة بن منقذ: الاعتبار ١ - ٢١٤

الفرقة (١) بينهما، ولما رأى الامبراطور البيزنطى أن جهوده لن تكلل بالنجاح بسبب موقف الفرنجة منه، ومقاومة عماد الدين زنكى له، رحل عائداً إلى بلاده، فسار زنكى في أثره وقضى على كثير من قواته، وغنم مغانم كثيرة، وبذلك فشلت الحملة الصليبية على بلاد الشام في إضعاف نفوذ أنابك المارسل في هذه البلاد، بل اتسع سلطانه باستيلاء قواته على كفر طاب والآثارب (٢).

لم يشترك البيزنطيون بعد ذلك مع الفرنجة في حرب ضد عماد الدين زنكى بسبب قيام الخلافات بينهما، ولما سقطت الرها في أيدي زنكى سنة ٥٢٩ هـ - (١١٤٤ م) عاد ريموند - أمير أنطاكية - إلى محالفة البيزنطيين ليقفوا إلى جانبه في وجه زنكى الذى أصبح يشكل خطراً كبيراً على إمارته (٣) فسار إلى القسطنطينية، وأعلن ولاءه للامبراطور البيزنطى مانويل كومنين، فعفا عنه، ووعده بمساعدته ضد عماد الدين زنكى (٤).

غير أن تحالف البيزنطيين مع الصليبيين لم يمكن الصليبيين من درء خطر القوات الإسلامية، فهزم نور الدين محمود، ريموند - أمير أنطاكية - وقتله سنة ٥٤٤ هـ (١١٤٩ م) (٥)، واستولى على معاقل وحصون

(١) أرسل عماد الدين زنكى إلى الامبراطور البيزنطى يعتذره بأن الفرنجة في الشام خائفون منه، فلو غارق مكانه، تخلفوا عنه، وبعث إلى الفرنجة يخوفهم من الامبراطور البيزنطى، ويقول لهم: إن امبراطور الروم إن ملك حمصنا واحداً في بلاد الشام ملك بلادكم جميعاً. (ابن الفلاس: ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٦)

ابن واصل: مفرج المكروب في ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ٨١ - ٨٢

(٢) Setton: A History of the Crusades, Vol. I. p. 441

(٣) Runciman: A History of the Crusades, Vol. 2 pp. 265-266

(٤) Grousset: Histoire des Croisades, Vol. pp. 228-229

(٥) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٥٧ - ٥٨

أنطاكية شرقى نهر العاصى (١) بينما وقع نجوسلين الثانى — أمير تل باشى — أسيرا فى أيدي المسلمين (٢) .

ولما عرض الامبراطور البيزنطى مانويل كومنين على بتريس — زوجة نجوسلين الثانى ، والوصية على إمارة الرها — شراء ما تبقى من البلاد التابعة لإمارة الرها ، وافقت على الفور ، واستولى الامبراطور على هذه البلاد سنة ٥٤٦ هـ (١١٥٠ م) (٣) على أن الامبراطور البيزنطى لم يستطع الاحتفاظ بها لبعدها عن مركز الامبراطورية البيزنطية ، وقربها من البلاد الاسلامية (٤) ، الأمر الذى شجع الأمراء المسلمين على انتزاع هذه الحصون من البيزنطيين ، فاستولى نجم الدين ألبى بن تمر تاش الأرتقى — صاحب ماردين — على سميساط والبيرة سنة ٥٤٦ هـ (١١٥١ م) (٥) . أما نور الدين محمود ، وسultan سلاجقة الروم ، فقد استوليا على بقية هذه البلاد (٦) .

لم يقف العداء بين أتابكة الموصل والجزيرة وبين البيزنطيين عند هذا الحد فقد انضم قطب الدين مودود — أتابك الموصل — وقرا أرسلان — صاحب حصن كيفا — ونجم الدين ألبى بن تمر تاش — صاحب ماردين — إلى نور الدين محمود فى حروب مع البيزنطيين والصليبيين عندما هاجم حارم سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٤ م) وقد انتهت هذه الحروب بانتصار نور الدين محمود وأتابكة الموصل والجزيرة على أعدائهم البيزنطيين والصليبيين (٧) .

(١) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١٢١

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤٦ هـ

ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١٢٣

(٣) Stevenson : The Crusaders in the East. p. 168

(٤) Setton : A History of the Crusaders Vol. I. p. 534

(٥) ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣١٥

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١٤٤

(٧) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٢٣

٢ - مع الصليبيين

قبل أن نتحدث عن دور الأتابكة في قهر الصليبيين يجدر بنا أن نناقش
أسباب الحروب الصليبية .

الحروب الصليبية من الناحية النظرية تعتبر حربا مقدسة ، والغرض
منها والدافع إليها تأمين طريق الحجاج المسيحيين إلى بيت المقدس والأراضي
المقدسة المحيطة به ، والتي كان يمتلكها المسلمون ، ولقد استشار رجال الدين
في أوروبا المسيحيين حول ضرورة تخليص الأرض المقدسة ، ورأوا أن ذلك
أفضل سبيل يسعى إليه الإنسان لتخليصه من الذنوب والخطايا التي اقترفها
هو من وسائل طلب المغفرة من الله الوقوف في الأراضي المقدسة التي وقف
بها المسيح والرسول في أمن وسلام . ورأت الكنيسة أن خير وسيلة لتخليص
بيت المقدس هو دفع أمراء الاقطاع إلى حمل السلاح والذود عن القدس
بدلا من أن يحاربوا بعضهم بعضا ، وعلى ذلك يمكن اعتبار الحروب الصليبية
إصلاحا للمحاربين من الناحية الدينية ، وإذا كان من مبادئ الفروسية
الأساسية الدفاع عن كل ما هو حق ، فإن الدهرة للحروب الصليبية دعوى
لمهاجمة كل ما هو باطل ومنكر ، وهذا الباطل من وجهة النظر البابوية -
وجود بيت المقدس في أيدي المسلمين . والفارس الذي يستجيب لنداء
البابوية يشبع في نفسه غريزة المقاتلة بمهاجمة بلاد الشرق ، والسعى إلى
تخليص الأراضي المقدسة ، وفي الوقت نفسه يرضى الجانب الروحي من
طبيعته وهو التماس الخلاص وغفران الذنوب .

والحروب الصليبية قامت لإفقاد المسيحية من الأخطار التي يمكن أن
تتعرض لها من السلاجقة الذين ازداد نفوذهم وقوى أمرهم وهددوا الدولة
البيزنطية ، وأضعفوها بعد انتصارهم الرائع على البيزنطيين في موقعة
ملا زكرد ، مما دعا إلى استنجد الأباطرة البيزنطيين بالبابوية لتخليص ما فقدوه

من ممتلكاته في آسيا الصغرى ، فأرسلت أوروبا الحملة الصليبية الأولى . على أن الامبراطور البيزنطى السكسيوس كومنين لم يكن يقصد من هذه الاستغاثة سوى استرداد ما فقد من ممتلكات ، ولم يقصد حملة تتجه إلى بيت المقدس كما حدث فعلاً إذ فوجئ بحملة تضم مئات الألوف من الأوروبيين المسلحين يقودهم أمراء لا يخضعون للامبراطور البيزنطى ، ووجهتهم الأولى تخلص بيت المقدس .

ويجب أن نشير هنا إلى أن الحروب الصليبية لم تحدث لأسباب دينية فقط ، بل لأسباب أخرى سياسية واقتصادية واجتماعية كذلك ، ومن هذه الأغراض مطامع الأمراء والنبلاء في تكوين إمارات في الشرق ، والحصول على منتجات الشرق ومتاجره بدون وساطة وبأثمان معقولة ، ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بإنشاء مستعمرات في الشرق تكون مراكز تجارية هامة . ولقد حدثت مجاعات في أوروبا ، وساءت الأحوال الاقتصادية في كثير من بلدانها الأمر الذى دفع الكثيرين إلى الاتجاه إلى الشرق ليجتاز حياة أفضل . ولا يغيب عن الأذهان مقدار البؤس الذى كان يعيش فيه الفلاح في أوروبا في المصور الوسطى في ظل نظام الاقطاع ، ومدى الاستغلال الذى كان يعرض له من السيد الاقطاعى وإرهاقه بالضرائب . كل ذلك دفع الكثيرين منهم إلى البحث عن الخلاص من الجور الذى تردى فيه ، فكان الشرق وما عرف عنه من سعة في الرزق ووفرة في الخيرات خير ملاذ يلوذ به الفلاح الأوروبى لتحسين معيشته .

بدأت الدعوة للحرب الصليبية في مؤتمر كلير مونت في جنوب فرنسا في خطاب مشهور دعا فيه البابا أريان الثانى إلى مساعدة البيزنطيين ، وأشار إلى ما يحيط بالمسيحية من خطر داهم نتيجة تقدم الترك السلاجقة ، ودعا

الناس إلى المبادرة بمحاربة المسلمين ، في حملة نظامية ، وذلك ضمان بقبول التوبة وغفران الذنوب .

ولقد أثار البابا بخطابه حماس المجتمعين في أرجاء المجمع حتى أنهم هتفوا بعبارة دهكذا أراد الله ، وأعقب ذلك مسارعة الألوف إلى حمل الصليب واتخاذهم شارة لهم . وحدد خطة الحملة وموعد سيرها ، وقرر بأن تكون القسطنطينية مكاناً يلتقى فيه الصليبيون .

ولاحظ أن فكرة الحروب الصليبية قد نبتت في أرض فرنسية ، ودعا إليها بابا من أصل فرنسي ، ولذلك اعتبرت الحروب الصليبية من الأعمال الفرنسية ، يضاف إلى ذلك أن المملكة التي أقامها الصليبيون في الشرق كانت فرنسية في نظامها وعاداتها وتقاليدها ، وكانت فرنسا مهد الفروسية الذي زود الجيوش الصليبية بخبرة الفرسان ، وفعلت حشدت فرنسا جيشاً قوياً يتقدمه أمراء الاقطاع ، وهم الذين كانوا على استعداد لأن يقوموا بمغامراتهم الحربية الجريئة ، ورأى الفرنسيون أن الحروب الصليبية فرصة للخروج من الأوضاع السيئة التي عانوها نتيجة الحروب والأوبئة والمجاعات ولعب النورمانيون دوراً هاماً في الحروب الصليبية لأنهم يحبون التجوال والترحال ، ويتحمسون للدين وأهله ، لذلك كانوا حلفاء مخلصين للبابوية .

الحملة الصليبية الأولى :

تشمل الحملة الصليبية الأولى حملتين ، يطابق على الأولى حملة الشعوب ، والآخرى يطلق عليها حملة الأمراء . أما حملة الشعوب فهي أسبق في قيامها من حملة الأمراء ذلك أن خطاب أريان الثاني في كليرمونت كان ، الزاد الذي تزود به المبشرون الذين جاؤوا البلاد يدعون للحروب الصليبية ، وأشهر هؤلاء المبشرون بطرس التاسك الذي عرف عنه المقدرة على إثارة حماس الجماهير ، وهو قسيس فرنسي يحاول تأدية فريضة الحج فيما مضى ،

غير أنه لم يتيسر له ذلك بسبب ما لقيه من الأتراك السلاجقة من سوء المعاملة ، فاضطر إلى العودة إلى بلاده ، واشتهر بطرس بأنه كان يسير حافي القدمين و بث الثياب ، لا يأكل الخبز ولا اللحوم ، إنما يعيش على السمك وشرب النبيذ ، ولقد كان شديد التحمس للدعوة الصليبية ، واستطاع بشكله الأسطوري أن يؤثر تأثيرا بالغيا في العوام في غرب أوروبا^(١) .

لم يشهد بطرس الناسك مجمع كلير مونت ، بل بدأ رحيله للدعوة الصليبية قبل انعقاد هذا المؤتمر ، وظاف على حمارة الأعرج بيلاد أوروبا مثل أورليان وشامبني واللورين ، وانتهى به المطاف في كولونيا على نهر الرين حيث أمضى عطلة عيد الميلاد ، ومن كولونيا بعث بتلاميذه ومريديه إلى الجهات التي لا يستطيع أن يزورها ، وأخذ بطرس يتنقل من جهة لأخرى راكبا حمارة مبشرا بالحروب الصليبية ، فكثرت جمعه حتى زاد أنصاره على خمسة عشر ألفا ، وهاجروا رجالا ونساء منازلهم وحقولهم ، وازداد عددهم بمن انضم اليهم من الألمان ، فتكون من هؤلاء الفقراء خمس جموع ، قبل حلول الموعد الذي حدده البابا لاجتماع الجيوش الصليبية بالقسطنطينية وهو مايو ١٠٩٦ .

غير أن ثلاثة من هذه الجموع لم تصل إلى القسطنطينية ، إذ هلك أغلبها أثناء اجتيازهم بلاد المجر ، بسبب ما ارتكبوه من أعمال السلب والنهب أثناء سيرهم ، فتعرض لهم المجرىون ، ومنزقوهم شر ممزق ، أما الجمعان الآخران فقد وصلا إلى العاصمة البيزنطية فعلا ، وقاد أولهما والتر المفلس ، والثاني بطرس الناسك ، بعد أن فقد كثيرا من أنصاره بسبب اعتداءات البلغارين عليهم . وقد أحسن الإمبراطور البيزنطي معاملة أفراد الحملتين على الرغم مما ارتكبته هذه الجموع من تخريب وتدمير في

إلى بلاد الأوربية التابعة للإمبراطور ، وعبرت هذه الجموع مضيق البوسفور في أغسطس ١٠٩٦ (١)

واشتبكت هذه الجموع الفقيه بالأتراك السلاجقة في آسيا الصغرى وهزمهم السلاجقة ، وقتلوا منهم كثيرين . وقد حاول الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين إنقاذ هذه الحملة ، فأرسل عدداً من السفن ، وصلت بعد قوات الإوان ، وحملت الفلول المهزومة إلى القسطنطينية (٢) . وهكذا فشلت حملة العامة في تحقيق أهدافها .

حملة الأمراء

حدث هذا وأمرام وفرسان أوروبا يعدون العدة للسير إلى الشرق وقسموا حملتهم إلى ثلاثة أقسام ، يقود كل فريق أمير من أمراء أوروبا المعروفين بالشجاعة والفطنة ، وتولى جود فري وأخوه بلدوين قيادة جيش اللورين ، وأخذوا طريقهم عبر البحر فالقسطنطينية فبلغوها في ديسمبر ١٠٩٦ م ٥٤٩٠ هـ . أما ريموند - أمير تولوز ، وأول من حمل الصليب من الأمراء - فقد قاد جيشه من البروفنس وبلغوا القسطنطينية في أبريل سنة ١٠٩٧ م ٥٤٩١ هـ ، بينما سار بوهيموند مع ابن أخيه تانكرد على رأس النورماندين بطريق البحر إلى القسطنطينية ، فوصلوها في الوقت الذي بلغها فيه ريموند ، وبلغ القسطنطينية أمراء آخرون يقودون جيوشاً أوربية من بلدان مختلفة من القارة الأوربية ، غير أن دورها كان ثانوياً إذا قيس بالدور البارز الذي قام به الأمراء الذين تحدثنا عنهم .

ومهما يكن من أمر فقد تجمع في القسطنطينية جيش كبير قدره بعض

Runciman : A Hist . of the Crusades . 1 . p.114

(١)

Grousset : Hist. des Croisades . I . P. 5

(٢)

المؤرخين بأكثر من نصف مليون مقاتل من بينهم أكثر من مائة وخمسين ألف فارس من شجعان أوروبا وأشدائهم^(١). وكانت تسكتف العلاقات الصليبية البيزنطية بعض الصعوبات ، فحينما وجد الامبراطور البيزنطي الكسيوس نفسه أمام جموع الصليبيين الضخمة كان عليه أن يواجه أحد أمرين ، إما يعتبر الأمراء حلفاء له ، وفي ذلك عليه أن يشترك مع هؤلاء الأمراء بجيشه ويحارب في الشرق معهم ، ويقاسمهم مكاسب الحرب وغنائمها ، وإما يعتبرهم أتباعا له ، يقسمون له يمين الولاء والطاعة ويحاربون بأمر منه ، وكل الأراضي والمكاسب من الحروب تؤولان للامبراطور البيزنطي ، وقد تشبث الامبراطور بالفكرة الثانية ، وحمل الأمراء على أن يقسموا يمين الولاء والتبعية له ، واعتبر الأراضي التي تؤدي إلى بيت المقدس أراض بيزنطية انتزعا المسلمون ومن حقه استردادها بعد أن يفتحها الصليبيون^(٢).

على كل حال عبر الصليبيون البسفور أوائل مايو ١٠٩٧. ١٠٩١ هـ إلى أملاك قلع أرسلان في آسيا الصغرى ، وحاصروا نيقية - عاصمة السلاجقة - وشددوا عليها الحصار حتى استولوا عليها ، وانضمت إلى الدولة البيزنطية ، بحجة أنها كانت ملكا لها من قبل ، لذلك ارتاب الصليبيون في نوايا الامبراطور ، ووقفوا على مدى استغلاله لهم . على أن الصليبيين رغم ذلك واصلوا زحفهم في آسيا الصغرى وهزموا كل من اعترض طريقهم من السلاجقة ، واستولوا على مدن آسيا الصغرى بلديون والرها :

استطاع الأمير بلديون أن يحرز تقدما كبيرا ، وأن يستولي على كثير من المواقع والمدن والقلاع في شمال الجزيرة . وذلك بفضل مساعدة العنصر الأرمني الذي كانت له السيادة في تلك الجهات ، والذي نظر إلى تقدم

Runciman : A Hist. of the Crusades. I. p. 163

(١)

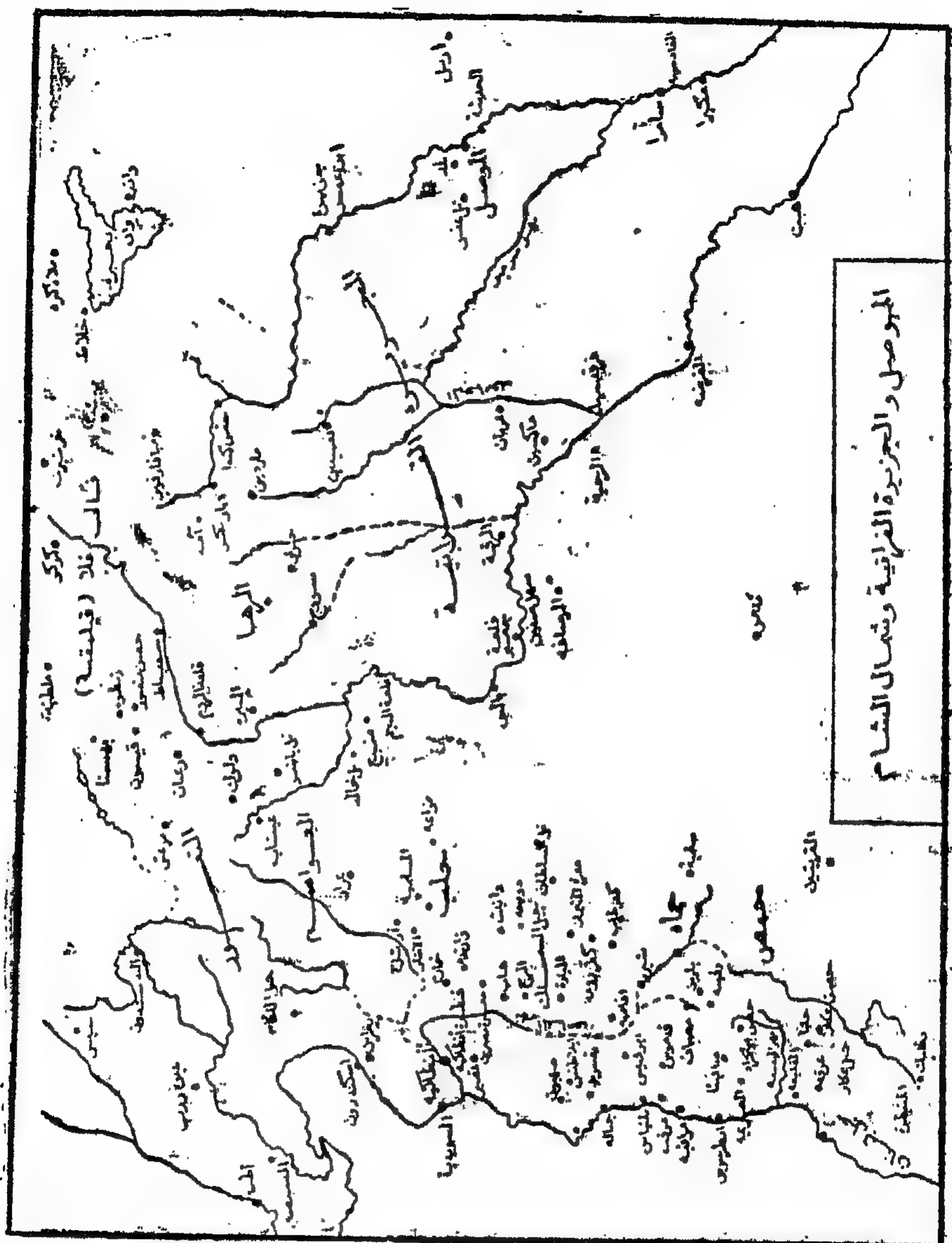
IBLD p. 47

(٢)

الصليبيين بعين الرضا للتخلص من حكم الأتراك المسلمين . لذلك استولى بسهولة على تل باشر بمؤازرة الأرمن الذين ثاروا ضد الحاميات التركية الضعيفة . وفي غضون ذلك كان ثوروس - حاكم الرها - قد سمع بنجاح الصليبيين في الاستيلاء على تل باشر من السلاجقة . فأرسل إلى بلدوين يدعو للحضور إلى الرها للوقوف إلى جانبه ، وكان ثوروس رجلا مسنا ، ليس له ولد يرثه في إمارته ، تخشى أن تضيق الرها من يد المسيحيين ، ويستولى عليها الأتراك المسلمون ، وزاد من مخاوف ثوروس أن كربوقا - صاحب الموصل - كان يعد عندئذ جيشا كبيرا لانقاذ أنطاكية من الخطر الصليبي ، مما جعل ثوروس يتخوف من أن يكتسح ذلك الجيش - وهو في طريقه إلى الشام - الرها وغيرها من الإمارات الأرمنية (١) . ووافق بلدوين على نجدة ثوروس ، فشد رحاله إلى الرها سنة ١٠٩٨ م على رأس عدد قليل من الفرسان ، وتمكنت فرقة بلدوين من تثبيت أقدام ثوروس في الرها ، ومن حمايتها من أعدائها الأتراك في سيمساط ، ولم يكتف ثوروس بحماية بلدوين لإمارته ، بل أعلن تبنيه له حتى يخلفه في حكم الإمارة ، ولم يبق ثوروس طويلا على قيد الحياة بعد هذا ، إذا لقي مصرعه في ثورة أشعل نارها الأرمن ، تخلفه بلدوين في حكم الرها : وهذه أول إمارة صليبية في الشرق ، قامت أثناء الحملة الصليبية المعروفة بالاولى ، أميرها بلدوين البولوني . وللرها مكانة كبيرة في العالم المسيحي ، إذا كانت أولى البلاد التي عاشت فيها جالية مسيحية كبيرة ، وترجمت فيها أجزاء من الانجيل باللغة السريانية . في القرن الثاني لليلاد . واستفاد الصليبيون من سيطرتهم على الرها ، لأنها من كثر دفاعي ، عتاز يحمي ممتلكات الصليبيين في الشام من هجمات المسلمين التي قد يشنوها من الشرق (٢) .

(١) صعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ١٨٣

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١٨٤



عول بلدوين على توسيع رقعة إمارته ، فبسط سيطرته على سميساط التي كان وقوعها على الضفة المقابلة للفرات يشكل خطرا على الرها ، ولم يكتف بالاستيلاء على سميساط ، بل زحف إلى سروج على بداية الطريق الموصل إلى حلب ، وبذلك أمن بلدوين إمارته الجديدة ، وكفل لها الحماية والطمأنينة ، فضلا عن زيادة ممتلكاتها .

اتجه الصليبيون إلى أنطاكية ، وحاصروها في ٤٩١ هـ وظل هذا الحصار قائما حتى سقطت المدينة في أيدي الصليبيين ، وكان بوهموند الذي تمكن من الاستيلاء على أنطاكية قد أحبط جميع المحاولات التي قام بها دقاق ورضوان لانقاذ المدينة ، ولما سمع ياغي سيان بقوة بأس الصليبيين ، أمر أهل أنطاكية من المسلمين بالخروج منها لأنه خشى عليهم من أعدائهم وأمرهم بحفر خندق . ودافع عن المدينة التي ظلت محاصرة تسعة أشهر وظهر من شجاعته ياغي سيان وجودة رأيه وحزمه واحتياظه ما لم يشاهد من غيره ، وشدده هجماته على الصليبيين حتى أفنى الكثير منهم ، ولم يستطع الصليبيون الاستيلاء على أنطاكية إلا بخيانة فيروز الأرمي مستحفظ القلعة فقد تواطأ مع الصليبيين ويسر لهم عملية الاستيلاء على أنطاكية ، وكانت الامدادات تصل الصليبيين من البحر المتوسط على السفن الإيطالية ، ولكن الصليبيين ما كادوا يستولون على أنطاكية حتى هاجمتهم قوات كربوقا — أمير الموصل — وقاسى الصليبيون من ضغط هذه القوات الويلات والبؤس . على أن الصليبيين قد شددوا هجماتهم على القوات الإسلامية حتى طردوهم نهائيا من المدينة ، وأتموا سيطرتهم عليها .

سار ريموند إلى بيت المقدس تاركا أنطاكية في يد بوهموند ، وأضاع وقتا طويلا في الاستيلاء على المدن التي في طريقه ، وتجنب الصليبيون مهاجمة المدن الساحلية حتى لا يفقدوا قوتهم قبل تحقيق هدفهم المنشود وهو

الاستيلاء على بيت المقدس ، واكتفوا بمحصولهم من أصحابها على ضمانات
عدم الاعتداء عليهم أو التعرض لهم ، والتعهد بتقديم المؤن لهم . وأخيرا
وصل الجيش الصليبي إلى بيت المقدس في يونيو سنة ٤٩٢ هـ ١٠٩٩ م .

كان بيت المقدس لتاج الدولة تنش وأقطعه الأمير سقمان بن أرتق
التركماني فظفر الفرنج بالأتراك في أنطاكية وقتلوا منهم كثيرا ، فلما رأى
الفاطميون ضعف الأتراك السلاجقة ساروا إلى القدس بقيادة الوزير
الفاطمي الأفاضل بن بدر الجوالي ، وحاصروا القدس ، وامتلكوها بالأمان
سنة ٤٩٠ هـ ، وأحسن الأفاضل إلى حاكم القدس سقمان ، وأجزل له العطاء
هو ورفاقه ، وسيرهم إلى دمشق ، وبذلك انضمت القدس إلى الدولة
الفاطمية ، وعهد الفاطميون إلى افتخار الدولة بحكم المدينة الكبرى (١) .

قدم الصليبيون إلى القدس وحاصروها نيفا وأربعين يوما نصبوا
عليها برجين أحدهما من ناحية صهيون ، أحرقه المسلمون ، وقتلوا كل من
به فلما فرغوا من احراقه ، كان الصليبيون قد امتلكوا البلدة من الجانب
الآخر وملكوها من جهة الشمال ، وأعمل الصليبيون السيف في رقاب أهل
المدينة ، ومكثوا أسبوعا يقتلون فيه المسلمين ، واحتفى جماعه من
المسلمين بمحراب داود ، فاعتصموا به . وقاتلوا فيه ثلاثة أيام ، فبذل لهم
الصليبيون الأمان . فسلموه إليهم ، وخرجوا ليلا إلى عسقلان ، وأقام
الصليبيون في المسجد الأقصى مذبحه مروعة قتلوا فيها على حسب تقدير ابن
الآثير ما يزيد على سبعين ألفا منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلماهم
وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان . وجاور بذلك الموضع الشريف ،
واستولوا على الأموال والتحف والنقائس التي وجدوها في القدس ، وعثا
حاول أهل القدس الذين غادروها الاستنجاد بالقوى الإسلامية لانقاذ

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٤٥

[illegible]

مدينتهم ، من ذلك أن وفدا منهم قصد بغداد ، وتكلموا كلاما أبكى العيون وأوجع القلوب ، واستغاثوا بالناس في صلاة الجمعة وبكوا وأبكوا وذكروا مآدم المسلمين من ذلك الشر وما تخله من قتل الرجال وسبي الحرم والأولاد ونهب الأموال (١).

وبذلك حققت الحملة الصليبية الأولى أهدافها باستيلائها على بيت المقدس واختار الصليبيون جود فرى حاكما على بيت المقدس لما اشتهر به من التقوى والورع ، وتوج ملكا في بيت المقدس ، واتخذ لنفسه لقب حامى القبر المقدس ، وكان على جود فرى أن يدافع عن كل محاولة تبذل لاسترداد مدينة القدس ففي سنة ١١٩٢ هـ لما علم الفاطميون في مصر تبأ استيلاء الصليبيين على القدس جمع الوزير الفاطمي الأفضل أمير الجيوش العساكر ، وسار إلى عسقلان ، وأرسل إلى الصليبيين ينكر عليهم جريمتهم ، ويتهدهم ، فأعادوا الرسول بالجواب ، وراحوا على أثره ، وطلعوا على المصريين عقيب وصول الرسول ، وباغتوا المصريين ، ولم يكونوا على أهبة للقتال فركبوا خيولهم ولبسوا أسلحتهم ، لكن الصليبيين هاجمهم فهزموهم ، وقتلوا منهم كثيرين ، وغنموا ما في العسكر من مال وسلاح ، وانهمز الأفضل ، وعاد بخواصه إلى مصر ، ونازل الصليبيون عسقلان وضايقوها فبذل لهم أهلها إتاوة مالية كبيرة (٢).

وبعد أن توفي جود فرى خلفه في حكم مملكة بيت المقدس التي ضمت يافا وحيفا والرملة — بلدوين الأول أمير الرها والمؤسس الحقيقي لمملكة بيت المقدس وقد اتسعت المملكة الجديدة في عهده بأن ضم إليها أرسوف وقيسرية وعكا وصيدا وبيروت ، وقد ساعد انضمام هذه المدن على تأمين وصول الأساطيل الإيطالية محملة بالمؤن والامدادات للصليبيين .

لما أيقن الفرنجة في بلاد الشام أنهم في مأمن من الدولة البيزنطية

(١) ابن الأثير : السكامل حوادث سنة ١١٩٢ هـ

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٣٧

عولوا على التوسع في البلاد الإسلامية . فشنوا عدة غارات على حلب وأعمالها (١) منتهزين فرصة انشغال الأمراء المسلمين وجندهم بقتال بعضهم بعضا فضلا عن تفرق كلتهم (٢) ، فقضى الفرنجة على كثير من سكان حلب ، وفرضوا عليهم مبالغ كبيرة من المال ليتقوا أذاهم (٣) ، كما اعتزم جوسلين — أمير تل باشر — وبوهيموند — صاحب أنطاكية — الاستيلاء على حران — التي تقع بين الرها ونهر الفرات ليقطعوا ما بين المسلمين في الشام وأخوانهم في العراق وفارس من صلات (٤) .

نهض الأميران سقمان بن أرتق — صاحب ماردین — وجكرمش — أتاك الموصل — للذود عن بلادهما ، فتناسيا ما بينهما من خلافات ، وأرسل كل منهما إلى صاحبه يدعوهُ للنشاور معه في جهاد الفرنجة ، فاجتمعا في الخابور ومعهما عشرة آلاف جندي من العرب والأكراد والتركمان (٥) وهاجما الرها ، فانضم بلدوين دي بروج — أمير الرها — إلى جوسلين — صاحب تل باشر — وبوهيموند — أمير أنطاكية — وهاجموا حران (٦) حتى تنصرف القوات الإسلامية عن مهاجمة الرها ولكن المسلمين لم يتمكنوا منها ، إذ اشتبكوا معهم في معركة حاسمة سنة ٤٩٧ هـ (١١٠٤ م) دارت فيها الدائرة على الصليبيين (٧) ، وغنم التركمان كثيرا من الغنائم (٨) .

يل وقع بلدوين دي بروج — أمير الرها — أسيرا وكذلك جوسلين ،

(١) Grousset : Histoire des Croisades. Vol. 1. P. 401

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٤٥ - ١٤٦

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٩٧ هـ

(٤) Runciman: A History of the Crusades Vol . 2 P. 40

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٤٨

(٦) Setton : A History of the Crusades . Vol . 1 P. 389

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٩٧ هـ

(٨) Runciman : A History of the Crusades . Vol . 2 P. 43

أما بوهمند وجنده ، فعادوا إلى أنطاكية لا يلوون على شيء واتجه سقمان إلى ديار بكر ، واستولى وهو في طريقه إليها على عدة حصون للفرنجية ، أما جكرمش ، فسار إلى حران وفتحها (١) .

على أن ايلغازي بن أرتق — الذي ولي ماردین بعد وفاة سقمان — أطلق سراح جوسلين مقابل الحصول على مبلغ قدره عشرون ألف دينار (٢) ، ثم سعى جوسلين إلى إطلاق سراح بلدوين بفدية قدرها ثلاثين ألف دينار (٣) .

كان لموقعة حران أهمية كبيرة ، إذ أوقفت توسع الصليبيين نحو الشرق على حساب المسلمين ، كما أدت إلى تأمين مدينة حلب بصفة خاصة وسورية الشمالية من خطر الفرنجة ، بل أثبتت أن الصليبيين لا يستطيعون قطع الصلة بين القوى الإسلامية في العراق والشام وآسيا الصغرى (٤) .

على أن الفرنجة لم يكفوا عن الزحف على المدن الإسلامية في الشام ، فاغاروا سنة ٤٩٨ هـ (١١٠٤ م) على طرابلس ، فاستنجد نجر الملك عمار — صاحبها بسقمان بن أرتق — أمير ماردین — فاستجاب (٥) له ، وتوجه إلى طرابلس ، غير أنه توفي وهو في طريقه إليها ، وضم الفرنجة طرابلس إلى حوزتهم سنة ٥٠٣ هـ (١١٠٩ م) (٦) .

ولما ولي محمد بن ملكشاه السلطنة السلجوقية عول على قتال الفرنجة (٧)

ibid .

(١)

(٢) ابن خلدون : المعبر وديوان المبتدأ والخير ج ٥ ص ٣٣

(٣) ابن النديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٤٨

(٤) Stevenson: The Crusaders in The East. 78

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٩٨ هـ

(٦) نفس المصدر حوادث سنة ٥٠٣ هـ

(٧) Runciman: A History of the Crusades . Vol .2 PP. 114-115

بأخذ جيشا كبيرا يتكون من جند الموصل بقيادة أتابكها^(١) مودود ،
وجند التركمان تحت امره ايلغازى بن أرتق — صاحب ماردين — وجند
من خلط وميا فارقين ، وطلب اليهم الاستيلاء على الرها^(٢) .

زحفت قوات الموصل والجزيرة إلى الرها سنة ٥٠٤ هـ — ١١١٠ م ،
فاستجد بلدوين بن بويج — صاحبها — يلدوين الأول — ملك بيت
المقدس — فخرج لنجدته وأنضم اليه الأمراء الصليبيون في بلاد الشام^(٣) ،
غير أن الفرنجة تفرق شملهم ، إذ وصل إلى تانكرد — أمير أنطاكية —
أن رضوان — أمير حلب — غزا أمارته^(٤) ، كما أن بلدوين الأول —
ملك بيت المقدس — عاد إلى مملكته بعد أن بلغه أن الفاطميين ازدادت
هجماتهم عليها^(٥) .

ولما اشتدت هجمات قوات الموصل والجزيرة على إمارة الرها ، وعجز
أميرها عن حماية بلاده الواقعة شرق الفرات ، أمر السكان المسيحيين بأن
يغادروا هذه البلاد ، فرحلوا إلى البلاد الواقعة على الضفة اليمنى لنهر الفرات
لأنها أكثر أمنا . ولما شرع هؤلاء السكان في المسير إلى تلك البلاد
التي اتخذوها موطناً لهم ، باغتهم مودود — أتابك الموصل — ونكل بهم^(٦) .
استقر رأى تانكرد — أمير أنطاكية — بعد عودة جند الموصل
والجزيرة إلى بلادهم — على الانتقام من رضوان — أمير حلب —^(٧) الذي

(١) ابن الفلاس : ذيل تاريخ دمشق ص ١٦٩

(٢) Runciman : A History of the Crusades . Vol .2 P. 115

(٣) ابن الفلاس : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٠

(٤) Runciman : A History of the Crusades . Vol .2 p.116

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٤ هـ .

(٦) Runciman A History of the Crusades. Vol 2. PP. 117, - 118

(٧) ابن الفلاس : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٣

هاجم بلاده ، فأغار على حلب ، وأخذ يشدد الحصار على حصن الآثارب (١) حتى يتيسر له الاستيلاء عليه (٢) ، ثم قصد حصن زردنا ، وأمتلكه سنة ٥٠٤ هـ - (١١١٠ م) (٣) ولما بلغ ذلك أهل منبج وبالس غادروا بلديهما مما أتاح للفرنجية الفرصة لدخول هذين البلدين ، لكنهم سرعان ما حلوا عنها ، وساروا إلى صيدا ، واستولوا عليها (٤) ، الأمر الذي أدى إلى إثارة المسلمين ، وتخوفهم من اقتحام الفرنجة على الاستيلاء على سائر بلاد الشام (٥) . فسار جماعة من أهل حلب إلى بغداد لتحريض أهلها على الفرنجة (٦) . وذكر ابن الأثير (٧) أنه قبل وصول وفد حلب إلى بغداد أرسل الامبراطور البيزنطي الكسيوس كرومين - وكان في خلاف مع الفرنجة - إلى السلطان السلجوقي في بغداد يستفزه على الفرنجة ، ويحثه على قتالهم ، ولما علم بذلك أهل بغداد صاحوا في السلطان : « أما تتق الله تعالى أن يكون ملك الروم أكثر حمية منك للإسلام ، حتى أنه أرسل إليك في جهادهم . عندئذ لم يتردد السلطان السلجوقي في انفاذ عساكر الموصل والجزيرة إلى بلاد الشام لصد الفرنجة عنها (٨) .

اجتمعت قرات كبيرة من الموصل والجزيرة بقيادة مودود -
أتابك الموصل - وإيازين أيلغازي بن أرتق (٩) ، وسارت نحو سنجار .

(١) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٦٨ :

(٢) ابن المديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٥٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٤ هـ .

(٤) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٤ هـ .

Grousset: Histoire des Croisades. Vol . I p. 460

(٦) ابن المديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٥٨ .

Runciman: A History of the Crusades. Vol. 2 p. 121

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٤ هـ .

(٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٣ .

Runciman: A History of the Crusades Vol. 2 p. 121 (٩)

فاستولت على بعض حصون الفرنجة القريبة منها سنة ٥٠٥هـ (١١١١م^(١))، ثم حاصر جند الموصل والجزيرة مدينة الرها، غير أنهم مالبثوا أن اضطروا إلى التقهقر عنها إلى حران لحمل الفرنجة على تعقبهم^(٢)، ليكن الفرنجة فطنوا إلى خدعة قواد المسلمين ولم يتبعوا قواتهم بل عمدوا إلى تحصين مدينة الرها، وتزويدها بالجند والعتاد والمؤن حتى تستطيع الصمود ضد هجمات قوات الموصل والجزيرة^(٣).

ولما عاد مودود وإياز بن إيلغازي إل الرها حاصراها، فاستعصت على قواتهم^(٤)، مما اضطرها إلى الرحيل عنها، فقصدوا تل بامر^(٥)، وحاصروها خمسة وأربعين يوما، وكادت تسقط في أيديهم لولا أن جوسلين الثاني — صاحب تل بامر — اتصل بأحد قواد القوات الإسلامية الأكراد، واتفق معه على رفع الحصار عن تل بامر مقابل مبلغ من المال^(٦)، وفي نفس الوقت اتصل رضوان — صاحب حلب — بمودود — أتابك الموصل — يستنجد به على الفرنجة — الذين زادت غاراتهم على حلب^(٧) وهكذا أتاحت الفرصة للقائد الكردي ليقنع مودود برفع الحصار عن تل بامر، والمسير إلى حلب^(٨). غير أن القوات الإسلامية التي اتجهت إليها مالبث أن هاجمها جوسلين^(٩) — ولما اقتربت قوات الموصل والجزيرة

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٥ هـ

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٥٩

(٣) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٥ .

Setton : A History of the Crusades Vol.1 P. 399

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٥ هـ

(٥) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٥

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٥٩

(٧) Runciman: A History of the Crusades Vol .2p. 122

(٨) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ١١٧

Setton: A History of the Crusades Vol , I p. 406

(٩) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٥ هـ

Runciman: A History of the Crusades Vol.2 P. 122

من حلب أدرك أميرها وضوان أن تلك القوات وهؤلاء الأمراء الذين يتولون قيادتها يشكلون خطراً عليه وعلى سلطانه (١)، ومن ثم لم يخرج لاستقبال مودود وحلفائه، بل أغلق أبواب حلب في وجوههم (٢).

لم يكف مودود — أتابك الموصل — عن مواصلة جهاد الفرنجة، فسار على رأس قوات الموصل والجزيرة إلى معرة النعمان لاسترداد النواحي التي استولى عليها تانكرد — صاحب أنطاكية — وانضم إليه طغتكين — أتابك دمشق (٣) — ليكن حدثت خلافات بين الأمراء المشتركين في حملة مودود وبين أتابك دمشق الذي طلب منهم المسير إلى طرابلس والاستيلاء عليها (٤)، فأبوا إجابة طلبه لأنهم رأوا في ذلك مخاطرة لا يستفيد منها إلا هو (٥)، كما أن — أتابك دمشق — رفض التعاون مع هؤلاء الأمراء (٦). وتوجس منهم خيفة حين علم أن بعضهم يزمع التآمر عليه بغية انتزاع دمشق من شرع في مهادنة الفرنجة سراً (٧)، وسرطان ماتفرق الأمراء المسلمون ولم يبق مع مودود سوى أياز بن أيلغازي وطغتكين فاتجهوا إلى نهر العاصي (٨). لما علم الفرنجة بتفوق القوات الإسلامية، عولوا على استغلال هذه الفرصة لتحقيق مطامعهم، فصاروا إلى قامية بقيادة بلدوين الأول — ملك بيت المقدس وبلدوين دى بوج — أمير الرها، وجوسلين — صاحب

(١) ابن الفلانى : ذيل تاريخ دمشق من ١٧٧

Grousset: Histoire des Croisades Vol. I. p. 465

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ من ١٠٩

Setton: A History of the Crusades Vol. I, p. 400

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٥ هـ

(٤) ابن الفلانى : ذيل تاريخ دمشق من ١٧٤ — ١٧٥

(٥) Setton: A History of the Crusades Vol. I R. 400

(٦) لم يكن مودود بين هؤلاء الأمراء إذ كان متحالفاً مع طغتكين.

(٧) Runciman: A History of the Crusades Vol. 2 p. 126

(٨) ابن الأثير الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٥ هـ

تل باشر — وبرترام — أمير طرابلس^(١) — عندما اقتربوا من شيزر ،
استنجد صاحبها — سلطان بن منقذ — بمودود فاستجاب له ، وسار إلى
شيزر ، واشتبكت قواته مع قوات الفرنجة^(٢) في معركة دارت فيها الدائرة
على الصليبيين^(٣) .

ظل مودود — أتابك الموصل — يعمل على الاستيلاء على الإمارات
الصليبية في بلاد الشام . على الرغم مما واجهه من صعوبات في سبيل تحقيق
غايته ، فقصدها سنة ٥٠٦ هـ — (١١١٢ م) منتهزا فرصة اتصال سكانها
الآرمن^(٤) — المقيمين فيها — به . وتشجيعه على المسير اليهم لكراهتهم
بلهرين دي بروج — أمير الرها — ولما سار مودود إلى هذه المدينة أبقى
فيها فريقا من جنده لمحاصرتها . بينما توجه إلى سروج — على اعتبار أنها
المركز الثاني للصليبيين شرقي الفرات — وحاصرها ، غير أن حاكم الرها
فطن إلى تأمر الآرمن عليه ، فأنزل بهم عقابا صارما^(٥) . أما جوسلين —
صاحب تل باشر — باغت عسكر الموصل ، ويبدو أن صاحب الموصل
لم يأخذ حذره من الفرنجة . وفي ذلك يقول ابن الأثير^(٦) :

« ولم يحذر منهم ، فلم يشعر الا وجوسلين — صاحب تل باشر —
قد كبسهم ، » :

عاد أتابك الموصل والجزيرة إلى مهاجمة الإمارات الصليبية في بلاد
الشام ، حين توالى غارات بلدوين الأول — ملك بيت المقدس —

(١) Runciman : A History of the Crusades Vol . 2 P. 123

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٧

(٣) Setton : A History of the Crusades. Vol 1 P. 400

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٦ هـ

(٥) Setton: A History of the Crusades. Vol. I . P. 401

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٦ هـ

على دمشق^(١) ، فأعد مودود حملة اشترك فيها إياز بن يلفازى ، وبعض
امراء الجزيرة وساروا إلى بلاد الشام^(٢) حيث التقوا بطغتكين —
أتابك دمشق — عند سلبية — من أعمال حماه — وجمعت القوات الإسلامية
إلى استدراج قوات الصليبيين إلى نواحي دمشق ، واشتبكوا معهم في
معركة لقي فيها الصليبيون هزيمة فادحة سنة ٥٠٧ هـ — (١١١٣ م)^(٣)
أخذت القوات الإسلامية بعد ذلك النصر الذي أحرزته على الصليبيين
تتابع اغارتها على بلاد الفرنجة بين عكا وبيت المقدس ولم يفلح الفرنجة
في صد هجمات المسلمين^(٤) ، بل تحصنوا في الاستحكامات والحصون دون
أن يتمكنوا من مغادرتها^(٥) ، ثم أذن مودود لقواته بالعودة إلى العراق ،
والبقاء هناك حتى الربيع ، وسار مع بعض خواصه إلى دمشق^(٦) حيث
قتله الاسماعيليون بإيعاز من طغتكين — أتابك دمشق — ويذكر
ابن الأثير^(٧) أن طغتكين عمل على التخلص من مودود ، إذ رآه خطرا يهدد
حكمه في دمشق ، ولما خشي من انتقام السلطان السلجوقي عقد هدنة مع
بلدوين الأول — ملك بيت المقدس — سنة ٥٠٨ هـ — (١١١٤ م) ثم
تحالف مع الفرنجة في العام التالي^(٨) .

تخلص الفرنجة بوفاء مودود من أقوى أعدائهم كما تحطمت جهود
السلاجقة الرامية إلى تكوين جبهة إسلامية متحدة تقف في وجه الصليبيين^(٩) .

Setton: A History of the Crusades Vol I . P. 402 (١)

Runciman: A History of the Crusades: Vol . 2 P. 126 (٢)

Grousset : Histoire des Croisades Vol . 1 . P. 484 (٣)

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٧ هـ

(٥) ابن الفلاس : ذيل تاريخ دمشق ص ١٨٤ — ١٨٥

Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 P. 127 (٦)

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٧ هـ

Setton : A History of the Crusades Vol . 1 . P. 403 (٨)

Ibid: (٩)

جعل أن السلطان محمد واصل سياسته في العمل على استئناف الجهاد ضد الفرنجة ، فأسند أتابكية الموصل إلى آقسنقر البرسقي (١) ، وأمره بقتال الصليبيين فأعد جيشاً كبيراً انضم إليه صاحب مازدين وعماد الدين زنكي ، وبعض أمراء الجزيرة (٢) ، وهاجمت القوات الإسلامية الرها وسروج وسميساط سنة ٥٠٨ هـ - (٣) (١١١٤ م) .

حالت الخلافات التي ظهرت بين أتابكية الموصل والجزيرة دون تنفيذ سياستهم في محاربة الصليبيين فنشب النزاع بين آقسنقر البرسقي - أتابك الموصل - وأياز بن ايلغازي (٤) -- ولما وقع أياز أسيراً في يد البرسقي ، استدعى أبوه ايلغازي جند التركمان وهاجم البرسقي ، وهزمه وأرغمه على العودة إلى الموصل (٥) ، ولم يلبث بعد ذلك أن عزله السلطان السلجوقي محمد ، وأحل محله في أتابكية الموصل جيوش بك (٦) . أما ايلغازي بن أرتق فخشي انتقام السلطان السلجوقي منه ، وسار إلى الشام حيث تحالف مع طغتكين - أتابك دمشق (٧) - واتفقا على الوقوف في وجه السلطان محمد بل تحالف مع الفرنجة وراسل روجر - صاحب أنطاكية (٨) .

واصل السلطان السلجوقي محمد مناهضة الصليبيين ، فأعد قوات كبيرة ضمن جيش الموصل بقيادة أتابكها جيوش بك وجند الجزيرة ، وأسند قيادة هذه القوات إلى برسقي - أمير همدان وأصفهان - وطلب السلطان من هذا الأمير البدء بالتخلص من طغتكين و ايلغازي .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٨ هـ

(٢) Setton : A History of the Crusades. Vol. 1. P. 403

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٨ هـ

(٤) Setton : A History of the Crusades. Vol. 1. P. 404

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٨ هـ

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٨ هـ

(٧) Ruaciman: A History of the Crusades Vol. 5 p. 131

(٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٠٩ هـ

سار برسق إلى الرها وحاصرها ، ثم مالبث أن رفع عنها الحصار واتجه إلى حلب ، بعد أن علم أن لؤلؤ - نائب أمير حلب - انضم إلى ايلغازي وطغتكين ، فلما اقترب منها ، أرسل إليه يطالبه بتسليمها ، وعرض عليه كتب السلطان بذلك ^(١) . لكن لؤلؤ رفض تسليم حلب ، واستنجد بطغتكين وايلغازي فسار إلى حلب ، وكان ذلك مما حمل برسق على العدول عن مهاجمتها وقصد حماه - وكانت في حوزة طغتكين ، فاستولى عليها بمساعدة أمير حمص ^(٢) .

استنجد طغتكين ببلدوين الأول - ملك بيت المقدس - وبونز - أمير طرابلس - فخشي برسق من تجمع أعدائه وعاد إلى الجزيرة ، غير أنه لم يلبث أن أنقض فجأة على كفر طاب ، فاستولى على قلعتها ^(٣) ، وسلمها إلى بني منقذ - أصحاب شيزر - ثم سارت قوات الموصل والجزيرة إلى قلعة فاميه - وكانت وقتذاك خاضعة للفرنجة - فلما شاهدت هذه القوات تحصيناتها القوية انصرفت عنها إلى المعرة ^(٤) ، لكنها لم تتمكن من الاستيلاء عليها ، واتجه جيوش بك - أتابك الموصل - إلى بزاغة ، وارتعها من الفرنجة ، بينما اتجه جيش برسق إلى حلب مما اضطر روجز - أمير أنطاكية - إلى المسير للقاء المسلمين سنة ٥٥٩ هـ (١١١٥) فالتقى بجند الموصل والجزيرة على مقربة من مدينة سبرمين حيث انقض عليهم ^(٥) ، فآدى ذلك إلى إثارة الاضطراب بين قوات المسلمين وعجز برسق عن جمع شملهم ^(٦) وحلت به الهزيمة ^(٧) .

(١) Setton : A History of the Crusades Vol. 1 p. 494

(٢) ابن العديم : زبدة الخلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٧٦

(٣) نفس المصدر : ج ٢ ص ١٧٦ - ١٧٧

(٤) Runciman: A History of the Crusades Vol. 2 p. 131 - 132

(٥) Grousset : Histoire des Croisades , Vol 1 : pp.510 - 511

(٦) Setton : A History of the Crusades Vol. 1 pp. 404 -

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٥٩ هـ

لم يحاول سلاطين السلاجقة في العراق — بعد هذه الهزيمة — استعادة الشام من الفرنجة ، كما أن السلطان محمد لم يعد مستعداً لانفاذ حملة أخرى لمحاربة الصليبيين ومن ثم تمتعت الإمارات الصليبية بقدر من الهدوء لم تعرفه من قبل . أما روجر — صاحب أنطاكية — فإنه سار إلى كفر طاب ، وضمها إلى حوزته ، ومن ناحية أخرى ، أزعج ذلك الانتصار الذي أحرزه الصليبيين طغتكين — أتابك دمشق — وإيلغازي بن أرتق — أمير ماردين — وسارعا إلى مصالحة السلطان السلجوقي (١) .

ظلت الموصل والجزيرة محط أنظار المسلمين في بلاد الشام فلما اضطربت الأمور في حلب (٢) بعد مقتل حاكمها لؤلؤ سنة ٥١٠ هـ — (١١١٧ م) (٣) ، سار روجر أمير أنطاكية إليها ، واستولى على بعض أعمالها (٤) ، وسامت الأحوال الاقتصادية في هذه المدينة ، فلم يتوافر فيها من المؤن ما يكفي أهلها واستبد بهم الخوف ، ولو أتاحت لهم الفرصة للرحيل عنها لما ترددوا في ذلك (٥) ، غير أن هذه المدينة ما لبثت أن دخلت في حوزة نجم الدين إيلغازي — أمير ماردين — الذي سار إليها سنة ٥١١ هـ (٦) — (١١١٧ م) ورحب به أهلها لاعتقادهم أن قواته من جنود أتركن قادرة على حماية بلادهم من خطر الفرنجة (٧) .

بذل إيلغازي أموالاً للفرنجة مقابل ددنة عقدها معهم ، ثم سار إلى

(١) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٧٩ — ١٨١
Setton : A History of the Crusades Vol. 1 pp. 404 - 405

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٧٩ — ١٨١

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٩٨

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١١ هـ

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ص ١٨٥ — ١٨١

(٦) Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 pp. 113-114

(٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ١٩٩

ماردين لجمع العساكر ، واستخلف بحلب ابنه حسام الدين قمر تاش (١) .
 على أن الفرنجة ما لبثوا أن تقصروا هذه الهدنة ، ففي سنة ٥١٣ هـ —
 (١١١٨ م) هاجم روجر — أمير أنطاكية — عزاز والبراعة (٢) واستولى
 عليها وكانتا في حوزة ايلغازي بن أرتق ، وبذلك انقطع الطريق الذي يصل
 بين حلب والبلاد الواقعة شرقي الفرات ، ثم أغار صاحب أنطاكية على
 حلب (٣) ، ولم يكن بها من الذخائر ما يكفيها ، وبلغ من خوف أهل حلب
 من الفرنجة أنهم تقاسموا معهم أملا كهم التي يباب حلب (٤) .
 عاد ايلغازي بن أرتق — أمير ماردين — إلى حمل لواء الجهاد ضد
 الصليبيين سنة ٥١٣ هـ — (١١١٩ م) حين خرج إلى الشام على رأس عشرين
 ألف مقاتل من العرب والأكراد والتركمان ، فنزل روجر — أمير أنطاكية —
 على مقربة من الأتارب ظاناً أنه أحد لا يستطيع اعتراض قواته لضيق
 الطريق ، وأرسل إلى ايلغازي يهدده ويحذره (٥) . على أن ايلغازي لم يعبا
 بتهديد الفرنجة فهاجم بلاد الرها ، وألحق بالفرنجة خسائر فادحة ، ثم عبر
 الفرات ، ومضى إلى قنسرين — جنوب دمشق — ، فانضم إليه طغتكين ،
 وشنت القوات الإسلامية عدة هجمات على حارم وجبل السماق ، على حين
 هاجم بنو منقذ — أصحاب شيزر — الأراضي التي في حوزة روجر

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٣ هـ

Setton: A History of the Crusades. Vol. 1 P. 40g

(٢) ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٨٦ — ١٨٧

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٣ هـ

(٤) يذكر ابن العديم أن ايلغازي جند الأيمان على الأمراء والمقدمين بأن يناصحوا
 في حربهم ، ويمارسوا في قتال العدو ، وأنهم لا يشكلون ويبدلون مهجهم في الجهاد ، فلقوا
 على ذلك بنفوس طيبة .

(زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٨٧)

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٣ هـ

Ruicman : A History of the Crusades . Vol. 2 p. 153 (٦)

— أمير أنطاكية — رغبة في اشغاله عن مقاتلة المسلمين (١).

استنجد روجر بجوسلين — أمير الرها — وبونز — أمير طرابلس —
وبلدوين الثاني — ملك بيت المقدس — (٢). ولما أتم ايلغازي اعداد قواته
انقض على جيش الفرنجة وأحاط به ، وأنقطع وصول الامدادات إلى
الصليبيين مما اضطر روجر إلى اقتحام صفوف القوات الاسلامية
حتى لا يتعرض هو وجيشه للهلاك (٣) ، لكن المسلمين ما لبثوا أن أوقعوا
الهزيمة بالفرنجة ، وخر روجر صريعاً (٤) في ميدان القتال ، ولم ينج من
فرسانه إلا القليل ، ووقع في أيدي المسلمين من السبي والغنائم والدواب
مالا يحصى (٥). وبلغ من كثرة ما قتل من الصليبيين في هذه الواقعة أن
أطلقوا على السهل الذي دارت فيه اسم ساحة الدم (٦).

كفل انتصار المسلمين على الصليبيين في واقعة ساحة الدم الأمان
لمدينة حلب ، وفي نفس الوقت أصبح الطريق إلى أنطاكية مفتوحاً أمام
قوات ايلغازي (٧) ، ولو أنه سار لمنازلها لما استعصت عليه (٨). غير أن
ايلغازي قصد الأتارب ، واستولى عليها ، ثم زحف إلى زردنا وامثلكتها ،
وخشى بلدوين الثاني — ملك بيت المقدس — تحرك المسلمين جنوباً لانتزاع
بعض أملاكه ، فسار إليهم واشتبك مع ايلغازي في معركة غير حاسمة (٩)،

(١) Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 p. 153

(٢) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٨٧ .

(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ١٩٠ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ١١٣٠ هـ .

(٥) Setton : A History of the Crusades Vol. I p. 413

(٦) Runciman : A History of the Crusades. Vol. 2 p. 155

(٧) Ibid; Vol. 2 p. 155.

(٨) ابن القلانسي : دهل تاريخ دمشق ص ٢٠١ .

(٩) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ١٩٤ .

عاد بعدها الأمير الأرتقى إلى حلب، وأصلح أمورها^(١).

استقر لدى بلدوين الثاني — ملك بيت المقدس — على السير إلى أنطاكية وتحصينها، كما ولي الوصاية عليها ريثما يبلغ بوهمند — أميرها الشرعى — سن الرشد^(٢)، وانضم إليه جوسلين — صاحب تل باشر — فى الدفاع عن أنطاكية بسبب تعرضها لغارات ايلغازى بن أرتق^(٣)، غير أن الأمير الأرتقى ما لبث أن عقد هدنة مع الفرنجة تضمنت اعترافه بامتلاك إمارة أنطاكية البلاد الواقعة شرق نهر العاصى^(٤).

على أن الفرنجة سرعان ما نقضوا هذه الهدنة، وأغاروا على بلاد الشام والجزيرة ونهبوها^(٥)، وتوالت غارات جوسلين — أمير الرها — على منبج وبزاعة والآثارب^(٦) كما انتهز بلدوين الثاني — ملك بيت المقدس فرصة ثورة سليمان بن ايلغازى — والى حلب — على أبيه، فشن غارات على أعمال حلب مما اضطر ايلغازى إلى عقد صلح مع بلدوين الثاني، نزل له فيها عن زردنا والآثارب سنة ٥١٥ هـ (١١٢٢ م)^(٧).

أتاحت هذه الهدنة لایلغازى بن أرتق — أمير ماردین وحلب — الفرصة لجمع قوات كبيرة من جند التركان من ديار بكر، ثم عبر بهم الفرات قاصدا الشام لمواصلة جهاد الصليبيين^(٨)، وحاصر هو وابن أخيه بلك

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٤ هـ.

(٢) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٤ هـ.

(٣) Setton: A History of the Crusades. Vol I pp. 415-416

(٤) ابن العديم: زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ١٩٦ — ١٩٧.

(٥) Runciman: A History of the Crusades Vol 2. p 159

(٦) ابن العديم: زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ١٩٨.

(٧) ابن العديم: زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ١٩٨.

(٨) انتهز ايلغازى بن أرتق فرصة خروج بونز — أمير طرابلس — على طاعة ملك

بيت المقدس، ومسير بلدوين الثاني إلى طرابلس لإرغام بونز على الدخول فى طاعته.

(Runciman: A History of the Crusades Vol. 2 p 161)

ابن بهرام الأرتقي زردنا^(١) ، واشتبكا مع بلدوين في قتال حول الأثارب سنة ٥١٥ هـ - (١١٢٥) ^(٢) . غير أن ايلغازي ما لبث أن انسحب إلى حلب لمرضه^(٣) .

أما بلك بن بهرام الأرتقي فسار إلى الرها ، وحاصرها ، لكنه عجز عن الاستيلاء عليها ، ورفع عنها الحصار ، ولما علم أن أميرها يتعقبه ، عول على مهاجمته^(٤) ، وأحل بقواته الهزيمة ، وانتهت هذه المعركة بأسر جوسلين ، ٥١٥ هـ - ١١٢٢ م ^(٥) ، ونقله إلى قلعة خرتبرت حيث عرض عليه الأمير بلك إطلاق سراحه مقابل النزول عن الرها ، لكنه رفض^(٦) . أضعفت وفاة ايلغازي بن أرتق من شأن الأراتقة بسبب اقتسام أملاكه بين أولاده وأقاربه ، فالت حلب إلى سليمان بن عبد الجبار الأرتقي ، واستفاد الملك بلدوين الثاني من ضعف الأراتقة ، فاستولى على البيرة - شرقي حلب - وأقليم بزاعة وبالس بالقرب من حلب^(٧) ، ولما عجز سليمان عن رد هجماتهم عقد صلحا مع بلدوين الثاني تضمنت إعادة الأثارب إليه سنة ٥١٧ هـ - (١١٢٣ م) في مقابل أن يكف الفرنجة عن بلاده^(٨) .

ولما علم بلك بن بهرام بن أرتق أن صاحب حلب نزل عن حصن

(١) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٠٣ - ٢٠٤

(٢) Setton ; A History of the Crusades. Vol.I. p. 417

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٠٤ - ٢٠٦ .

(٤) نصب بلك له كنيسا في موضع رطب زاده سوءاً انهيار الأمطار ، فانزلت أوجل

الحيل ، وتعثرت في سيرها ، ولم يجد فرسان التركان صعوبة في تطويق الفرنجة ،

فقتلهم من آخرهم .

(Setton : A History of the Crusades. Vol I. p. 418)

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ .

(٦) Runciman ; A History of the Crusades. Vol. 2 p. 161

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٧ هـ .

(٨) ابن القلائسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠٩ .

الأثارب للفرنجية ، عظم ذلك عليه وأنكره ، فسار إلى حران وملكها (١) ،
ثم قصد حلب وهاجمها ومنع الميرة عنها (٢) ، واضطر صاحب حلب إلى
تسليم البلدان لابن عجمه بلك بن بهرام (٣) .

سكان لوقوع جوسلين - أمير تل بasher - أسيراً أثر بالغ في نفوس الفرنجة
فولى بلدوين الثاني - ملك بيت المقدس - أمانة الرها (٤) ، وسار على رأس
قوة صغيرة وأقام معسكراً في موضع لا يبعد كثيراً عن كركر - الواقعة
على نهر الفرات ، والتي انتزعها بلك من الفرنجة (٥) ، لكن بلك سرعان
ما انقض على معسكر بلدوين ، وقضى على كثير من جنود الفرنجة ، وأسر
بلدوين ، ثم نقل إلى قلعة خربتوت (٦) .

عول الفرنجة على الانتقام من بلك فهاجموه ، بينما كان يحاصر منبج
لأنواعها منه ، فتصدى لهم ، وألحق بهم الهزيمة ، ثم عاد إلى منبج
حيث انتهت حياته أثناء حصاره القلعة سنة ٥١٨ - (١١٢٤ م) (٧) .

-
- (١) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢١٠ .
(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٧ هـ .
Runciman : A History of the Crusades. vol. 2. p. 167
(٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٠٩ .
Setton : A History of the Crusades vol. I. p. 422
(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٧ هـ .
(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٧ هـ .
(٦) في بلدوين الثاني من الأسر بعد أن حث للأسرى الفرنجة « على أنه لا يذير ثيابه »
ولا يأكل لحماً ، ولا يشرب إلا وقت القران إلا أن يجمع الجوع الفرنجة ، ويصل بهم
إلى خربتوت ويخلصهم ، وسار إليهم جوسلين حينئذ ساعد سكان القلعة الأرمن ،
بلدوين والأسرى الفرنجة في الاستيلاء على القلعة ، غير أن بلك ، لم يمكن جوسلين
من القلعة واستعادها ، ورتب فيها من يحفظها ، ونقل بلدوين إلى حران .
ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢١٣ .
ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٨ هـ .
Runciman : A History of the Crusades. vol. 2. pp. 163-166
(٧) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٢ ص ٢٤٩ .

تفرق عسكر بلك أثر وفاته ، فسار حسام الدين تمر تاش بن ايلغازى - أمير ماردين - إلى حلب ، واستولى عليها (١) ، ونازعه في حكمها الأمير ديس بن صدقه - صاحب الحلة - وفي هذه الأثناء رأى حسام الدين أن يطلق سراح بلدوين الثانى - ملك بيت المقدس (٢) - بعد أن تعهد بأداء مبلغ كبير من المال ، وأن يعيد إلى حلب مدن الأنارب وزردنا وعزاز وكفر طاب والجسر ، وأن يقف إلى جانبه في قتال ديس بن صدقه ، وأن يحتفظ صاحب حلب بالرهائن رهائن ريثما يثوى بلدوين الفدية كاملة . غير أن ملك بيت المقدس تخلى عن تعهداته بعد اطلاق سراحه (٣) .

ولما انتزع الفرنجة مدينة صور من الفاطميين سنة ٥١٨ هـ (١١٢٤ م) طمعوا في الاستيلاء على بقية مدن الشام (٤) فقصدوا حلب ، وانضم اليهم ديس بن صدقه - صاحب الحلة - وياغى سيار الأرتقى وسلطان شاه ابن رضوان . غير أن حسام الدين تمر تاش - صاحب ماردين وحلب - لم يغادر ديار بكر لتجدة أهل حلب ، ويرجع السبب في ذلك إلى ، انشغاله بالاستيلاء على ميفارقين (٥) بعد وفاة سليمان ، وظل أهل حلب يقاومون الفرنجة حتى ضعفت مقاومتهم (٦) فلبجأوا إلى البرسقى - أتابك الموصل - وبعثوا إليه يستنجدونه فلبى طلبهم ، ولما أشرفت قوات الموصل على حلب (٧) ، رحل الفرنجة وحلفاؤهم عنها (٨) . ورأى البرسقى أن من

(١) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢١٧ - ٢١٩ :

(٢) Runciman : A History of the Crusades, vol, 2 p. 165

(٣) Setton : A History of the Crusades. vol, I p. 423

(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٨ هـ .

(٥) Setton : A History of the Crusade vol. I. 452

(٦) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٢ ص ٢٤٩

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٨ هـ

(٨) Runciman: A History of the Crusades Vol. 2 P.173

المصلحة عدم تتبع الفرنجة حتى تستقر الأمان في حلب ، ولما دخلها رجب به أهلها (١) . وهكذا اتحدت حلب والموصل تحت زعامة آقسنقر البرسقي ، مما يعتبر نواة لتكوين جبهة اسلامية ، تستطيع الوقوف في وجه الصليبيين (٢) . ظل البرسقي يواصل الحرب ضد الصليبيين بعد عودته إلى الموصل ، فسار إلى الشام ، وشن عدة هجمات على بلاد أنطاكية ، وحاصرت الأثارب (٣) ثم اضطر إلى رفع الحصار عنها والعودة إلى حلب ثم إلى الموصل حيث قتلته الاسماعيلية (٤) ، خلفه ابنه عز الدين مسعود . لكنه لم يكن كأييه في جهاد الفرنجة ، ولم يلبث أن توفي ، وسادت الفوضى مدينة حلب ، فولى الناس عليهم أميرا من بني أرتق يدعى سليمان بن عبد الجبار (٥) فاتهم جوسلين - أمير الرها - وبوهمند الثاني - صاحب أنطاكية - فرصة ذلك الاضطراب الذي ساد حلب (٦) ، وحاولا الاستيلاء عليها (٧) غير أن محاولتهما باءت بالفشل (٨) . ولم يمض غير قليل حتى دخل عماد الدين زنكي بن آقسنقر هذه المدينة سنة ٥٢٢ هـ - (١١٩٩ م) حاملا تقليدا يحكمها من السلطان السلجوقي (٩) ، فأحسن أهلها استقباله (١٠) . وبانضمام حلب إلى الموصل

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٨ هـ

(٢) سميد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٦١ هـ

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٩ هـ

Runciman : A History of the Crusades Vol . 2 P. 173 - 174

Setton : A History of the Crusades Vol . 1 PP. 426 - 427 (٤)

(٥) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٢٧

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٢ هـ

ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣٧ - ٣٨

(٧) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٨

(٨) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٤١

ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣٨ - ٣٩

Setton : A History of the Crusades Vol . 1 . P. 453 (٩)

(١٠) ويذكر ابن الأثير أن أهل حلب أظهروا من الفرح والسرور بمقدم زنكي ما لا يعلمه

إلا الله سبحانه وتعالى . (التاريخ الباهر في الدولة الانطاكية ص ٢٧ - ٢٨)

تحت سلطان زنكي ، أثقل صراع أتابكة الموصل والجزيرة مع الصليبيين إلى دور جديد .

واصل عماد الدين زنكي سياسة أسلافه - أتابكة الموصل - في مجاهدة الفرنجة بعد أن استفحل خطرهم في بلاد الشام ^(١) ، وأمتد ملكهم من ناحية ماردين إلى عريش مصر ، فيما عدا حلب وحمص وحماه ودمشق التي بقيت في حوزة بعض الأمراء المسلمين ^(٢) ، بل أن هذه البلاد تعرضت لغارات متعددة شها الفرنجة بغية السلب والنهب ^(٣) ، ولم يكتفوا بذلك بل فرضوا اتاوات على البلاد المجاورة لهم ، مقابل عدم اعتدائهم عليهم ^(٤) .

بدأ زنكي يناهض الصليبيين منذ سنة ٥٦٤ هـ (١٢٩ م) وعلى الرغم من أنه لم يستفد من الاضطرابات التي حدثت بأنطاكية بعد مقتل أميرها بوهمند الثاني ^(٥) ، فإنه عمد إلى مهاجمة بعض حصون الفرنجة التي تهدد ممتلكاته في بلاد الشام ومنها حصن الأثارب ^(٦) سنة ٥٢٤ هـ - (١١٣٠ م)

(١) ابن قاضي شهبه : الكواكب الدرية في السيرة النبوية ورقة ٦١
Grousset : Histoire des Croisades . Vol . 1 . P 868

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ .

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٣٢ - ٣٣

Archer : The Crusades P : 199

(٤)

Stevenson : The Crusaders in the East

(٥) حينما قتل بوهمند الثاني - أمير أنطاكية بأيدى الترك السلاجقة بآسيا الصغرى ، رفضت زوجته أليس تولية ابنة بوهمند - كونستانس - الحكم واتقدت بالسلطان ، وطالبت من عماد الدين زنكي مساعدتها ، وتعهدت له بالدخول في طاعته إذا عمل على إبقاء أنطاكية في حوزتها . غير أن بلدوين الثاني - ملك بيت المقدس - سار إلى أنطاكية ، واجبط مؤامرة أليس .

(Setton: A History or the Crusades Vol . 1: P.431)

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ : حوادث سنة ٥٢٤ هـ .

- بين حلب وأنطاكية - وكان أهل حلب يلاقون كثيرا من الضر والضيق من هذا الحصن الذي اتخذته الفرنجة قاعدة لمهاجمة حلب ، ونهب أموالها ومحاصيلها ^(١) ، بل كانوا يقاسمون أهل حلب على جميع أعمالها الغريبة ^(٢) ، فلما هاجر عماد الدين زنكي هذا الحصن ، حشد الفرنجة جندهم لصدده ، ودارت بين عماد الدين والصليبيين معركة حلت فيها الهزيمة بهم ^(٣) ، ووقع كثير من فرسانهم في الأسر ^(٤) ، واستطاع أتابك الموصل أن يستولى على حصن الأثارب عنوة ^(٥) ، ثم سار زنكي من الأثارب إلى قلعة حارم - على مقربة من أنطاكية فحاصرها ، وضيق عليها الحصار . ولما رأى الفرنجة أنه لا طاقة لهم بزنكي وجنده ، عرضوا عليه الكف عنهم في مقابل منحه نصف دخل بلدهم ، فأجابهم إلى ذلك ورفع الحصار عن حارم ^(٦) .

على أن عماد الدين زنكي انصرف بعض الوقت عن قتال الصليبيين

-
- (١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الانطاكية ص ٣٩
Grousset : Histoire des Croisades . Vol . 1. pp.675 - 676
- (٢) لما احتشد الفرنجة للدفاع عن الحصن ، استشار زنكي أصحابه فيما يفعل فأشاروا عليه بالعودة إلى الحصن خوفا من الهزيمة ، ولكن زنكي رفض مشورتهم ، وقال لأصحابه ، أن الفرنجة متى رأونا قد عدنا عن الحصن لمعبوا وهاجوا في أثرنا ، وخربوا بلادنا .
(ابن الأثير) الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٤ هـ
- (٣) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٣
- (٤) ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٨
- (٥) دمر عماد الدين زنكي هذا الحصن بعد الاستيلاء عليه ، وقال لقوائمه :
« إن هذا أول مصاف عملناه معهم ، فلنذهب من بأسنا ما يبقى رعبه في قلوبهم »
ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٤٣
- Archer : The Crusades . P. 200
- (٦) ابو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٧٨
Stevenson : The Crusaders in the East . P. 33

بعد عودته إلى العراق ، وانشغاله بالصراع الدائر بين السلاجقة والخلفاء
العباسيين ، والاضطرابات التي آثاها الأكراد في شمال العراق (١) .

وعلى الرغم من تغيب زنكي عن الشام ، فإن جهوده في محاربة الصليبيين
لم تتوقف ، فأمد سيف الدين سوار - نائبه في حلب - بمجندين من التركمان
وطالب اليه بمجاهدة الفرنجة . فشن سوار هجمات على أنطاكية مما حمل أهلها
على الاستنجاد بفولك - ملك بيت المقدس - فسار إلى أنطاكية (٢) ،
وفي طريقه اليها علم أن سيف الدين سوار هاجم تل باشر التابعة لإمارة
الرها - وغنم منها مغانم كثيرة (٣) ، ولم يستطع الصليبيون صدده عنها ، فتقدم
فولك إلى قنسرين ، حيث كان سوار معسكرا بقواته ، واشتبك الفريقان
في معركة انتصر فيها الصليبيون (٤) ، وعاد فولك إلى فلسطين سنة ٥٢٧هـ -
(١١٣٢ م) (٥) .

انتهز سوار فرصة الفتن الداخلية التي حدثت في أنطاكية نتيجة
النزاع على الحكم ، فهاجر أنطاكية (٦) والقرى الصليبية المجاورة (٧) لها
حتى بلغت غاراته اللاذقية (٨) سنة ٥٣٠هـ - (١١٣٥ م) ويذكر

(١) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٤٣ وما بعدها .
(٢) Runciman : A History of the Crusades vol . 2 p. 194

(٣) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦٠
(٤) Setton : A History of the Crusades Vol. 1 pp. 431-432

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٧هـ

(٦) ابن القلاسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٢
سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان (القسم الأول) ج ٨ ص ١٤٦

(٧) ابن العديم ، زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦٠

(٨) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٠هـ

ابن القلانسي (١) أن جند زنكى عادوا إلى حلب ومعهم ما يزيد على سبعة آلاف أسير عدا ما غنموه من الدواب والأسلحة .

وأى عماد الدين زنكى بعد عودته إلى بلاد الشام سنة ٥١٦هـ (١١٣٧م) أن يعمل على تحقيق سياسته في إقامة جبهة إسلامية متحدة حتى يتيسر له استئناف الحرب ضد الصليبيين ، فهاجم حصص مرة أخرى لكن معين الدين أنر — واليه من قبل أتابك دمشق — تصدى (٢) له ، بل استعان عليه (٣) بالفرنجة فسار الصليبيون إلى حصص لمنع زنكى عنها ، فاضطر أتابك الموصل إلى رفع الحصار عن حصص ، وسار لمواجهة الصليبيين عند بارين — بين حماه وحصص — وكان الصليبيون قد اتخذوها قاعدة يشنون منها الغارات على البلاد الواقعة بين حصص وحماه (٤) .

استنجد زيموند — صاحب طرابلس — بفولك ملك بيت المقدس (٥) واشتبكا مع عماد الدين في معركة رغبة في صده عن بارين (٦) ، لكن عماد الدين زنكى هزم الفرنجة ، وألحق بهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد (٧) ووقع في الأسر كثيرون ، منهم زيموند — أمير طرابلس — بينما فر فولك إلى حصص بارين ، واحتسب به ، واضطر إلى الاستنجاد بطريك بيت المقدس ، وأميرى الرها وأنطاكية ، وقد لبى هؤلاء القلائد تطلبه وخرجوا

(١) ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٥ — ٢٥٦

(٢) Stevenson : The Crusaders in the East, p. 137

(٣) Grousset : Histoire des Croisades, Vol. 2 pp. 69—79

(٤) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٨ — ٢٥٩

(٥) أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ٨٧ — ٨٨

Setton : A History of the Crusades Vol. I. p. 438.

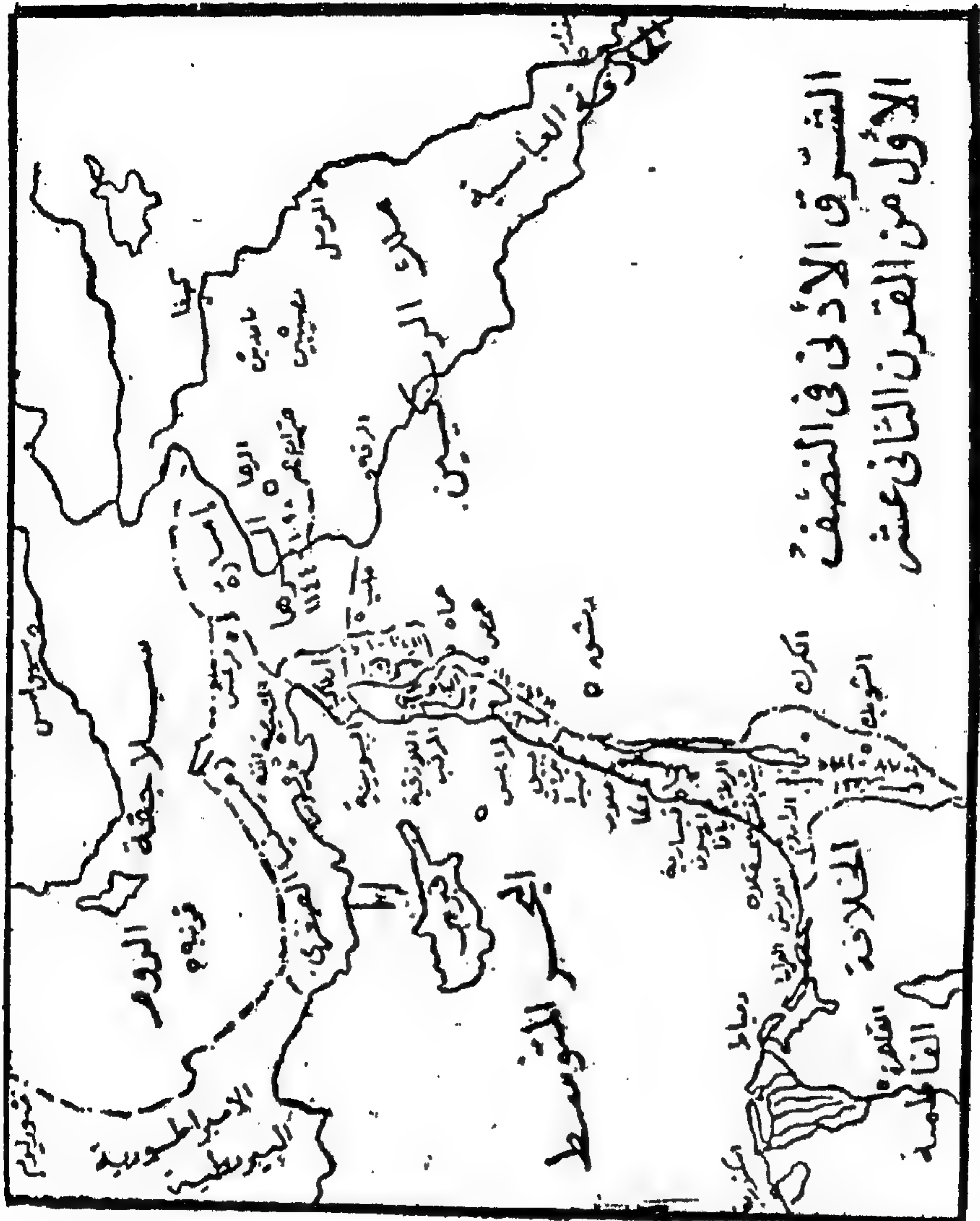
(٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣١ هـ

(٧) ابن واصل ، مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٧٢ — ٧٣

لنجدة على (١) رأس جيش كبير (٢). غير أن جند زنكى شددوا الحصار على القلعة وقذفوها بالمنجنيات ، ولما ندرت الذخائر والمؤن لدى الفرنجة اضطر فولك إلى طلب الأمان من زنكى في مقابل تسليم القلعة ، فأظهر زنكى في بداية الأمر عدم اكترائه بهم (٣). لكنه حين بلغه اقتراب جيوش الفرنجة - الذين استتجد بهم فولك - منح الأمان لجندهم المحاصرين بالقلعة في مقابل تسليمها (٤) ، وأذن للملك فولك وفرسانه بمغادرة القلعة (٥). والعودة إلى بلادهم ، كما أطلق سراح - أمير أنطاكية - وجميع أسرى الحرب الأخيرة (٦) واستولى على القلعة وأنفذ إليه الفرنجة خمسين ألف دينار مقابل إطلاق سراح أسراهم (٧).

كان لاستيلاء زنكى على قلعة بارين أهمية كبيرة إذ أن امتلاكها يعوق الفرنجة عن الوصول إلى أعالي وادي نهر العاصي فضلاً عن أنه يمكن زنكى من السيطرة على حصن وحماه اللتين كانتا في دائرة نفوذ دمشق (٨). وبينما كان زنكى محاصراً لقلعة بارين ، تمكن من فتح معرة النعمان وكفر طاب وغيرها من البلاد الواقعة بين حلب وحماه (٩) ، وما يجدر

-
- (١) ابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية من ٥٩٠ - ٦١٠
 Runciman ; A History of the Crusades. Vol. 2 p. 204
 (٢) ابن العديم ، زبدة العلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦١ - ٢٦٠
 (٣) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٩
 (٤) ابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية من ٦١٠
 (٥) ابن العديم ، زبدة العلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٦٢
 (٦) Setton : A History of the Crusades Vol. I. p. 438
 (٧) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ - وادث سنة ٥٣١ هـ
 Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 p. 204
 (٨) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ - حوادث سنة ٥٣١ هـ
 (٩) Zee O:den Bourg : Les Croisades p. 521



ذكره أن هذه البلاد أفادت من استيلاء زنكي عليها ، إذ عمرت وزاد دخلها (١) .

واصل زنكي سياسته التي تنطوي على توحيد القوى الإسلامية في الشام لمواجهة الخطر الصليبي ، فهاجم دمشق سنة ٥٣٤ هـ (١١٢٩ م) مما اضطر معين الدين أنر — نائب أتابك دمشق — إلى الاستنجاد (٢) بالصليبيين ، وبذل لهم الأموال في مقابل صد زنكي عن دمشق ، فخرجوا لنصرته (٣) ، لأنهم أيقنوا بالخطر الذي يواجههم من جراء استيلاء زنكي على دمشق (٤) . ولما سارت الفرنجة إلى دمشق . اضطر عماد الدين زنكي إلى رفع الحصار عنها وقصد حوران معزما قتال الفرنجة قبل أن يلتقوا بأهالي دمشق غير أن الفرنجة لم يواصلوا زحفهم إلى هذه المدينة خوفا من وقوع اشتباك بينهم وبين عماد الدين زنكي (٥) .

أما عن موقف معين الدين أنر — نائب أتابك دمشق — فإنه عمل على الوفاء بعهدهاته للفرنجة ، فأتتهن فرصة غياب — أتابك الموصل — عن بلاد الشام وسار إلى بانياس (٦) لاحتزاعها وتسليمها للفرنجة — وكانت من أملاك (٧) زنكي — وانضم إليه فولك — ملك بيت المقدس — وريموند —

(١) ابن الفلاني ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٢

(٢) أرسل معين الدين أنر ، أسامه بن منقذ إلى بيت المقدس ليعمل على الاتفاق مع الفرنجة على زنكي ، فاتفق أسامه معه على أن يساعد أنر الفرنجة في احتزاع بانياس من عماد الدين زنكي ، وأن يبذل أمير دمشق للفرنجة ٣٠ ألف دينار كل شهر يدفعها الفرنجة قواتهم لمحاربة زنكي ، وأن يجعل صاحب دمشق ومائتي مئة الفرنجة ضماناً لاجتماع الاتفاق .
(أسامه بن منقذ ، الاعتبار ص ٨)

(٣) Archer : The Crusades. p. 196

(٤) Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 p. 227

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٤ هـ

(٦) Grousset : Histoire des Croisades. Vol. 2° p. 137

(٧) ابن واصل ، مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٨٨ — ٨٩

Zoe Olden Bonrg : Les Croisades. p. 568

الممتلكات الصليبية في بلاد الشام سنة ٥٣٥هـ (١١٤٠م)



أمير أنطاكية — وعجز أهل بانياس — عن صد أنر وحلفائه عن بلادهم^(١)
عاهون عليه أمر الاستيلاء عليها ، وتسليمها للفرنجة^(٢) ، وهكذا أدى
التحالف بين حكام دمشق وبيت المقدس إلى عرقلة الجهود التي بذلها
عماد الدين زنكي في تكوين جبهة إسلامية متحدة تستطيع مواجهة الخطر
الصليبي^(٣) .

على أن غارات قوات عماد الدين زنكي لم تتوقف في بلاد الشام ،
فذكر ابن العديم^(٤) أن الفرنجة لما أغاروا سنة ٥٣٦ هـ (١١٤١ م) على
سرمين وطائوا فيها سلبا ونهبا ، ثم تحولوا إلى جبل السباق وكفر طاب^(٥) ،
لم يقف قواد عماد الدين زنكي في بلاد الشام مكتوفي الأيدي إزاء أعمال الفرنجة
التخريبية ، فاجتمع كثير من جند التركمان بقيادة علم الدين بن سيف الدين
سوار ، وساروا إلى أنطاكية ، وشنوا عليها غارات وغنموا منها كثيرا
من الغنائم^(٦) .

واصل قادة زنكي جهودهم في مقاومة الصليبيين ، ففي سنة ٥٣٨ هـ
(١١٤٣ م) خرج القائد سيف الدين سوار - نائب زنكي في حلب -
إلى أنطاكية واشتبك مع بعض القوات الصليبية وأوقع بهم الهزيمة وغنم منهم

(١) Setton : A History of the Crusades. Vol. I. p. 443

(٢) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٢

(٣) زاد التحالف بين فولاك ملك بيت المقدس وأنر - نائب أنابك دمشق - بينما زار
معين الدين أنر وأسامة بن منقذ الملك فولاك في عكا ، وأحسن استقبالهما ثم زارا حيفا
وبيت المقدس .

(٤) أسامة بن منقذ : الاعتبار ص ١٩٦

(٥) زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٥

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٦ هـ

(٦) ابن القلائس : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٤

مغانم كثيرة ، ولما خرج صاحب أنطاكية إلى بزاغة للانتقام من جند زنكي رده سوار على أعقابهِ (١) .

كما استولى عماد الدين زنكي إلى نفس السنة على بعض بلاد ديار بكر التي كانت في حوزة جورسلين — أمير الرها (٢) — وعمل على إصلاح أمورها وأبقى بها حامية من الجند لدرء الأخطار التي تتعرض لها (٣) .

كان للنزاع الذي حدث بين ريموند — صاحب أنطاكية — وجورسلين — أمير الرها — وضعف ملكة بيت المقدس على أثر وفاة ملكها فولك ، وعجز خليفته بلدوين الثالث عن المحافظة على وحدة الفرنجة وتوحيد كلمتهم ، أثر بالغ في إتاحة الفرصة أمام زنكي لاستئناف الجهاد ضد الصليبيين (٤) ، فأعد جيشاً لمهاجمة الرها التي كانت من أشرف المدن عند النصارى ، وأكثرها محلاً (٥) .

كانت أمارة الرها تشكل خطراً كبيراً على المسلمين (٦) ، فأدى موقعها على خطوط المواصلات بين الموصل وحلب وبين بغداد ودول سلاجقة الروم في آسيا الصغرى (٧) ، إلى تعرض المسلمين لأخطار جسيمة (٨) .

(١) ابن المديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٩٥٨ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٨ هـ .

ابن واصل . مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٩٢ .

(٣) ابن الفلاس : فتل تاريخ دمشق ص ٧٢٨ .

(٤) Gibb : The Damascus Chronicle of the Crusades. p. 263

Stevenson : The Crusaders in the East. p. 153

(٥) ابن قاضي شبة ، الكواكب الدرية في الحيرة النورية ورقة ٦٢ .

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ .

(٧) ابن واصل . مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٩٣ .

(٨) ابن الأثير . التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٦٧ .

أبو القدا . المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٧



الإمارات اللاتينية في الشام
(١١٨٤م - ١٢٥٠م)

كما أن الفرنجة اتخذوها قاعدة لشئ غاراتهم على البلاد الجزرية (١).

رأى عماد الدين زنكي أنه إذا ما قصد الرها اجتمع بها من الفرنجة من يعمل على صده ، فيتعذر عليه فتحها (٢) ، فاتجه إلى ديار بكر ليوهم الفرنجة أنه منشغل عنهم بمحاربة قر أرسلان - أمير ماردين - الذي تحالف مع جوسلين الثاني - أمير الرها (٣) - وقد تمكن زنكي من اقتراع عدة قلاع في ديار بكر (٤) . أما فيما يتعلق بأمير الرها فإنه لم ينشغل عن حليفه أمير ماردين (٥) ، بنفخ على رأس جيش كبير عبر به الفرات إلى البلاد الشامية (٦) ليحول دون الاتصال بين حلب والموصل ، وعسكر بقواته في تل باشر (٧) . ولما وقف زنكي على تحركات خصمه جوسلين ، عقد الصلح مع الأراتقة ، وسار إلى الرها (٨) .

لم يترك جوسلين في الرها حامية كبيرة (٩) ، بل اعتمد في الدفاع عنها

(١) على الرغم من أن الفرنجة اتخذوا الرها قاعدة لشن الغارات على المسلمين فقد يسر موقعها على المسلمين أمير الاستيلاء عليها ذلك أن نهر الفرات فصلها عن الإمارات الصليبية ، وأحاط بها المسلمون من ثلاث جهات .

(Grousset : l. histoire des Croisades. Vol. 2 p. 172)

Runciman : A History of the Crusades. Vol. 2 p. 235 (٢)

Setton : A History of the Crusades. Vol. I p. 461 (٣)

(٤) ابن العديم : زبدة الجلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٦ - ٢٧٧

(٥) ابن الأثير ، التكملة في التاريخ حوادث سنة ٥٣٦ هـ

(٦) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٩٣

Setton : A History of the Crusades. Vol. I p. 461 (٧)

(٨) قبل أن يصل زنكي إلى الرها أرسل حملة استطلاعية بقيادة صلاح الدين الياغيسباني أمير حماه - لمهاجمة الرها ، غير أن الياغيسباني ضل الطريق في ليلة عاصفة الظلام فزيرة الأمطار ، فلم يبلغ بقواته الرها إلا بعد أن وصل إليها عماد الدين زنكي . (ابن الفلانسى خليل تاريخ دمشق ص ٢١٩)

(٩) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٩٣ - ٩٤

على السكان الأصليين من المسيحيين ^(١) على الرغم من قلة خبرتهم بشئون الحرب والقتال ، كما تولى الدفاع عن المدينة الجند المرتزقة ^(٢) .

لما زحف عماد الدين زنكى إلى الرها شاهد مدينة تجمع بين حسن التنسيق ، ودقة التحصين ^(٣) ، فأرسل أهلها يعرض عليهم الأمان — لكن زعماء المسيحيين رفضوا ذلك العرض الذى تقدم به زنكى ^(٤) . أملا فى أن تصل إليهم نجدة من جوسلين ، ومن أمير أنطاكية وبيت المقدس ^(٥) على أن ريموند — أمير أنطاكية — خيب أملهم حين رفض إرسال نجدة إليهم ، أما ميليسند — ملكة بيت المقدس — فأرسلت جيشا إلى الرها ، لكنه وصل إليها بعد فتحها ^(٦) ، بينما ازدادت قوات عماد الدين زنكى بما انضم إليها من الأتراك والتركمان ^(٧) .

حاصرت قوات عماد الدين زنكى الرها من جميع الجهات سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) وحالت دون وصول الأقوات والميرة إليها ^(٨) ، ونصبت على أسوارها المنجنيقات ^(٩) ، وبعد عدة هجمات ، تمكن جند الموصل من تخليط أسوار الرها ^(١٠) ، ودخلوا المدينة بعد حصار دام ثمانية وعشرين

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣١ هـ .

(٢) Runciman ; A History of the Crusades. Vol. 2 p 235

(٣) Setton ; A History of the Crusades . Vol. 1. p 461

(٤) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٣٧٧ - ٣٧٩

(٥) Runciman : A History of the Crusades. Vol. 2 p, 273

(٦) Grousset ; Histoire des Croisades. Vol. pp. 179-180

(٧) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٦٨ - ٦٩

(٨) ابن القلاسى : ذيل تاريخ دمشق ص ٣٧٩

(٩) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكر دولة نبي أبوب ج ١ ص ٩٣

(١٠) Gibb , The Damascus Chronicle of the Crusades. pp.

يوما (١) ، وفـر أهلها إلى قلعتها (٢) ؛ لكن هيو — رئيس الأساقفة اللاتين — أمر باغلاق القلعة دونهم (٣) ، مما جعلهم يواجهون خطر هجوم قوات زنكي (٤) .

أما عن زنكي فإنه أمر جنده بالكف عن قتال المسيحيين الشرقيين ، بينما حاصرت قواته الفرنجة ، ونسكت بهم (٥) .

رأى زنكي بعد دخوله مدينته الرها أن يقطعها لزين الدين على كجك وطلب إليه أن يعمل على إصلاح أمورها ونشر العدل بين أهلها (٦) ، فسار زين الدين في أهل الرها سيرة حسنة (٧) . وشملهم بعنايته ورعايته ، فطابت نفوسهم (٨) وانضموا إلى المسلمين في الدفاع عن المدينة ضد هجمات الفرنجة الذين يخالفونهم في مذهبهم الديني (٩) . وهكذا طادت الرها إلى حالها الأول . مدينة مسيحية يحكمها أمراء مسلمون : (١٠)

علت مكانة زنكي بعد ذلك الانتصار الرائع الذي أحرزه على الصليبيين

-
- (١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ
 (٢) ابن قاضي شبيه : الكواكب الدرية في السيرة النورية ورقة ٦٢
 (٣) ابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٦٨ - ٦٩
 (٤) ابن واصل . مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٩٤
 Runciman , A History of the Crusades, Vol. 2 p. 273
 (٥) ابن القلانسي . ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٩
 ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٧٩
 (٦) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٥
 ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٦٩
 Runciman , A History of the Crusades, Vol. 2 p. 237
 (٧) Vasileiv , History of the Byzantine Empire. p. 418
 (٨) أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين ص ١٠١
 Setton , A History of the Crusades. Vol. 1. p. 461
 (٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٤
 (١٠) Greusset , Histoire des Croisades. Vol. 2 pp. 190—191

ففتح الخليفة العباسي الهدايا ، ولقبه بطل الإسلام ، الملك المظفر المنصور قاهر الكفرة والمتمردين^(١) .

كان لسقوط الرها آثار بعيدة المدى على المسلمين ، إذ أنها أول أمانة صليبية قامت في الشرق ، ولم يعد للفرنجية بعد زوالها إلا بلاد تقع على ساحل البحر المتوسط كما أن سبل الإتصال بين حلب والموصل صارت آمنة^(٢) .
لم يكتف عماد الدين زنكي بفتح الرها ، بل عول على انتزاع أعمالها من جوسلين الثاني ، فسار إلى سروج^(٣) - التي تعتبر ثاني الحصون الصليبية الكبيرة الواقعة شرقي الفرات - . ويذكر ابن القلانسي^(٤) ، أن هذا الحصن كان محصنا تحصينا قويا ، فلما نزل زنكي عليه ، قطع عنه سائر ما يصل إليه من المؤن والمعدات حتى استولى عليه^(٥) ، كما امتلك زنكي البلاد والمعاقل التي كانت في حوزة جوسلين على نهر الفرات^(٦) ، حتى لم يبق لهذا الأمير الصليبي سوى البيرة التي تتوافر فيها المؤن والذخائر^(٧) . فحاصرها عماد الدين زنكي سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٥ م) غير أن الفرنجية قاوموه مقاومة عنيفة ، واضطر زنكي إلى رفع الحصار عنها ، وعاد إلى الموصل^(٨) .
لأقرار أمورها إلى وضعها الصحيح^(٩) ، بعد محاوله السلطان السلجوقي

(١) سبط ابن الجوزي . مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ١٩٢ .

(٢) Cambridge Medieval History vol. 2 p, 307

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ .

(٤) ذيل تاريخ دمشق ص ٨٤ .

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٦٩ - ٧٠ .

Runciman , A History of of the Crusades - vol. 2 p: 237

(٦) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٨٠ - ٢١٨ .

(٧) ابن الأثير : التاريخ في الدولة الأتابكية ص ٧٠ - ٧١ .

(٨) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٨٠ .

(٩) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٠ - ٢١٨ .

(١٠) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ .

ابن واصل مفرج السكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٩٦ .

ألب أرسلان الاستشار بالسلطة في أتايكيته . (١)

اتهنز حسام الدين تمر تاش — أمير ماردين — فرصة رفع زنكي الحصار عن البيرة وغودته إلى بلاده ، وسار إلى البيرة ، وشدد الحصار عليها ، وحال دون وصول المؤن والذخيرة إليها (٢) ولما عجز أهلها عن مقاومتها ، رأوا أن من الخير تسليم بلادهم لأمير ماردين خشية من وقوعها في يد زنكي (٣) وهونو التبر تاش أمر الاستيلاء على البيرة (٤) وهكذا لم يبق بيد الفرنجة أي بلد شرقي الفرات : (٥)

كان للهزائم التي ألحقها جند الموصل والجزيرة بالصليبيين في الشام أثر بالغ في نفوسهم (٦) فعولوا على الانتقام من المسلمين ، ففي سنة ٥٣٩ هـ - (١١٤٥ م) اجتمع حشد كبير من الصليبيين بنواحي انطاكية لاستعادة الرها وأعمالها (٧) كما أن سكان الرها من الأرمن أرسلوا إلى جوسلين الثاني يطلبون منه القدوم إلى مدينتهم واستعادتها وخاصة أن زنكي ترك حامية صغيرة (٨) ، ولما علم عماد الدين زنكي بذلك باغت جموع الصليبيين ، وألحق بهم هزيمة ساحقة (٩) ، وردهم على أعقابهم ، ثم سار إلى الرها وقضى على المتأمرين (١٠) .

(١) Setton , A History of the Crusades. vol. 1. p. 461

(٢) Gibb , The Damascus Chronicle of the Crusades, p.288

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٠

(٤) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ص ١٠٣

(٥) Runciman , A History of the Crusades, vol. 2, p. 238

(٦) ابن العديم : زبدة الخلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢١٨ .

(٧) Setton , A History of the Crusades. vol. 1 p. 461

(٨) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٢

(٩) ابن العديم : زبدة الخلب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٨١

(١٠) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨٢ .

Runciman . A History of the Crusades, vol. 2. p 239

كذلك عول زنكى على محاربة حسام الدين تمرقاش - صاحب ماردين -
لاعتقاده أنه تحالف مع الفرنجة الذين مكثوه من ضم البيرة^(١) إلى حوزته ،
فهاجم ماردين ، واستولى على بعض أعمالها ، ثم سار نحو الجنوب سنة
٥٤١ هـ - (١١٤٦ م) لمحاربة سالم بن مالك - صاحب قلعة جعبر ،
وهو من حلفاء الفرنجة - غير أن زنكى ما لبث أن وافته منيته ، إذ قتله
أحد غلمانه من أصل إفريقي ، وزنكى من أبطال الإسلام فلما يأتى التاريخ
بمثلهم ، وقد عبر أحد شاهدى العيان عن الفاجعة المروعة بقوله للقاتل :
لقد قتلت المسلمين جميعاً بقتله .

استقر رأى جوسلين الثانى - بعد مقتل عماد الدين زنكى على استرداد
البلاد التى انتزعت منه^(٢) ، فأرسل إلى أهل الرها سنة ٥٤١ هـ - (١١٤٦ م)
يحثهم على العصيان ، وتسليم البلد إليه ، فأجابوه إلى ذلك^(٣) ، وسار إلى
الرها ، واستعادها^(٤) . غير أن جند عماد الدين زنكى اعتصموا بالقلعة ،
ورفضوا تسليحاً إلى الفرنجة^(٥) ، وسار سيف الدين غازى بن زنكى - الذى
خلف أباه فى حكم الموصل - إلى الرها لنجدتها^(٦) ، كما زحف إليها أخوه
نور الدين محمود - صاحب^(٧) حلب فلما بلغ ذلك جوسلين ، وأيقن بعجزه
عن التصدى للقوات الإسلامية عاد أدراجه^(٨) .

وبذلك فشلت محاولة جوسلين استعادة الرها ، لكنه لم يلبث - رغم

-
- (١) ابن الأثير ، التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٨٤ - ٨٦
(٢) ابن واصل ، مفرج الكروب فى ذكرى دولة بنى أيوب ج ١ - ٩٨ - ٩٩
(٣) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٨٢
(٤) ابن واصل : مفرج الكروب فى ذكرى دولة بنى أيوب ج ١ ص ١١٠
(٥) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٤١ هـ .
(٦) سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ١٩٢
(٧) ابن العديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ١٩٠ .
(٨) Grousset : Histoire des Croisades Vol . ٢ . P.203
(٩) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٨٦ .
(١٠) Vasiliev : History of the Byzantine Empire . p. 418

تملك الهزيمة التي حلت به - أن واصل سياسته في العمل على استرداد هذه المدينة ، فأرسل إلى البابا يوجين الثالث يستنجد به ، ويطلب منه إنفاذ حملة تمكنه من استعادة البلاد التي انتزعها منه المسلمون^(١) ، وكان البابا قد وقف على ضعف شأن الفرنجة في بلاد الشام من الحجاج والقادمين من بيت المقدس إلى أوروبا^(٢) ، فقرر الدعوة إلى حرب صليبية جديدة ، ولقيت دعوته موافقة كنزاد الثالث - امبراطور ألمانيا - ولويس السابع - ملك فرنسا^(٣) . سارت حملة صليبية ثانية إلى بلاد الشام سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٧ م) . على رأسها كونراد الثالث - امبراطور ألمانيا - ولويس السابع - ملك فرنسا . واتجهت إلى هذه البلاد عن طريق آسيا الصغرى^(٤) ، غير أنها لم تقم بالمهمة التي جاءت من أجلها وهي استرداد الرها^(٥) ، واستعادة شمال الشام ، وإنما عمدت إلى مهاجمة دمشق^(٦) ، على الرغم من أن أتابكة دمشق حرصوا على صداقة الفرنجة في بلاد الشام^(٧) ، وذلك تحت تأثير مملكة بيت المقدس وأطماعها في التوسع ، إذ أدرك حكام بيت المقدس الأهمية العسكرية والاقتصادية لمدينة دمشق^(٨) .

اجتمع شمل هذه الحملة عند طبرية سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٨ م) ثم سارت عن طريق بانياس إلى غوطة دمشق^(٩) ، فأعد معين الدين أنر - نائب أتابك دمشق - العدة لصدّها ، وبعث إلى سيف الدين غازي - أتابك الموصل -

(١) Setton : A History of the Crusades, vol. 1 p. 466 .

(٢) Runciman : A History of the Crusades vol .2 p 247

(٣) Setton : A History of the Crusades, Vol. 1 p. 467

(٤) Ibid : Vol. I. p. 406

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٣ هـ .

(٦) ابن واصل : منرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١١٢

(٧) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١٣٧

(٨) ابن قاضي شهاب : الكواكب الدرية في السيرة النورية ورقة ٩٠

Setton : A History of the Crusades, Vol. 1 p. 406

(٩) سبط ابن الجوزي : مرآة الأعيان (القسم الأول) ج ٨ ص ١٩٧

يستنجده ، فسار إلى دمشق على رأس عشرين ألف مقاتل^(١) وانضموا إلى نور الدين محمود - صاحب حلب - ، فنزلوا بمدينة حمص^(٢) ، وكتب سيف الدين غازي إلى معين الدين أنز يقول له : « قد حضرت ومعى كل من يحمل السلاح في بلادى ، فأريد أن تكون نوابى بمدينة دمشق ، لأحضر وألقى القرنج ، فإن انهزمت دخلت وعسكرى البلد ، واحتمينابه ، وأن ظفرتنا فالبلد لكم لا ينازعكم فيه أحد^(٣) » ، كما أرسل سيف الدين غازي إلى القرنجة يطلب منهم الكف عن مهاجمة دمشق^(٤) ، ويتوعدهم بالحرب .

كذلك حذر معين الدين أنز القرنجة المقيمين في بلاد الشام من سيف الدين غازي إذا استمروا في مهاجمة دمشق^(٥) ، ومن مؤازرة الحملة الصليبية الثانية^(٦) وعرض عليهم النزول عن مدينة بانياس^(٧) فضلا عن أموال كثيرة يمنحها لهم في مقابل التخلي عن هذه الحملة^(٨) .

(١) - المصدر السابق ج ١ ص ١٩٣

(٢) - ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٣ هـ

(٣) - ابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٩

ابن واصل : مفرج الكروب في ذكرى دولة بنى أيوب ج ١ ص ١١٢

(٤) - ابن قاضي شيه ، الكواكب الدرية في الدولة النورية ورقة ٩٠ - ٩٧

Setton : A History of the Crusade vol 1. p. 508

(٥) - ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٩

(٦) - أرسل معين الدين أنز إلى القرنجة القادمين إلى بلاد الشام يقول : « أن ملك الشرق قد حضر ، فإن رحتم وإلا سلبت البلد إليه ويحتجز تدمر وأرسل إلى القرنجة المقيمين في بلاد الشام يقول : « بأي مثل تسمعون هؤلاء علينا ، وأنتم تعلمون أنهم إن ملكوا دمشق ، أخذ ما بأيديكم من البلاد الداخلية ، أما إن رأيت الضعف عن حفظ البلد سلمته إلى سيف الدين ، وأنتم تعلمون أنه لن ملك دمشق لا يبقى لكم معه في الشام مقام .

(ابن واصل ، مفرج الكروب في ذكرى دولة بنى أيوب ج ١ ص ١١٣)

(٧) - سبط ابن الجوري ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ١٩٨

(٨) - ابن واصل : مفرج الكروب في ذكرى دولة بنى أيوب ج ١ ص ١١٢

Setton: A History of the Crusades Vol. I p. 509

حاصر الصليبيون مدينة دمشق خمسة أيام ، لكن المدينة صمدت بفضل الإمدادات التي تدفقت عليها ، واستطاع أهل هذه المدينة صد هجماتهم على أسوار المدينة^(١) ، بينما انتشرت قوات في غوطة دمشق تهاجم الفرنجة المرابطة بها^(٢) . وبلغ من شدة هجماتهم أن اضطر الفرنجة إلى نقل معسكرهم من الغوطة إلى شرق دمشق . غير أنهم لم يفيدوا من هذا المكان الذي عسكروا به لعدم وفرة مياهه ، فضلاً عن مناعة أسوار دمشق في هذه الجهة^(٣) . ولما علم الصليبيون أن قوات الموصل وحلب شرعت في الزحف لنجدة دمشق ، وأن الفرنجة في الشام اتفقوا مع معين الدين أنر على التخلي عنهم^(٤) ، استقر رأيهم على رفع الحصار عن دمشق ، وأبحر الإمبراطور الألماني كنراد الثالث من عكا عائداً إلى بلاده^(٥) . وهكذا لم تحقق هذه الحملة شيئاً سوى أنها فقدت كثيراً من جندها وعتادها^(٦) .

لم تقف جهود سيف الدين غازي - أتابك الموصل - في محاربة الصليبيين عند هذا الحد ، بل اشترك في انتزاع حصن العزيمة^(٧) من الفرنجة^(٨) ، ذلك أن برتراند - أمير تولوز - عول على الانتقام من ريموند الثاني - أمير طرابلس - لانتقامه بالتحريض على قتل أبيه^(٩) الكونت الفرنسي^(١٠) ،

-
- (١) ابن الفلاس : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٩٩
 (٢) Runciman : A History of the Crusades Vol. 2 p. 238
 (٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٣ هـ
 Setton : A History of the Crusades, Vol. 1. P. 509
 (٤) ابن الفلاس : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٩٩
 Stevenson : The Crusaders in the East. p. 160
 (٥) Runciman : A History of the Crusades , Vol. 2 p. 284
 (٦) Grousset : Histoire des Croisades , Vol 2 p. 271
 (٧) Setton : /A History of the Crusades vol.I. p. 511
 (٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٣ هـ
 (٩) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٩٠
 (١٠) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١١٤

فوحط أمير تولونز إلى حصن القزيمية ، وأنتزعه من ريموند الثاني (١) . وكان ذلك مما جعل هذا الأمير على الاستنجاد بـ سيف الدين غازي ، وبعض أمراء المسلمين (٢) ، وطلب منهم أن يعاونوه في استرداد هذا الحصن . فأجابوا طلبه (٣) .

هاجمت القوات الإسلامية حصن القزيمية . وامتنع به برتراند . ولما ضيقت عليه هذه القوات الحصار اضطر إلى التسليم (٤) . وبذلك تيسر للمسلمين الاستيلاء على هذا الحصن ، كما وقع في أيديهم كثير من الأسرى من بينهم برتراند (٥) .

كذلك انضم أتابك الموصل والجزيرة إلى نور الدين محمود في الحرب التي نشبت بينه وبين الفرنجة سنة ٥٥٩ هـ (١١٦٣ م) (٦) ذلك أن الفرنجة قصدوا مصر في هذه السنة ، فعول نور الدين محمود على مهاجمة بلادهم وسار لنجدته قطب الدين مودود - أتابك الموصل - وقرأ أرسلان بن داود ابن - أرتق - صاحب حصن كيفا - وألب أرسلان بن تمرقاش - صاحب ماردين (٧) - ولما اجتمعت قواتهم عند نور الدين محمود ، نزل حارم ، ونصب عليها المنجنيقات ، غير أن قوات الفرنجة ما لبثت أن دحضت إليها واضطرت القوات الإسلامية إلى الانسحاب قرب حلب . ومع ذلك فشلت قوات الفرنجة في تتبعها (٨) وطدت إلى حارم ، فتعقبهم المسلمون ،

(١) المصدر السابق ج ١ ص ١١٤

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٢٠٠ .

(٣) ابن العديم ، زبدة الخب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٩٢ .

(٤) Runciman: A History of the Crusades . Vol. 2 PP. 207-288

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٣ هـ

(٦) ابن واصل ، مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١١٤

(٧) ابن الأثير - الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٥٩ هـ

(٨) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١٢٥

Setton : A History of the Crusades Vol. 1 P. 551

(٩) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٢٤٦

وألحقوا بهم الهزيمة ووقع في أيديهم كثير من أسراهم كان من بينهم
بوهمند - صاحب أنطاكية^(١) - غير أنه لم يستمر طويلا في الأسر ، فقد
أطلق سراحه بعد أن أدى أموالا كثيرة^(٢) .

لم تقف جهود قطب الدين مودود في محاربة الفرنجة عند هذا الحد ،
بل انضم إلى نور الدين محمود للمرة الثانية في مهاجمة الفرنجة فتوغلت قوات
الموصل وجلب في أعمال أنطاكية^(٣) ، وحاصرت حصن الأكراد - على
مقربة من حصن - ونزلوا بعرقه ، كما حاصروا حلب ، واستولوا^(٤) عليها
ثم فتحت قوات الموصل وحلب ، العريمة^(٥) وصافيتا^(٦) سنة ٥٦٢ هـ
(١١٦٦ م) وقصدوا حصن هورين ، وألحقوا الهزيمة بالفرنجة ، وعاد
قطب الدين إلى الموصل بعد أن منحه نور الدين محمود الرقة مكافأة له على
حسن بلائه في مناهضة الفرنجة^(٧) .

مهدت الانتصارات التي أحرزها كل من نور الدين محمود وقطب الدين
مودود على الصليبيين في أنطاكية السيل لبعض أمراء بني أرتق للتوسع في
بلاد الفرنجة فهاجم قرا أرسلان - صاحب حصن كيفا - الأجزاء الشمالية
من إمارة الرها ونجح في الاستيلاء على كركر^(٨) .

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٩٠

(٢) ابن العديم : زبدة الخب في تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

Runciman : A History of the Crusades Vol .2 p. 225-226 .

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٩٠

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١٥٣

(٥) العريمة : قال أبو عبيد الله الكوفي وبين أجا وسلمى موضع يقال له العريمة وهو

ومل وبه ماء يعرف بالعبيية .

(٦) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٦ ص ١٦٤

(٧) صافيتا : قرب بلدة عرقه آخر عمل دمشق شرق طرابلس .

(٨) المقرئ : السلوك لمعرفة دول الملوك . ج ١ القسم الأول ص ١٠٠

Stevenson : The Crusaders in the East. p. 165 . (٧)

(٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٢ هـ

Setton : A History of the Crusades. Vol. I . P. 5512

كذلك أسهم أتابكة الموصل والجزيرة في الحروب التي قام بها صلاح الدين يوسف بن أيوب ضد الصليبيين ذلك أنه لما اردادت غارات رينجالد - أمير حصن الكرك - على المدن الإسلامية ، وكثر تعرضه لقوافل المسلمين المتجهة إلى مضر أو القادمية منها (١) ، عول السلطان صلاح الدين على مهاجمة هذا الحصن ، وانضم إليه قرا أرسلان - صاحب حصن كيفا وآمد (٢) - وعندما اشتد حصار المسلمين لحصن الكرك ، استنجد صاحبه بالفرنجة ، فخرج لنجدته ريموند الثالث - أمير أنطاكية - فاضطر المسلمون إلى رفع الحصار عن الحصن ، وسارت قواتهم إلى نابلس ، فأحرقوها ودمروها ، ثم عادوا إلى دمشق سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) (٣) .

ولما خرج صلاح الدين لحصار حصن الكرك سنة ٥٨٣ هـ - (١١٧٧ م) سار أتابكة الموصل والجزيرة وديار بكر لنجدته (٤) كما عهد هذا السلطان لمظفر الدين كوكبوري - صاحب حران والرها - بالمسير إلى عكا لمهاجمتها (٥) ، فزحف إليها ، واشتبك مع الفرنجة في معركة انتهت بانتصار قواته ، واستيلائها على كثير من الغنائم (٦) .

واصل صلاح الدين الحرب ضد الصليبيين سنة ٥٨٤ هـ (١١٨٨ م) فأرسل إلى أمراء الموصل والجزيرة وديار بكر يستنفرهم ، ويحثهم على سرعة القدوم إلى بلاد الشام ، فأجابوا طلبه ، ويذكر ابن شداد (٧) أن السلطان صلاح الدين سر كثيراً لقدم هؤلاء الأمراء وأكرم وفادتهم ومنحهم

(١) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨٠ هـ

(٢) ابن شداد : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ٥٣

(٣) أبو شامة : الروصتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ٥٥

(٤) ابن واصل . مخرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١٣٩ - ١٤٩

(٥) أبو شامة . الروص - في حار الدولتين ج ٢ ص ٤٨

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨٣ هـ

(٧) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ص ١٣٦

الهدايا، وسارت^(١) القوات الإسلامية المتحالفة إلى حصن الأكراد واستولت عليه، ثم هاجمت أنطربطوس وأعملوا فيها التخريب، واستولوا على جبله. ثم قصدوا اللاذقية وضموها إلى حوزتهم. كما فتحوا حصون صهيون وباكام والشيفر وسرمينية^(٢) وبرزية وانزععت القوات الإسلامية إلى جانب ذلك درب ساك على نهر الهاصي وبغراس، ولما عقد صلاح الدين هدنة مع بوهمند الثالث - أمير أنطاكية - أذن لعسكر الموصل والجزيرة بالعودة إلى بلادهم، وكافأ حلفاءه، وأجزل لهم العطاء^(٣).

واستطاع صلاح الدين يوسف بن أيوب أن يعد العدة لحرب شاملة ضد الصليبيين، وسانده في ذلك أتايكة الموصل والجزيرة، ذلك أن أرناط - أمير أنطاكية - بعد أن وقع أسيراً في أيدي المسلمين سنين عدداً، تزوج من إنيست دي ميلي Etienne de Milly وريثة صاحب الأردن، وأطلقت يده في حكم الأردن وحصن الكرك والشوبك^(٤).

وتعرض أرناط للقوافل الإسلامية السائرة بين دمشق والقاهرة مرة بحصنه، كما جرد حملة سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ على الجزيرة العربية. لكن قوات صلاح الدين أخبطت هذه المحاولة، وعلى الرغم من ذلك فقد ظل أرناط يهاجم المسلمين، وأرسل أسطولاً إلى شواطئ الحجاز. إلا أن العادل - نائب صلاح الدين في حكم مصر - أرسل قوات شتت شمل الصليبيين شمال ينبع، وأسرت الكثير منهم، وفر الباقون وعلى رأسهم أرناط^(٥).

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨٤ هـ.

(٢) العماد السكاتب الفرج القسي في الفتح القدسي ص ٢٤٠ وما بعدها.

(٣) نفس المصدر ص ٢٦٢.

(٤) Setton: A History of the Crusades. I. p. 581

(٥) Stevenson: the Crusaders in the East p. 226

لذلك طلب أرناؤد من صلاح الدين عقد هدنة بينهما ، فوافق السلطان الأيوبي ، وعادت القوافل الإسلامية إلى المرور بين مصر والشام عبر صحراء الأردن في أمن وطمانينة ، ولكن أرناؤد لم يلبث أن نقض الهدنة ، وعاد مرة أخرى إلى أعمال السلب والنهب ، فهاجم قافلة إسلامية متجهة من القاهرة إلى دمشق ومحملة بالنعم الجليلة سنة ٥٨٠ هـ / ١١٨٦ م ، واستولى على كل ما فيها من نفائس ، ونهب أفراد القافلة ، وزجهم في حصن الكرك (١) .

حاول صلاح الدين إنقاذ أسرى القافلة ، فطلب من أرناؤد إطلاق سراحهم ، وإرسال الأموال التي اغتصبها ، ولكنه رفض . فأرسل إلى جاي لوزجنان — ملك بيت المقدس — يطلب منه بذل مساعيه الحميدة لدى أرناؤد للإفراج عن الأسرى ، وإطلاقه الأموال وفشل ملك بيت المقدس في إقناع أرناؤد ، وفي هذا ما يدل على أن صلاح الدين أراد حل المشكلة سدا ، ولما أصر أرناؤد على العناد نذر دمه وأعطى الله عهدا إن ظفر به أن يستبيح مهجته (٢) .

شن صلاح الدين عدة حملات استطلاعية على المواقع الصليبية ، فأدرك قادة الصليبيين مدى الخطر الذي يهددهم من المسلمين ، فدخل ريموند الثالث — أمير صرابلس — في طاعة الملك جاي لوزجنان واتفق معه على أن يعمل تحت قيادته في مواجهة أي هجوم إسلامي ، وعسكر الصليبيون في صفوريه — قرب عكا — ومنهم صليب الصليبيات فعول صلاح الدين على استدراج الصليبيين إلى طبريه ، فهاجمها ، وكان يحكمها أشيفا — زوجة ريموند الثالث .

لذا رأى الصليبيون خطورة الموقف ، واتجهوا إلى طبريه ، وضممت

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٩٢

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ج ١ ص ١٨٥

الحملة ، أرناط ، وجاي لوز جنان — ملك بيت المقدس — وجيرار دى ريد
فورت مقدم الداوية . وريموند — أمير طرابلس ^(١) .

اجتمع الصليبيون واحتشدوا للدفاع عن إماراتهم ، واجتمعت كتائبهم
بعد فرقتهم ، ولم اتغن عنهم من الله شيئا ، وجمعوا فارسهم وراجلهم ، ثم
ساروا من عكا إلى صفوريه ، وصار صلاح الدين وجنده وعسكر في موضع
بجاور طبرية ، وصعد للمسلمون جبلها وتقدموا حتى اقتربوا من الصليبيين
فلم ير منهم أحدا ، ولا فارقوا خيامهم ، وأمر صلاح الدين فرقة من جنده
يمنع الصليبيين من القتال ، بينما هاجم طبرية ، وشدد هجماته عليها ، حتى
استولى على المدينة عنوة ، ولجأ من بها إلى القلعة ، واعتصموا بها ، وأطلق
صلاح الدين لجنده العنان في نهب البلدة وإحراقها ، عندئذ تقدم الصليبيون
نحو معسكر المسلمين حتى اقتربوا منهم ، وكان المسلمون قد نزلوا على الماء
والزمان قيظ شديد الحر ، ولم يتمكن الصليبيون من الوصول إلى ذلك الماء
من المسلمين ، وكانوا قد أفنوا ما هناك من ماء الصهاريج ، ولم يتمكنوا من
الرجوع خوفا من المسلمين ، فبقوا على حالهم إلى الغد ، وقد أخذ منهم
العطش كل مأخذ ، وقد أدرك المسلمون ذلك ، وتأكدوا أنهم في وضع
أحسن بكثير من وضع العدو ، فباتوا يحرض بعضهم بعضا ، وقد
وجدوا ريح النصر والظفر ، وكلما رأوا حال العدو السيئ ، وخذلانهم
زاد طمعهم وجراتهم ، فأكثرُوا التكبير والتهليل طول ليلاتهم ^(٢) .

وأصبح صباح يوم السبت من شهر ربيع الآخر سنة ٥٨٣ هـ ١١٨٧ م
تجمع المسلمون ، وتقدموا بقيادة القائد صلاح الدين ، واقتربوا من
الصليبيين ، وكان حالهم قد ازداد سوءا بعد أن اشتد بهم العطش ، ودارت

Stevenson : The Crusaders in the East P. 245. (١)

(٢) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٥٨٣

رحى معركة بين الفريقين ، وحمل وطيس القتال ، وحاول بعض جند العدو الاقتراب من طبرية حيث الماء ، فلما علم صلاح الدين مقصدهم صدهم عن مرادهم ، وأمر جنده بالحيلولة بين العدو وبين الماء ، وطاف صلاح الدين بنفسه على المسلمين يحرضهم على مواصلة القتال ، والجهاد في سبيل الله فاتم المسلمون بأمره ، ووقفوا عند نهيه ، فهاجم المسلمون — بعد أن استنار القائد حماسهم — أعداءهم ، وحملوا عليهم حملة منكرة . أنهكوا قرى العدو ، وقتلوا منهم كثيرين . ولما رأى الصليبيون أنهم لا طاقة لهم بالمسلمين ، حاول بعضهم فتح ضريق يخرجون منه ، وكان بعض المتطوعة قد أشعل في تلك الأرض نارا ، وكانت الأعشاب والخشائش كثيرة ، فاحترقت ، وكانت الريح ، فحملت حر النار والدخان إليهم ، فاجتمع عليهم العطش وحر الزمان وحر النار والدخان وحر القتال . وأسقط في يد الصليبيين بعد الهزيمة ، وكادوا يستسلمون ، لذلك رأوا أنهم لا يستطيعون النجاة إلا إذا شنوا حملات انتحارية على المسلمين . وفعلوا هاجموا المسلمين بضراوة وعنف ، إلا أن المسلمين — الذير عقدوا العزم على مواصلة النضال مهما كانت التضحيات — تصدوا لهم ، وقتلوا كثيرا منهم ، حتى وهنوا وضعفوا وتخاذلوا . وأدركوا أن الهزيمة لاحقة بهم لا محالة وأحاط بهم المسلمون إحاطة الدائرة بقضرها ، فصعد من استطاع من الصليبيين إلى تل بناحية حطين ، وأرادوا أن ينصبوا خيامهم ، ويحموا نفوسهم به . فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات ، واستولى المسلمون على صليبهم الأعظم المسمى صليب الصليوت (١) . وأعمل المسلمون فيهم السيف حتى أفنؤهم ، وبني ملك بيت المقدس

(١) يعتقد المسيحيون أن بهذا الصليب قطعة من الخشب صلب عليها المسيح عليه السلام ، وكان استيلاء المسلمين عليه من أعظم المصائب عند المسيحيين وأيقن الصليبيون بعده بالقتل والفناء والهلاك .

الصلبي على التل مع مائة وخمسين فارساً من الفرسان المشهورين الشجعان وأسر المسلمون الملك الصليبي وفرسانه عن ككرة أيهم ، ومن بين الأسرى أرناط - أمير الكرك - ولم يكن من بين الصليبيين أشد عداواً للمسلمين من هذا الرجل . وأسر المسلمون جماعة من الداوية والإسبتارية وكثر القتل والأسر فيهم ، فكان من يرى القتل لا يظن أنهم أسروا واحداً . ومن يرى الأسرى لا يظن أنهم قتلوا أحداً .^(١)

نزل صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد هذا النصر المبين في مخيمه ، وأحضر ملك بيت المقدس عنده ، وأمراء الصليبيين ومن بينهم أرناط ، وأجلس صلاح الدين ، الملك الصليبي إلى جانبه ، وقد أهلكه العطش ، وأضناه القتال ، فسقاه ماء فشرب ، وأكرمه وقال : إن الملوك لا تتعرض للملوك بسوء ، ولكن صلاح الدين رفض أن يسقى أرناط ، ثم ذكره بذنوبه وآثامه وأخطائه الجسيمة حيال المسلمين ، وقام إليه بنفسه ، وقتله وقال : كنت نذرت دفعتين أن أقتله إن ظفرت به ، إحداهما لما أراد المسير إلى مكة والمدينة ، والثانية لما تعرض للقافلة الإسلامية بالسلب والنهب .

لما فرغ صلاح الدين من هزيمة الصليبيين أقام بموضعة باقى يومه وفي يوم الأحد عاد إلى طبرية ونازلها ، فأرسلت صاحبها أسيفا تطلب الأمان لها ولأولادها وأصحابها ومالها فأجابها إلى ذلك .

وغادرت البلدة مع جماعتها في أمن وطمانينة ، ثم أمر صلاح الدين بارسال الملك الصليبي والأمراء والفرسان الصليبيين إلى دمشق ، وأمر بقتل الأسرى من الداوية والإسبتارية ، لأنهم أشد شوكاً من جميع الصليبيين ، فأراح المسلمين من شرهم المستطير ، وأمر ناته في دمشق بقتل من دخل البلدة منهم .

(١) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٥٨٣ م

بعد أن استولى صلاح الدين على طبرية ، اتجه إلى عكا ، وحاول أهلها الدفاع عنها ، وتمازروا قوات المسلمين فزعوا وجزعوا ، وخرج كثير من أهل عكا يضرعون ويطلبون الأمان ، فلجأهم إلى ذلك ، وأمنهم على أنفسهم وأموالهم ، وآثروا الخروج عن البلدة خوفا من المسلمين بما خف عليه ، وغلا ثمنه من الأمتعة والعتاد ، ودخل صلاح الدين عكا ، وغنم المسلمون من البلدة مغانم كثيرة لأنها كانت مقصد التجار الصليبيين والروم وغيرهم (١) .

بعد أن استولى صلاح الدين على طبرية وعكا ، تفرق جنده في البلاد التي كانت في أيدي الصليبيين مثل الناصرة وقيساريه وحيفا وغيرها من البلاد المجاورة لعكا فلكوها ، وامتلك العادل - نائب صلاح الدين في مصر - مدينة يافا عنوه . بينما سار صلاح الدين إلى صيدا ، فلما سمع صاحبها بمسير القائد المنتصر إلى البلدة ، أسقط في يده ، وغادر البلدة ، وتركها من غير مدافع . فلما بلغها صلاح الدين تسلمها ثم سار إلى بيروت ، لكنه رأى أهلها قد صعدوا على سورها وتأهبوا للدفاع عنها ، وقتلوا المسلمين قتلا شديدا (٢) ، إلا أن المسلمين لم يخشوا من حملاتهم ، بل شددوا هجماتهم عليهم ، حتى وهنوا وضعفوا وأرسلوا إلى صلاح الدين يطلبون الأمان على أنفسهم وأموالهم ، فاستجاب لهم ، واستولى على المدينة بعد حصار دام ثمانية أيام ، وأما جيبيل فإن صاحبها كان في جملة الأسرى الذين سيقوا إلى دمشق ، وأطلقه صلاح الدين بعد أن تنازل عن جيبيل للمسلمين (٣) .

(١) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ١١٥

(٢) عماد الدين السكاك : الفتح القس ص ٣٥

(٣) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ١٤٨

وبذلك استولى صلاح الدين على معظم المدن والقلاع والمراكز الساحلية في جنوب بلاد الشام ، إلا أنه ترك من فيها من الصليبيين أحرارا وأذن لهم بالمقام في البلاد التي استولى عليها ، أو مغادرتها فقصدهم إلى صور حيث احتشدت الجماعات المتخلفة من مملكة بيت المقدس الصليبية وقد أدى ذلك إلى صعوبة التغلب عليها ، الأمر الذي لم يغيب عن ذهن السلطان صلاح الدين ، فأزمع تأجيل مهاجمتها ، والاتجاه إلى غيرها (١) .

ولما استولى صلاح الدين على بيروت وجبيل وغيرهما ، عول على المسير إلى عسقلان والقدس ، وعسقلان لها أهمية استراتيجية لصلاح الدين لأنها على طريق مصر ، وأيضا تيسر له النزحف إلى القدس ، وكان صلاح الدين يفضل أن تتصل الولايات له ليسهل خروج الجند منها ، ودخولهم إليها ، فسار عن بيروت نحو عسقلان ، واجتمع بأخيه العادل ومن معه من جند مصر ، وهاجموها ، وكان صلاح الدين قد أحضر أسيريه الملك الصليبي ، ومقدم الداوية من دمشق ، وطلب منهما أن يسرا له استلام البلدة مقابل أن يفرج عنهما ، فأرسل الأسيران إلى الصليبيين المحاصرين في عسقلان يطلبان منهم التسليم فلم يستجيبا لطلبهما ، وردوا عليهما أقبح رد ، فلما رأى السلطان صلاح الدين ذلك شدد هجماته على عسقلان ، ونصب المنجنيقات عليها ، وضرب المدينة بعنف وضاوة حتى أيقن أهلها إبعادهم استطاعتهم الضمود أمام ضربات المسلمين القوية ، فأرسلوا إلى صلاح الدين يطلبون منه التسليم مقابل شروط اشترطوها ، فأجابهم صلاح الدين إليها وسلموا المدينة للمسلمين بعد حصار دام أربعة عشر يوما ، وسيرهم صلاح الدين ونساءهم وأموالهم وأولادهم إلى بيت المقدس ، ووفى لهم بالأمان ، وأعقب الاستيلاء على طبرية ، فتح البلاد المجاورة لها مثل الرملة وغزة

(١) سعيد ماثور : الحركة الصليبية ج ٢ ص ٨١٧

ومشهد إبراهيم الخليل وبيت لحم وغيرها (١).

كان لابد لصلاح الدين يوسف بن أيوب ، وهو القائد الذي بذل كل جهده لتحرير الأرض الإسلامية المقتصة أن يتوج انتصاراته الرائعة على الصليبيين بالعمل على استرداد بيت المقدس الذي انتزعه الصليبيون من المسلمين في الحملة الصليبية المعروفة بالأولى ، وفعلاً أعد صلاح الدين العدة لاسترداد بيت المقدس بعد أن استولى على عسقلان وما يجاورها ، فأمر قائد أسطوله في مصر بالاقلاع إلى سواحل الشام لمنع وصول الامدادات إلى الصليبيين في الشام عبر البحر المتوسط ، وهاجم صلاح الدين المدينة المقدسة ، واحتشد الصليبيون للدفاع عنها ، واجتمعوا من كل مكان للدفاع عن البلدة بجهدهم وطاقاتهم مظهرين العزم والنضال ، ونصبوا المنجنيقات للحيلولة بين أعدائهم وبين البلدة ودارت مناوشات بسيطة ، ثم هاجم صلاح الدين البلدة من ناحية الشمال ونصب المنجنيقات ، ورمى بها ، ودار قتال شديد ، ولما رأى الفرنج شدة قتال المسلمين ، ونحتم المنجنيقات بالرمي المتدارك ، وتمكن المسلمين من إحداث ثغرات في سور البلدة ، وأنهم أشرفوا على الهلاك ، اتفق كبارهم على طلب الأمان ، وتسليم بيت المقدس إلى صلاح الدين ، فأرسلوا جماعة من كبارهم وأعيانهم في طلب الأمان ، فأظهر صلاح الدين امتناعاً ، ولكن باليان قال للسلطان : اعلم أننا في هذه المدينة في قلق كبير ، وإنما نفترون عن القتال رجاء الأمان ظناً منهم أنك تجيبهم إليه ، وهم يكرهون الموت ، ويرغبون في الحياة ، فإذا رأينا الموت لابد منه فلا بد أن نقتل أبناءنا ونساءنا ونحرق أموالنا وأمتعتنا ولا نترككم تغنمون منها ديناراً واحداً ولا درهماً ولا تسبون وتأسرون رجلاً ولا امرأة ، وإذا فرغنا من ذلك أخرجنا الصخرة والمسجد

(١) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٥٨٣ هـ .

الأقصى وغيرهما من المواضع ثم يقتل من جندنا من أسارى المسلمين وهم خمسة آلاف أسير ، ولا نترك لنا دابة ولا حيوان إلا قتلناه ، ثم خرجنا إليكم كلنا قاتلناكم قتال من يريد أن يحمي دمه ونفسه . وحينئذ لا يقتل الرجل حتى يقتل أمثاله ، وموت أعزاء (١)

رأى صلاح الدين استلام المدينة صلحا بعد أن أنهكت الحرب جنده وبعد أن أيقن باعتزام الصليبيين الحرب إذا لم يوافق على الصلح ، فبذل للصليبيين الأمان ، وكان الرجل منهم يفتدى نفسه بعشرة دنانير يستوى فيها الغنى والفقر ، والمرأة خمسة دنانير ، والطفل دينارين وأهلهم أربعين يوما . يغادرون خلالها البلدة بعد أن يؤدوا المبلغ الذي قرره عليهم ، وغادروا البلدة بآمتعتهم ، ونسلفها المسلمون في السابع والعشرين من رجب ، وكان يوما مشهودا ، ورفعت الأعلام الإسلامية على أسوار القدس . وترك الصليبيون ما لم يستطيعون حمله من معداتهم وذخائرهم وآمتعتهم وأموالهم وباعوا ذلك بأرخص الأسعار ، وترك صلاح الدين النصارى من أهل القدس الأصليين يعيشون في كنف الحكم الإسلامى فى أمن وسلام (٢) ، كما كان الحال منذ فتح القدس فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، وتم هذا الفتح سنة ٥٨٣ هـ / ١١٨٧ م .

لما استرد صلاح الدين القدس عمر البلدة التى خربتها ودمرتها قوى البغى والعدوان ، ولقد ذكرنا أن صلاح الدين استرد القدس فى ليلة المهرج المنصوص عليها فى القرآن الكريم ، ويذكر ابن شداد أن هذا الفتح العظيم شهد به من أهل العلم خلق عظيم ، ومن أرباب الحرف والطرق ، وذلك أن الناس لما بلغهم أنباء هذا النصر ، قصد العلماء من مصر ومن الشام القدس

(١) ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ٢١٢

(٢) ابن الأثير الكامل حوادث سنة ٥٨٣ هـ

وارتفعت الأصوات بالدعاء والضحج والتهليل والتكبير . وحظب في المسجد
الآل قصى ، وصلى فيه الناس يوم فتحه ، وأمر القائد محط الصليب الفنى كان
على قمة الصخرة ، وجمع صلاح الدين الأيوبي من الصليبيين الذين غادروا
البلدة ، وفرقها على الأمراء والعلماء (١) .

وبذلك استرد المسلمون القدس ، وكان صلاح الدين — كما رأينا —
متسامحاً كريماً مع الصليبيين ، فلم يعمل فيهم سيف ، كما فعل الصليبيون في الحملة
الأولى عند استيلائهم على القدس .

لما توطدت أقدام المسلمين في القدس والمدن الساحلية ، اعتزم
صلاح الدين فصد صور ، لأن فتحها كان أمراً لا بد منه لأن الصليبيين الفارين
من الغزو الإسلامي ، احتشدوا بها ، فضلاً عن الإمدادات التي كانت تصلها
من أوروبا . وهاجم صلاح الدين البلدة ، وضايقها وقتلها قتالاً عظيماً .
واستدعى أسطول مصر ، وكان يحاصرها من البحر ، والعسكر من البر .
ولكن الأسطول الصليبي هاجم الأسطول الإسلامي ، ودمره . وقتل في
هذه الواقعة الكثير من المسلمين ، ورأى السلطان صلاح الدين أنه لا يستطيع
البقاء طويلاً في المعركة بعد أن هجم الشتاء ، وتراكت الأمطار ، فقرّر
الانسحاب من البلدة ، ليأخذ جنده قديراً من الراحة ، ويستعدوا لهذا
الأمر استعداداً جديداً ، ففرق العساكر ، وسار كل قوم إلى بلادهم ،
وكان عدداً كبيراً من قواته من بلاد الجزيرة ، انسحبت إلى ديارها بعد
أن أدت واجبها خير أداء . أما السلطان فقد عاد إلى عكا مع جماعة من
خواصه حتى دخلت سنة ٥٨٤ هـ . وعادت الحروب الصليبية من جديد .
ذلك أن الانتصارات التي أحرزها صلاح الدين على الصليبيين أحدثت

دويلا هانلا في أوروبا ، فارتفعت الصيحات مطالبة باسترداد بيت المقدس ، وخرجت من أوروبا إلى الشرق الحملة الصليبية الثالثة لهذا الغرض ، وتزعمها ثلاثة من كبار ملوك أوروبا ، هم فردريك باربروسا — إمبراطور ألمانيا — وفيليب أغسطس — ملك فرنسا — ورتشارد قلب الأسد — ملك إنجلترا — غير أن إمبراطور ألمانيا مات غرقا ، وهو في طريقه إلى الشام . لذلك تشتت شمل جنده ، ولم يصل منهم إلى عكا سوى عدد قليل . أما رتشارد وخليفه فيليب فقد نجحوا في الاستيلاء على عكا . في سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م رغم استبسال المسلمين في الدفاع عنها . ولم يلبث أن عاد فيليب إلى فرنسا ، وبقي ملك إنجلترا في الشام يحارب المسلمين ، فاستولى على أرسوف ويافا وحصنهما من جديد . واعتزم استرداد بيت المقدس . وعلى الرغم من سيطرته على المدن الساحلية ، فإنه تفاوض مع صلاح الدين في الصلح . وأدت هذه المفاوضات إلى صلح الرملة .

كانت الحالة في إنجلترا تستدعي عودة رتشارد قلب الأسد إليها ، ودب التنافس بينه وبين الأمراء الصليبيين في الشام ، كما أنه أدرك أنه يتعذر عليه الاستمرار في انتصاراته على المسلمين لحرصهم على مواصلة النضال لتحرير بلادهم ، لذلك عقد ملك إنجلترا صلح الرملة مع صلاح الدين ويتضمن الشروط الآتية :-

- ١ — تخريب عسقلان لأنها مفتاح بيت المقدس .
- ٢ — يحكم الصليبيون الساحل من صور إلى يافا ، ويكون جنوبي ذلك الساحل لصلاح الدين ، وتقع في حدوده بيت المقدس .
- ٣ — يسمح للمسيحيين بالحج إلى بيت المقدس في أمن وسلام^(١) . وعلى أثر هذا الصلح عاد رتشارد قلب الأسد إلى بلاده . ولم يلبث

(١) ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٣٦٣ .

أن توفي صلاح الدين في العام التالي . بعد أن بذل جهوداً مضنية في توحيد القوى الإسلامية ، والحد من قوة الصليبيين . ولم يعد للصليبيين سوى بعض البلدان على الساحل .

حاول الصليبيون بعد ذلك شن حملات على مصر ، لأنها مركز المقاومة ضدهم ، وأدركوا أهميتها الاستراتيجية ، فهي تمكنهم من النفاذ إلى البحر الأحمر ، والاستفادة من طريق تجارة الشرق ، فضلاً عن قطلعهم إلى الاستفادة من موارد مصر الاقتصادية .

ومن أهم الحملات الصليبية على مصر حملة جان دي برين التي هاجمت دمياط سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م ، وكان يحكم مصر في ذلك الوقت السلطان العادل بن أيوب ، لكنه لم يلبث أن توفي ، وخلفه ابنه الملك الكامل الذي حاول إنقاذ دمياط ، ومنع الصليبيين من عبور النيل . وقد تجلبت شجاعة المصريين في الدفاع عنها ، وعرض الملك الكامل على الصليبيين النزول عن بيت المقدس في مقابل رفع الحصار عن دمياط ، لكنهم رفضوا . وهذا يدل على أن الصليبيين في حملاتهم لم يعد يهمهم بيت المقدس بقدر ما يهمهم المصالح الاستراتيجية والاقتصادية . ثم اعتزم الصليبيون المسير إلى القاهرة . واخترقوا الدلتا وسط منطقة مائية تجري فيها عدة قنوات ، وكان ذلك وقت فيضان النيل .

أما المصريون فاستعدوا للمقاومة في المنصورة ، وحظموا السدود ، وتركوا المياه تغطي المنطقة . وبذلك أحيط الصليبيون بالمياه ، وحاولوا الهرب ، فلم يتمكنوا ، وطلبوا الأمان ، فقبل الملك الكامل ، وسمح لهم بالرحيل من مصر في أمان ، وجلوا عن دمياط .

ولم تكد تهدأ الأحوال في مصر حتى جاءت الحملة الصليبية السادسة ثم تلتها الحملة الصليبية السابعة ، وقادها لويس التاسع - ملك فرنسا - وقاد جيشاً قوياً ، وأسطولاً ضخماً . وسار قاصداً مصر . وعلى الرغم مما

تموضعت له جيوشه من حصريات بين قبرص ومصر ومقاومة الصليبيين
لجيشه فور نزوله مصر ، إلا أنه استولى على دمياط ، ثم سار إلى القاهرة
واستخدم نفس الطريق الذي استخدمه أسلافه من قبل ، ووصل لويش
إلى المنصورة ، وكانت محصنة تحصينا قويا من الداخل والخارج فحاصرها ،
ورغم دفاع المسلمين المتجيد وقد قُتِلَ جيشه بالرمح والسهم والنيران
الإغريقية ، فإن لويش انتصر عليهم بعد أن فقد نصف غزائه في
المعركة (١) . في هذه الأثناء مات الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وأرسلت
شجرة الدر تستدعى توران شاه — ابنه — فقدم إلى المنصورة . وولى
السلطنة بعده ، وقاد الجيش الأيوبي بمهارة فائقة ، واستطاع أن يحاصر
الصليبيين ، كما منع المؤمن والإمدادات عنهم حتى أشرفوا هم وخيولهم
على الفناء ، وطلب لويش التاسع الصلح ، وعرض نزوله عن دمياط مقابل
أخذه بيت المقدس ، ولكن توران شاه رفض مطلبه لأنه شعر بقوته ،
وطارد لويش الذي تقدم إلى دمياط ، والتقى به توران شاه في فارسكور ،
فأوقع به الهزيمة ، وفي موقعه فارسكور نكل المسلمون بقوات إمامك فرنسا ،
وأغرقوا سفنهم في النيل ، وغنموا منهم مغانم كثيرة ، وأسروا منهم عدداً
كبيراً من بينهم الملك الفرنسي نفسه ، وبعض الأمراء والنبلاء ، وظل
لويش التاسع أسيراً في سجن ابن لقمان بالمنصورة ، حتى اقتدى نفسه
بمبلغ كبير من المال ، وانسحب الصليبيون نهائياً من مصر (٢) . وبذلك
فشلت الحملة الصليبية السابعة فشلاً ذريعاً .

كانت حملة لويش على تونس آخر الحملات الصليبية على الشرق ، ولم
يبق أمام المسلمين سوى تصفية البقية الباقية من الصليبيين في بلاد الشام .

(١) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٥

(٢) أبو الحسن : التتجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٦٦

وقام المماليك فعلا بهذا الدور ، فاستولى السلطان بيبرس على حصن الكرك سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٣ م . وعلى قيصبريه وأرسوف وصفد سنة ٦٦٤ هـ / ١٢٦٥ م ، ثم سقطت يافا في يده بعد عامين ، واستطاع أخيرا أن يستولى على أنطاكية ، واختتم أعماله الحربية بالاستيلاء على حصن الأكراد .

وفي سنة ٦٧٥ هـ / ١٢٨٥ م حاصر السلطان قلاوون اللاذقية ، واستولى عليها ، ثم حاصر طرابلس بعد ثلاث سنوات ، فسقطت في يده بعد شهر من حصارها . وفي سنة ٦٩١ هـ / ١٢٩١ م هاجم السلطان خليل بن قلاوون عكا ، وحاصرها وتمكن من دخولها . بعد أن ظلت في أيدي الصليبيين مائة عام ، ثم استولى على صور وحيفا وبيروت ، وكان عام ٦٩٢ هـ / سنة ١٢٩١ م نهاية أمر الصليبيين في الشرق ، إذ تم طردهم نهائيا من آخر معاقلهم في بلاد الشام . وبذلك تخلص الصليبيون من الخطر الصليبي الذي استمر في الشرق قرابة قرنين من الزمان .

وهكذا لم يأل أتابكة الموصل والجزيرة جهدا في دفع الخطر الصليبي عن البلاد الإسلامية ، ففي بداية أمرهم تمكنوا من صد هجمات الفرنجة المتوالية عن بلاد الشام والعراق ، ولما علا شأن الأتابكة ، وقوى بأسهم وكثر جندهم تحول موقفهم من الدفاع إلى الهجوم ، فأغاروا على الإمارات الصليبية ، بل انتزعوا بعض مدن الفرنجة ، كما حدث في عهد ايلغازي ابن أرتق — أمير ماردين — وعماد الدين زنكي — أتابك الموصل .

وصفوة القول أن موقف أتابكة الموصل والجزيرة من الصليبيين بعد بداية للجهود التي بذلها الأيوبيون ثم المماليك من بعدهم في سبيل إجلاء الصليبيين نهائيا عن البلاد الإسلامية .

٣ - المغول

نشأ المغول في الهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي ، وهذا الإقليم موارد الاقتصادية قليلة ، وتحيط الجبال بالهضبة ، لذا عاش سكان هذا الإقليم على الرعى ، وعاشت القبائل في هذا الإقليم حياة ترحال وتجوال ، وكثر التنازع والتخاصم فيما بينها ، ولقد كثرت إغارات هذه القبائل على المناطق الهضبة المجاورة ، لذا شيد الصينيون سور الصين العظيم لحماية بلادهم من خطر القبائل المستطير .

ظلت هذه القبائل على هذا الحال من الفرقة والتمزق حتى استطاع شاب في ريعان شبابه الغرض ، في السابعة عشرة من عمره ، أن يوحد صفوف هذه القبائل تحت لوائه ، وهذا الشاب هو تيموجين الذي هنر بفتوحاته أركان الدول فيما بين الصين شرقا والبحر الأدرياتي غربا في النصف الأول من القرن السابع الهجري .

كان أبوه رئيساً لأحدى القبائل المغولية ، ولما توفي كان تيموجين غرا في الثالثة عشرة من عمره ، فأنصرف عنه الكثير من رجال أبيه وأقاربه . واستصغروه واستضعفوه ، وعاش هذا الفتى مع عائلته عيشة حرمان وشقاء وعرف عن تيموجين القدرة الفائقة على احتمال الشدائد والصعاب ، وقاسى الكثير من النكبات في حياته الأولى ، وهذه المحن التي تعرض لها أصقلته . وأخرجت منه رجلا صلبا قويا شجاعا .

لما بلغ تيموجين السابعة عشرة سيطر على أفراد قبيلته ، ولم يلبث أن بسط نفوذه على سائر القبائل المجاورة ، وفي سنة ٦٠٠ هـ ظهرت دولة تيموجين — جنكيز خان .

بعد أن وحد جنكيز خان القبائل المغولية في مملكة واحدة ، تطلع إلى بسط نفوذه ، وتوسيع دولته ، وكان المجال الحيوى له ، بلاد الصين التي

تقع جنوب مملكته — حيث الخصب والرخاء والازدهار ، فشن عدة حملات على امبراطورية كين ، واستولى على مساحات شاسعة من بلاد الصين ، وسيطر على بكين في سنة ٦١٢ هـ / سنة ١٢١٥ م ، واستفاد المغول من حضارة الصين المادية والأدبية .

وقبل أن نتحدث عن زحف المغول على ديار الإسلام يجدر بنا أن نتكلم عن قيام الدولة الخوارزمية ، على اعتبار أنها منعت زحف المغول فترة من الوقت على العالم الإسلامي ، وتلقت أول ضربة من جحافل المغول . أسس الدولة الخوارزمية توشتكين — أحد الأتراك في بلاط ملكشاه — وكان يشغل وظيفة الساقى ، وما زال يترقى في سلك الوظائف ، وكان حسن الطريقة كامل الأوصاف ، وقد أدب ابنه محمد ، وأحسن تأديبه ، لذا وقع اختيار أحد قادة بركياروق عليه ليكون حاكماً على إقليم خوارزم ولقبه خوارزمشاه سنة ٤٩٠ هـ وكان حاكماً عادلاً ، قصر أوقاته على معدلة ينشرها ، ومكرمة يفعلها ، وقرب أهل العلم والدين ، فازداد ذكره حسناً وعمله علواً ، ولما ملك السلطان سنجر السلجوقي خراسان ، أقر محمد خوارزمشاه على إقليم خوارزم وأعمالها ، فظهرت شجاعته وكفايته ، فعظم سنجر محله وقدره (١) .

لما توفي محمد بن توشتكين ولى ابنه أئسن ، فد ظلال الأمن وأفاض العدل . وقربه السلطان سنجر ، وعظم ابنه واستصحبه معه في أسفاره وحروبه ، فظهرت منه الكفاية والشهامة ، فزاده تقدماً وعلواً .

عول أئسن على توسيع رقعة دولته على حساب الدولة السلجوقية المتداعية ، وانتهاز فرصة تهديد الخطا للسلجوقية ، لكن سنجر أحبط محاولته ، وهزمه ، لكن أئسن استجمع قوته . وانتهاز فرصة سيطرة الخطا

(١) ابن الأثير الكامل حوادث سنة ٤٩٠ هـ

على بلاد ما وراء النهر ، واستولى على خراسان ، وجلس على عرش سنجر ، واستولى على أمواله وجواهره سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م وقطع الخطبة للسلطان سنجر ، لكن سنجر استطاع أن يسترد إقليم خراسان من أتنز سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م ، وتعهد أتنز بالاعتراف بسيادة الدولة السلجوقية .

على أن الدولة الخوارزمية أخذت تزداد قوة ، بينما أخذت الدولة السلجوقية في الضعف والانحلال بعد وفاة سنجر ، ومدت الدولة الخوارزمية نفوذها على البلاد التابعة للسلاجقة ، واستطاع السلطان الخوارزمي تسكش أن يهزم ويقتل آخر السلاطين السلاجقة ، ويستولى على ملك السلاجقة في العراق ، ويستولى على أصفهان والري .

ولما توفي تسكش سنة ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م خلفه ابنه علاء الدين محمد خوارزمشاه ، فسار على سياسة أبيه الرامية إلى توسيع حدود دولته ، فاستولى على معظم إقليم خراسان ، واستطاع أن يهزم الخطا سنة ٦٠٦ هـ / ١١٠٩ م ، ويبسط سيطرته على بلاد ما وراء النهر . واستولى على إقليم كرمان ومكران ، والأقاليم الواقعة غرب نهر السند وعلى ممتلكات الغور في أفغانستان.. وبذلك بلغت الدولة الخوارزمية أقصى اتساعها في عهد السلطان علاء الدين خوارزمشاه ، إذ امتدت من حدود العراق العربي غرباً إلى حدود الهند شرقاً ، ومن شمال بحر قزوين وبحر آرال شمالاً إلى الخليج الفارسي والمحيط الهندي جنوباً (١) .

على أن الدولة الخوارزمية قد جاورت دولة المغول — التي أشرنا إليها — ولم يكن هناك بد من حدوث احتكاك بين الدولتين ، وقد حدث ذلك فعلاً حينما وفد جماعة من التجار من رعايا جنكيزخان على مدينة أترار

(١) حافظ حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ص ٢٨

على نهر سيحون التي تعد مفتاح التجارة بين شرق آسيا وغربها ، وخشي حاكم أترار الخوارزمي بأمن هؤلاء التجار ، واعتقد أن مهمتهم الحقيقية التجسس وليس التجارة ، وأرسل إلى السلطان بخبرهم ، لذا أمر خوارزمشاه بمراقبتهم ثم قتلهم .

وبذلك ساءت وتوترت العلاقات بين الدولتين المغولية والخوارزمية وأصبحت الحرب وشيكة الوقوع بينهما ، وقد اشتد غضب جنكيزخان فهجره النوم ، وأطال التفكير فيما يجب أن يفعل ، وصعد إلى قمة تل عال ، وقضى ثلاثة أيام يفكر ويدبر^(١) ، وفي النهاية أرسل إنذارا إلى علاء الدين خوارزمشاه يتوعده إذا لم يسلم إليه حاكم أترار ، ولكن علاء الدين رفض الإنذار ، فاستعد كل من الرجلين للحرب والقتال . وبذلك جرت مذبحة أترار على المسلمين الويلات ، إذ تعرض دار الإسلام على أثر ذلك لكارثة مروعة ، سالت فيها دماء المسلمين أنهاراً ، ودمرت المدن والقرى ، وعفت الآثار ، وخربت الديار .

زحفت جيوش المغول إلى بخارى ، واستولت عليها ، ثم دخل المغول سمرقند ، وأوقعوا بأهلها الهزيمة ، ولم تقف غارات المغول عند هذا الحد ، بل واصلوا غاراتهم حتى استولوا على نيسابور ومازندران والري وهمدان .

ولما توفي علاء الدين محمد خوارزمشاه سنة ٦١٧ هـ خلفه ابنه جلال الدين منكبرتي في حكم الدولة الخوارزمية ، فواصل سياسة أبيه في محاربة جنكيزخان ، فأوقع بجيوشه الهزيمة ، ثم التقى به عند نهر السند حيث دارت بينهما معركة ، أظهر فيها جلال الدين شجاعة أوقعت الرعب في قلوب المغول ، غير أن انسحاب فريق من جيشه بسبب النزاع الذي قام بين

(١) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص ٤٠١ .

قواده ، اضطره إلى المسير إلى الهند لكنه سرعان ما غادرها على أثر عودة جنكيزخان إلى بلاده ، وأخذ يعمل على جمع شتات الدولة الخوارزمية ، وعلى الرغم من أنه وفق في ذلك إلى حد كبير إلا أن المغول بزعامه اجتأى تمسكوا من التغلب عليه سنة ٦٢٨ م .

بينما استطاع أتابكة الموصل والجزيرة التصدي للصليبيين إلا أنهم لم يتمكنوا من الدفاع عن بلادهم ضد الغزو المغولي ، ففي سنة ٦٢٨ هـ (١٣٠ م) أنفذ أجتأى Ogtai ابن جنكيزخان وخليفته جيشا من ثلاثين ألف مقاتل بقيادة شيرماجون Churmagon وبيدشو Baidshu إلى إيران (١) ، وبعد أن تمكنت قوات المغول من الاستيلاء على الري وهمدان (٢) واصلت زحفها إلى أذربيجان (٣) ، فاستنجد سلطانها جلال الدين منكبرتي بأتابكة ديار بكر (٤) والجزيرة ، وأرسل إليهم يقول : « إن جيشا جرارا من نساكر التتار ، كأنه النمل والشعابين من حيث الكثرة والقوة ، قد تحرك نحونا ، فإذا ترك وشأنه ، فسوف لا تصمد أمامه القلاع والأمصار ... فليسارع كل منكم إلى إمدادنا بفوج من الجنود ، حتى إذا ما وصلهم نبأ اتفاقنا واتحادنا فترت قوتهم وفت في عضدهم ، فيتشجع جنودنا ، وتقوى (٥) قلوبهم .

على أن أمراء ديار بكر والجزيرة لم يعملوا على نجدة جلال الدين منكبرتي ، فأخذ يتنقل من بلد إلى آخر ، ولم تزل قوات المغول تتبعه .

(١) Howarth : History of the Mongols. Vol. 1 p. 130

(٢) حافظ حمدي : الدولة الخوارزمية والمغول ص ١٩٣

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٢٨ هـ

ابن خلدون : العبر وميوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٧٥

(٤) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٥٤ - ١٥٥

(٥) قطب الدين البعلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ١٨٣

حتى بلغ مدينة آمد^(١)، فاشتبك معهم في معركة على أبواب هذه المدينة^(٢) وأخذت قوات المغول تعيث فسادا فيها . كما أغاروا على مدينتي أروزن وميفارقيسن^(٣)، وقصدوا مدينته أسعور^(٤)، فقاتلهم أهلها قتالا شديدا ثم منحهم المغول الأمان^(٥)، فأوقفوا القتال . غير أن المغول لم يفروا بعهدهم ونكوا بسكان البلدة، ولم ينج منهم إلا القليل . ثم واصلوا زحفهم حتى بلغوا ماردين، وأعملوا فيها النهب والتخريب، واضطر صاحب ماردين إلى الاحتماء بالقلعة . غير أن المغول انصرفوا عن ماردين واتجهوا إلى نصيبين، فنهبوها، وقتلوا كل من ظفروا به من أهلها^(٦).

لم يكتف المغول بما أحدثوه في بلاد ديار بكر والجزيرة من تخريب وتدمير، بل أغاروا كذلك على سنجار وأعمالها^(٧)، وهاجروا الحايور والموصل وأعمالها، وامتدت غاراتهم إلى الفرات وعادوا إلى آمد ثم بدليس^(٨) فتحصن أهلها بالقلعة والجبال، لكن المغول مالبنوا أن تغلبوا عليهم^(٩). كذلك تعرضت أتابكية أر بل لهجمات المغول سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ م)

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٨ هـ

(٢) قتل في هذه المعركة وأسر كثير من الخوارزمية، وتفرق الباقون، وول السلطان جلال الدين هاربا في فلة من فرسانه، ولجأ إلى جبال كردستان، حيث قتله أحد الأكراد (محمد بن أحمد النسوي - سيرة السلطان جلال الدين منكبرني ص ١٠٨)

(٣) Howorth : History of the Mongols. Vol. 1 P. 130

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٢٨ هـ

(٥) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٣٧٥

(٦) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٥٥

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٢٨ هـ

(٨) بدليس : بلدة من نواحي أرمينية قرب خلاط

(٩) ياقوت الحموي : معجم البلدان ج ٣ ص ٩٠

(٩) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٥٥

Howorth : History of the Mongols. Vol. 1 P. 132

فشتوا غارات على أعمالها ، وتغلبوا على جند التركان والأكراد الذين اعترضوا طريقهم (١) ، كما أنهم بعد أن دخلوا إربل عاثوا فيها وفي أعمالها نهباً مما اضطر أميرها مظفر الدين كوكبورى إلى الاستنجاد بأتابك الموصل ، فأرسل إليه جيشاً عاونته في صد المغول عن بلاده (٢) .

على أن المغول ما لبثوا أن عاودوا غاراتهم على إربل سنة ٦٣٣ هـ (١٢٣٤) ، فتحصن أهلها بالقلعة واضطروا إلى فداء أنفسهم بالمال بعد أن شدد المغول حصارهم (٣) .

كذلك امتدت غارات المغول إلى ماردین ، فسير هولاكو جيشاً إليها سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م) غير أن أميرها الملك السعيد تحصن في القاعة وأرسل القائد المغولى إليه يحذره من التمدد في المقاومة (٤) ، لكن الملك السعيد ، رفض الاستسلام ، لما عرفه من غدر المغول (٥) الذين ظلوا يشددون الحصار على قلعة ماردین ، حتى اجتاحتها الغلاء والوباء والقحط ، فثار مظفر الدين على أبيه الملك السعيد ، وافتزع منه القلعة وأرسل إلى القائد المغولى يطلب منه الكف عن القتال في مقابل نزوله عن القلعة ، فاستجاب له ، وأقره هولاكو على حكم ماردین (٦) .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٢٨ هـ

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٣٢٥

(٣) رشيد الدين فضل الله الهمداني : تاريخ المغول ج ١ ص ٣٢٥

(٤) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ١٥٤ — ١٥٥

Howorth : History of the Mongols. vol. 4 p. 161

(٥) حذره القائد المغولى قائلاً : اهبط من القلعة ، وقدم الطاعة والولاء لملك العالم ، ليبقى لك

رأسك ومالك ولساؤك وأبناؤك ، مهما تكن قلعتك محكمة مرتفعة ، فلا تغتر بأبراجها

وارتفاعها ، ولو بلغت رأسك السماء ، فإنها ستصير تراباً تحت أقدام جيش المغول

فإن كان الاقبال والسعادة حليفين لك ، فعليك أن تسمع لتسمع . . .

(رشيد الدين فضل الله ، تاريخ المغول ج ١ ص ٣٢٥)

(٦) لما قصد الملك المظفر هولاكو وجه إليه اللوم لأنه قتل أباه ، فقال له الملك المظفر =

كان هولاء كوا يحرض على أن يظل أمير ماردین تابعا له ، فلما خرج عليه ، أبناء بدر الدين لؤلؤ — حكام الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر — واستنجدوا بالظاهر بيبرس — سلطان المماليك في مصر — خشي أن يحذو الملك المظفر — أمير ماردین — حذوهم ، فلما قدم عليه أكرم وفادته ، وقال له ، بلغتني أن أولاد صاحب الموصل هربوا من البلاد إلى مصر ، وأنا أعلم أن أصحابهم كانوا السبب في خروجهم ، فترك أصحابك الذين وصلوا معك عندي ، فإني لا آمن منهم أن يحرقوك عني ، ويرقبوك في النزوح عن بلادك إلى مصر (١) . فأجاب صاحب ماردین طلبه ، وعهد إليه هولاء كوا بحكم نصيبين بالإضافة إلى ماردین (٢) .

ظل الملك المظفر على ولايته هولاء كوا ، فانضم إلى قوات المغول في حصار الموصل سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م) . ولما توفي سنة ٦٩٠ هـ (١٢٩٣ م) استمر خلفاؤه على ولايتهم للمغول ، وبلغ من إخلاص نجم الدين غازي الثاني المنصور بن قرا أرسلان — الذي ولي ماردین سنة ٦٩١ هـ (١٢٩٣ م) — للمغول أن منحه هولاء كوا التاج والمظلة الملكية ، وجعله من خرواصه ، وفوض إليه الملك في كل من ديار بكر وديار ربيعة .

== أما نعت ذلك لأني كلما تضرعت إليه ، وبكيت أمامه لسكيلا يقرؤا في القامة وفي دماء الناس ، لم يستجب لي ، فأقدمت على هذا العمل الخاص من أجل المصلحة العامة : لأني عرفت أن القامة ستفتح باقبال الملك ، وأنه سوف يقتل عدة آلاف من الأبرياء ، فالحقيقة أن التضحية بدم واحد خير من التضحية بمائة ألف ، خصوصا أنه كان ظالما معتديا ، وقد قتل ابنه ، والناس غير راضين عنه ، وأنا العبد معترف بذنبي ، فلو منحتني الملك مقام أبي ، فإن له ما يشاء .
فمعا عنه هولاء كوا ، وسلمه ماردین .

(رشيد الدين فضل الله : تاريخ المغول ج ١ ص ٣٢٥ — ٣٢٦)

(١) قطب الدين البعلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٤٥٧ — ٤٥٨

(٢) نفس المصدر : ج ١ ص ٤٩٢

عهد منكوقان — خاقان المغول العظيم في قراقورم لأخيه هولاكو بالتوجه إلى غرب آسيا لفتح غرب إيران والشام ومصر وبلاد الروم والأرمن ، وأوصاه بالمحافظة على تقاليد جنكيزخان وقوانينه في الكليات والجزئيات ، واحترام رأى زوجته دوقوز خاتون ومشاورتها في مهام الأمور .

واستطاع هولاكو أن يكون دولة قوية للمغول في فارس ، وقدم زعماء فارس والأتابكة والحكام المحليون فروض الولاء والطاعة لهولاكو ، ولم يعد يعسكر صفوف هذه الدولة إلا الاسماعيلية الذين اعتصموا في الجبال المنيفة ، وظل خلفاء الحسن الصباح يجمعون الأتابة من الأمراء المحليين ، ويلحقون ويلاتهم بكل من يمتنع عن أدائها لهم (١) .

لذا بدأ هولاكو عملياته الحربية بالقضاء على طائفة الاسماعيلية وكان لاندحار تلك الفئة الباغية رنة فرح وسرور عمت العالم الإسلامي على الرغم مما كان يعانيه المسلمون من ويلات المغول ، لأن هذه الفئة استطاعت أن ترهب وتفزع قادة المسلمين وكثيراً ما عملوا القتل في أعدائهم من المسلمين ، وتحالفوا مع أعداء الإسلام ..

هولاكو والخلافة العباسية

بعد أن حقق هولاكو هدفه الأول وهو القضاء على طائفة الاسماعيلية سار لتحقيق هدفه الثاني وهو القضاء على الخلافة العباسية في بغداد وجدير بالذكر أن الخلافة العباسية أخذت في الضعف والانحلال ولم يعد يتجاوز نفوذها العراق وخوزستان ، وفي ذلك الوقت كان الخليفة المستعصم بالله

(١) رشيد الدين الهمداني : جامع الزوان بخ ٢٢ ج ١ ص ٢٣٦ — ٢٢٧

آخر الخلفاء العباسيين سنة ٦٤٠ — ٦٥٦ رجلا لين الجانب ضعيف الوطأة سهل العريكة قليل الخبرة، وكانت الأخبار تصل الخليفة تباعا بزحف جيوش المغول ومع ذلك لم يتخذ الالهبة لمواجهةهم قبل أن يستفحل خطرهم ويستطير شرهم .

جاء المغول في عهد المستعصم إلى العراق عدة مرات حيث حدثت مناوشات بينهم وبين جيش الخليفة لكنهم لم يوفقوا في الاستيلاء على بغداد حتى سنة ٦٥٦ وعند ما اعتزم هولاكو مهاجمة الاسماعيلية أرسل إلى الخليفة يطلب إليه أن يمدّه بجيش ليعاونه في القضاء على تلك الطائفة فلما شاور الخليفة أتباعه حذروه أن يقدم على هذا العمل وأدخلوا في روعه أن هولاكو يريد بهذه الوسيلة أن تخلو بغداد من الجيش حتى يتيسر له الاستيلاء عليها .

ولما فرغ هولاكو من محاربة الاسماعيلية ودحرهم قصد همدان وفي شهر رمضان سنة ٦٥٥ أرسل رسولا يحمل رسالة إلى الخليفة مصاغة في قالب التهديد والوعيد لامتناعه عن إرسال المدد، ولم يكن هذا الاحتجاج في الواقع إلا ذريعة للبطالة بالسلطة الزمنية التي سبق أن منحت في بغداد لأمراء البويهيين ثم السلاجقة . يقول هولاكو في هذه الرسالة (لا بد أنه قد وصل إلى شخصك على لسان الخاص والعام ما حدث للعالم على أيدي الجيوش المغولية منذ جنكيز خان وعلمت أية مذلة لحقت بأمر الخوارزميين والسلاجقة وملوك الديلم والآتابكة وغيرهم ممن كانوا أرباب العظمة وأصحاب الشوكة ومع ذلك لم يغلق باب بغداد قط في وجه أي طائفة من تلك الطوائف التي تولت السيادة . واعلم أنني إذا غضبت عليك وقدت الجيش إلى بغداد فسوف لا تنجو مني ولو صعدت إلى السماء أو اختفيت في باطن الأرض .) (١) رفض الخليفة إنذار المغول وأرسل إلى هولاكو يتوعده

(١) رشيد الدين الهمداني : جامع النوارين م ٢ ج ١ ص ٤٧٤ .

أن هو حاول غزو بلاده على الرغم من أنه كان لا يملك القوة اللازمة لمواجهة هولاءكو، وكان المسلمون في حالة شديدة من الضعف والانقسام، لذلك كان طيحيما عدم جدوى تهديدات الخليفة، بل كان لها على العكس أسوأ الأثر في نفس هولاءكو فاعتزم قبل كل شيء فتح بغداد.

وصل رسل الخليفة إلى هولاءكو، فلما اطلع على رسالة الخليفة وعلم بما لحق رسله من أذى العامة في بغداد غضب غضبا شديدا وأعاد رسل المستعصم وحملهم رسالة أخرى تضمنها إنذارا نهائيا له صيغ في لهجة شديدة عنيفة جاء فيها (لقد فتنك حب المال والعجب والغرور بالدولة الفانية بحيث لم يعد يؤثر فيك نصيح الناصحين . . فإني متوجه إلى بغداد بجيش كامل والجراد) .

رأى وزير الخليفة مؤيد الدين العلقمي بذل الأموال والتحف والهدايا وإرسالها إلى هولاءكو مع تقديم الاعتذار له وكان يرى ذكر اسم هولاءكو في الخطبة ونقشه على السكة حتى يبعده هولاءكو عن غزو بغداد، ولكن الخليفة رفض العمل بمشورة الوزير وأصر على إعداد العدة للدفاع عن بغداد.

وقبل أن يقدم هولاءكو على غزو بغداد استشار المنجمين فيما يتعلق بأحكام النجوم وطوالع السعد والنحس وقد أشار عليه فلكى مسلم يعطف على الخليفة بعدم غزو بغداد فقال له : الحقيقة أن كل ملك تجاسر حتى هذه اللحظة على قصد الخلافة والزحف إلى بغداد لم يبق له عرش ولا جاه وإذا أبى الملك أن يستمع لنصائحي وتمسك بمشروعه فسوف تحدث هذه الحملة خللا في نظام الكون، فضلا عن أنها ستكون وبالاً على الخان نفسه إذ سيهلك، ويهلك الزرع والحيوان ولن تطلع الشمس ولن ينزل المطر، لكن منجمين آخرين أكدوا له هولاءكو نجاح مشروعه. ومهما يكن من أمر فقد أمر هولاءكو بتحريك جيشه من أطراف بلاد الروم والاتجاه إلى بغداد وأقام هولاءكو معسكره خارج بغداد من الشرق، ولم يستطع جيش الخليفة منع

المغول من الإقامة في الجهة الشرقية ، وفي أوائل سنة ٦٥٦ هـ حاصر المغول بغداد وأحكموا حصارها وأطلقوا يد التخريب في المدينة وفتحوا أقساما منها ، ولما رأى الخليفة حرج موقفه أراد أن يثني المغول عن عزمهم على إتمام الفتح فأرسل إليهم الهدايا بالقيمة ولكن دولا كو لم يستجب لمحاولة الخليفة . هزم هولاء كو جيشاً أنقذه الخليفة لمحاربته وأباده عن آخره ، عندئذ خرج الوزير ابن العلقمي إلى هولاء كو وتوثق منه لنفسه وعاد إلى المستعصم وأخبره أن هولاء كو يبقية في الخلافة ، وحسن له الخروج إلى هولاء كو فخرج من بغداد ومعه أبناؤه فلما وصلوا إلى هولاء كو أحسن استقبالهم وطلب إلى الخليفة أن ينادى في الناس بإلقاء أسلحتهم والخروج من المدينة لإخضاعهم فلما ألقى الناس أسلحتهم وخرجوا قتلوا جميعا ، أما الخليفة وأولاده وكل ما يتعلق بهم فقد وضعهم هولاء كو في معتقل (١) .

بعد ذلك أمر هولاء كو بدم الخنادق وهدم أسوار المدينة كما شيد جسرا على نهر دجلة ، ثم أعلن الهجوم العام على المدينة في صفر من السنة نفسها ٦٥٦ هـ فدخلها المغول ودمروها وخربوا المساجد ودمروا القصور ، بعد أن سلبوا ما بها من تحف نادرة وأباحوا القتل والنهب وسفك الدماء أربعين يوما ، واندلعت فيها السنة النيران في كل جانب من المدينة وأنت على الأخضر واليابس ودمرت أكثر المدينة وجامع الخليفة ، وعند ما دخل هولاء كو مدينة بغداد قصد قصر الخليفة واستولى على ما فيه من نفائس وتحف نادرة ، وأخيرا بعد أن سفك هولاء كو من الدماء ما سفك وخرب ما خرب أصدر أمراً بالكف عن القتل ، وإن ينصرف كل إلى عمله ويقول المؤرخون أنه لما نودي ببغداد الأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقنى والمقابر كأنهم موتى إذ ابتعثوا من قبورهم وفد أنكر بعضهم بعضا فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه فأخذهم الوباء الشديد فقتلوا وتلاحقوا بمن

(١) أبو الفدا : المختصر - حوادث سنة ٦٥٦ هـ

سبقهم من القتل وقتل هولاءكو الخليفة البائس (١)
وبسقوط بغداد في أيدي المغول سنة ٦٥٦هـ سنة ١٢٥٨م زالت الدولة
العباسية بعد حكم استمر أكثر من خمسة قرون .

ودخل بدر الدين لؤلؤ — أتابك الموصل — في طاعة المغول (٢) بل
صحب هولاءكو في فتح بغداد ، فأنفذ جيشا إلى هذه المدينة سنة ٦٥٦هـ
(١٢٥٨م) بقيادة ابنه الملك الصالح ، انضم إلى قوات المغول (٣) ولما
سقطت بغداد في أيدي المغول ، سارع بعض حكام البلاد الإسلامية إلى
هولاءكو ، يقدمون له فروض الولاء والطاعة والتهنئة ، وفي مقدمتهم
بدر الدين لؤلؤ — أتابك الموصل (٤) — الذي شمله هولاءكو بالإعزاز
والتكريم وأعادته إلى بلاده محملا بالهدايا (٥) .

كما وقف بدر الدين لؤلؤ إلى جانب المغول في فتح ميافا وقرين
سنة ٦٥٧هـ (٦) .

واصل المغول سياستهم التوسعية ، فزحفت بعض قواتهم على الجزيرة
في طريقها إلى الشام واستطاع هولاءكو أن يستولي على آمد ونصيبين
وحران والرها وسروج والبيرة (٧) ، وحرص على الاستعانة ببعض أمراء
المسلمين في غزوه بلاد الشام ، فأرسل إلى بدر الدين لؤلؤ — صاحب

(١) رشيد الدين الهمداني : جامع التواريخ ج ٢ ص ١ ص ٣٩٣

(٢) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٢٠٧ .

(٣) قطب الدين البعلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٨٧ .

يذكر رشيد الدين فضل الله أن هولاءكو أرسل إلى بدر الدين لؤلؤ دعوى وزراء

الخليفة العباسي ، فعلقها على أسوار الموصل .

(٤) تاريخ المغول المجلد الثاني ج ١ ص ٣١٥ .

(٥) ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٨٧ .

(٦) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ — تاريخ المغول المجلد الثاني ج ١ ص ٢٩٩ .

(٧) أبو الحسن : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ١ ص ٤٧ .

(٨) رشيد الدين فضل الله : جامع التواريخ — تاريخ المغول ج ١ ص ٣٠٥ .

الموصل — يقول : « إن سنك قد جاوزت التسعين ، ولذلك أعفيناك من السير معنا ، ولكن عليك أن تبعث بابنك الملك الصالح مع الرايات الغازية ، لفتح ديار الشام ومصر » . فلم يتردد بدر الدين في اتخاذ جيش إلى هولاكو بقيادة ابنه^(١) .

لما توفي بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٥٧ هـ قسم هولاكو إمارته بين أبنائه الثلاثة ، فولى الملك الصالح حكم الموصل ، على حين فوض حكم سنجار لعلاء الدين وجزيرة ابن عمر للجهاد إسحاق^(٢) . غير أن أبناء بدر الدين لؤلؤ ما لبثوا أن خرجوا على المغول ، وغادروا بلادهم ، ولجأوا إلى سلطان المماليك في مصر ، فأرسل هولاكو جيشاً استولى على بلادهم سنة ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م)^(٣) .

كذلك أظهر صاحب تاج الدين بن صلاحية — حاكم أربل — ولاءه للمغول في أثناء حصار هولاكو بغداد قصد القائد المغولي أرقو نويار — مدينة أربل ، وطلب من حاكمها تمكينه من الاستيلاء على القلعة ، فحاول تاج الدين إقناع حاميها بالتسليم^(٤) ، ولما استعصت أربل على المغول ، استنجدوا ببدر الدين لؤلؤ — صاحب الموصل — فأمدهم بفريق من الجند ، غير أنه لم يكن لهذه الإمدادات أى تأثير في سقوط القلعة^(٥) في أيدي المغول . فاستدعى القائد المغولي بدر الدين لؤلؤ ، فسار إلى أربل ، وحاصر قلعتها ، وهدم أسوارها وسلمها للمغول^(٦) .

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٣٠٥ .

(٢) Howorth : History of the Mongols. Vol. 4 p. 131

(٣) رشيد الدين فصل الله : جامع التواريخ : تاريخ المغول المجلد الأول ج ١ ص ٣٢٧ .

(٤) لم يقل القائد المغولي اعتذار صاحب أربل عن تمكين المغول من فتح البلدة ، وقال له : « إن الدليل على صحة الطاعة هو تسليم القلعة وأرسله إلى هولاكو فأمر بقتله .

(قطب الدين البعلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ٩١) .

(٥) قطب الدين البعلبكي . ذيل مرآة الزمان ج ٢ ص ٩١ .

(٦) Howorth : History of the Mongols. Vol. 4 pp. 133 — 135

وهكذا لم يتمكن أتابكة الموصل والجزيرة من صد الخطر المغولي الذي تعرضت له بلادهم ، بل خشوا بأسهم ، واضطروا إلى الدخول في طاعتهم . غير أن هذه السياسة التي اتبعها هؤلاء الأتابكة لم تجد نفعا ، فتعرضت بلادهم لغارات المغول التي اقترنت بالتخريب والتدمير .

تطلع المغول إلى الزحف على مصر ليتموا بذلك السيطرة على بلاد الشرق الإسلامي ، وليقضوا على آخر قوة إسلامية في الشرق في استطاعتها التصدي لهم .

أرسل هؤلاء إلى سلطان المماليك في مصر الملك المظفر قطز خطابا يهدده فيه ، ويتوعده إن امتنع عن التسليم والإذعان له . ويذكره بأن المغول فتحوا كافة البلاد ، ولم تستطع قوة الموقوف في وجههم ، وبما جاء في خطابه : لكم في جميع البلاد معتبر . وعن عزمنا مزدجر ، فاتعظوا بغيركم ، وأسلموا إلينا أمركم . قبل أن ينكشف الغطاء فتقدموا ، فنحن لا نرحم من بكى ، ولا نرق لمن شكا وأى أرض تؤويكم ، وأى طريق تنجيكم ؟ نخير لنا سوابق ، وسهامنا خوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وعددنا كالرمال . . . وقد سمعتم أننا فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد ، فما من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص . (١) .

لكن السلطان قطز لم يأبه بتهديد المغول ، بل عقد العزم على ضرورة مقاومتهم مهما كانت التضحيات ، فأمر بقتل رسل سلطان المغول وعلقت رؤسهم على باب زويلة ، وخرج السلطان قطز إلى بلاد الشام للقاء المغول الذين اجتازوا الشام ودخلوا فلسطين ، واقتربوا من حدود مصر ، واحتلوا غزة .

(١) القرينى : السلوك ج ١ ص ٤٢٨ .

اشتبك المسلمون من مصر والشام وبلاد الجزيرة في رمضان ١٢٦٠ م مع المغول في عين جالوت بالقرب من نابلس في معركة حامية الوطيس انتصر فيها المسلمون على أعدائهم ، بعد أن اشتدت هجمات المغول حتى أن كتبغا - قائد المغول - تحول أثناء المعركة إلى قطعة من اللهب بسبب الغيرة والغضب ، وقد أظهر المسلمون شجاعة منقطعة النظير أثناء المعركة ، ولما رأى السلطان قطز قوة بأس المغول ألقى بخوذته عن رأسه إلى الأرض ، وصرخ بأعلى صوته : والإسلاماء . عندئذ ثارت حماسة جنده ، وحمل وطيس القتال ، وانتصر المسلمون انتصاراً رائعاً ومزقوا شمل المغول بكل ممزق ، وخر كتبغا - قائد المغول - صريعاً في المعركة ، ولم ينج من المغول إلا من لاذ بالفرار ، وفروا لا يلوون على دار ولا يركنون إلى قرار^(١) .

وبما لا شك فيه أن موقعه عين جالوت من الوقائع الحاسمة في التاريخ ، لأنها أضعفتهم ، وأوقفت تقدمهم في بلاد الإسلام .

ترتب على موقعه عين جالوت نتائج بالغة الأهمية ، فلو انتصر المغول في تلك العوقعة لفعلوا بمصر وأهلها مثلما فعلوا بالعراق والشام ، ولقاسى العالم الإسلامى من ويلات المغول الشيء الكثير ، ولتغير مجرى التاريخ في المنطقة كلها . ولكن هزيمة المغول في واقعة عين جالوت لم ينقذ مصر فحسب من وحشية المغول وهمجيتهم ، بل أنقذ الشام أيضاً ، لأن المغول بعد هزيمتهم في عين جالوت ، لم يعد لهم مقام في بلاد الشام^(٢) .

(١) أبو الحاسن : النجوم الزاهرة ج ٧ ص ٢٩ .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ٢٠ ص ١١٢٧ .



صورة عامة لاجدى معارك المغول في كتاب "جامع التواريخ"

الباب الرابع

بعض مظاهر الحضارة في دول أتابكة الموصل والجزيرة

أولا : التنظيمات الإدارية والمالية في بلاد الجزيرة

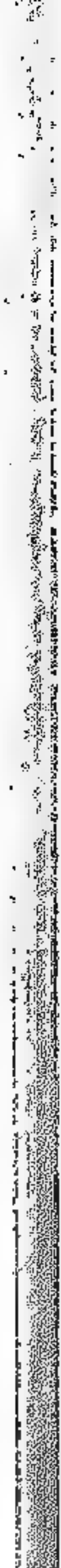
١ - التنظيم الإداري

(أ) التقسيم الإداري

(ب) الوظائف والدواوين الإدارية في دول أتابكة
الموصل والجزيرة

٢ - الإدارة المالية

(أ) موارد دول أتابكة الموصل والجزيرة ومصارفها .
(ب) المعاملات المالية



أولا : التنظيمات الادارية والمالية في بلاد الجزيرة

١ - التنظيم الادارى

(١) التقسيم الادارى :

قامت دول الآتابكة في شمال العراق ، في البلاد الواقعة بين أعلى نهرى دجلة والفرات . وكان العرب يسمون هذه البلاد بالجزيرة (١) وبجدها من الجنوب الخط الواصل بين تكريت على نهر دجلة، وهيت على نهر الفرات (٢)

وينقسم إقليم الجزيرة إلى ثلاثة أقسام ، هي ديار ربيعة وديار مضر ، وديار بكر . وقد عرفت بذلك نسبة إلى القبائل العربية ربيعة ومضر وبكر التى نزلت هذا الإقليم قبل الإسلام (٣) .

١ - ديار ربيعة : تقع في شرق ديار مضر . وتتألف من الأراضى التى في شرق نهر الخابور الكبير المنحدر من رأس العين ، ومن الأراضى التى تقع في شرق الهرماش ، وكذلك بما على ضفتى نهر دجلة من أراض تمتد بإنحدار النهر من تل فافاز الى تكريت (٤) ، ومن أهم مدنها :

(١) لستريج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١١٤

(٢) ابن حوقل : المسالك والممالك ص ٢١٨

ياقوت : معجم البلدان ج ٣ ص ٩٦ — ٩٧

(٣) لستريج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١١٤

(٤) لستريج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١١٥

(أ) الموصل : قاعدة ديار ربيعة ، على الضفة دجلة الغربية حيث تتصل فروع النهر ، فتؤلف مجرى كبيرا واحدا ، ويقال ان اسم الموصل جاء من هذا الاتصال^(١) ، وقد ارتفع شأن الموصل بعد أن اتخذها عماد الدين زنكي بن آقسنقر حاضرة لدولته . وأقام زنكي وخلفاؤه بها المساجد والمدارس والمؤسسات^(٢) ، وظلت الموصل على هذا الحال من الازدهار والعمران حتى دمرها المغول سنة ٦٦١ هـ (١٢٦١ م) .

(ب) اربل : تقع على بعد مئسار تقريبا بين نهر الزاب الكبير والزاب الصغير^(٣) .

وقد ازدهرت هذه المدينة في عهد أتابكها مظفر الدين كوكبوري ، وزادت اتساعا بعد أن ضم إليها الجزء الأسفل منها الواقع في سفح الجبل وأقام عليه قلعة حصينة^(٤) .

(ج) العمادية : وهي بالقرب من منابع الزاب الأعلى شمال الموصل وتنسب إلى مؤسسها عماد الدين زنكي^(٥) بن آقسنقر — أتابك الموصل — وكانت قبل ذلك حصنا للأكراد يسمى آشب^(٦) .

(د) الحديثة : وتسمى حديثة الموصل ، تتميز لها عن حديثة الفرات وتقع عند مصب الزاب الأعلى على الضفة الشرقية لنهر دجلة^(٧) ، وتبعد

(١) نفس المصدر من ١١٥

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الحولة الأتابكية من ٧٧ - ٧٨

(٣) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية من ٩

Ency. of Islam : Art Irbil

(٤)

(٥) ياقوت : معجم البلدان ج ٦ من ٦٤

(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية من ٦٤

(٧) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية من ١١٩

تسعة فراسخ عن الموصل (١) : وقد بنيت هذه المدينة على شكل دائرة وكانت عاصمة إقليم الجزيرة قبل الموصل (٢) .

(هـ) نصيبين : وهي من أجمل بقاع الجزيرة وأحسنها (٣) وأكثرها عمرا . وتقع على طريق القوافل من الموصل إلى الشام (٤) .

(و) جزيرة ابن عمر : في شمال نيسابور ، وتنسب إلى مؤسسها الحسن ابن عمر التغلبي (٥) ، وقد وصفها ابن حوقل (٦) بأنها ثغر الجزيرة ، لوقوعها غربى دجلة ، وشرقي الفرات ، وقد اتخذها معز الدين سنجر شاه عاصمة لأتابكيته سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) وظلت على هذه الحال حتى استولى عليها المغول سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٢ م) .

(ز) ماردين : قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة ، مشرفة على دنيسرودارا ونصيبين (٧) . وقد اتخذها ايلغازى بن أرتق وأبناؤه من بعده حاضرة لدولتهم وكان لها قلعة شماء تسمى الشهباء (٨) .

(ح) سنجار : تقع في وسط برية ديار ربيعة في حُف جبل سنجار العالي (٩) . ريبتها وبين الموصل ثلاثة أيام ، وتبعد عن نصيبين ثلاثة أيام أيضا (١٠) — وقد اتخذها عماد الدين زنكي الثاني بن مودود سنة ٦٦٦ هـ

(١) الفرسخ ثلاثة أميال على وجه التقريب .

(٢) س د أ ، م ، حسينى : الادارة العربية ص ١٢٠ .

(٣) ياقوت معجم البلدان ج ٣ ص ٢٣٤

(٤) نفس المصدر ج ٣ ص ٢٨٨

(٥) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٤

(٥) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٧٤

(٦) المسالك والممالك ص ١٥٠

(٧) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٥

(٨) رحلة ابن جبير ص ٢٧٧

(٩) ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ص ٢٦٢

(١٠) رحلة ابن جبير ص ٢٢٧

(١١٧٠ م) حاضرة لآتابكية جديدة انفصلت عن آتابكيه الموصل وظلت
منسجارية على هذه الحال حتى استولى عليها الأيوبيون سنة ٥٦١٧ هـ (١٢٢٠ م) .

٢ - ديار مضر :

تحف بضفاف الفرات من سميساط إلى عانة التي يسقيها نهر البليخ - أحد
روافد نهر الفرات - الآتي من حران^(١) . ومن أشهر مدنها :

(١) الرقة : تقع على نهر الفرات ، فوق مصب نهر البليخ المنحدر من
الشمال إلى الفرات^(٢) وهي قصبة ديار مضر^(٣) .

(ب) الرها : تقع عند منابع أحد روافد البليخ ، ويدين أغلب أهلها
بالنصرانية ، ولذا كثر بها بناء الكنائس والأديرة^(٤) وقد أسس الصليبيون
فيها إمارة صليبية ، وظلوا يحكمونها حتى استولى عليها عماد الدين زنكي بن
آقسنقر سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م)^(٥) .

٣ - ديار بكر :

تقع على نهر دجلة الأعلى^(٦) ، ومن أشهر مدنها :

(١) آمد : قصبة إقليم ديار بكر ، ويطل عليها جبل مرتفع وهي حصينة
ومنيعة^(٧) ، شيدت على صخرة واحدة طولها ألفا قدم ، وعرضها كذلك ،

(١) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٣٣ .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ١٠٥ .

(٣) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ١٣٣ - ١٣٤ .

(٤) ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ٣٤ .

(٥) ابن التلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٧٩ .

(٦) لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٤٠ .

(٧) ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٦١ .

ويحيط بها نهر دجلة (١) ، استولى عليها سبتاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٩ هـ (١١٧٣ م) من ولد إينال التركماني (٢) ، وسلمها للأمير الأرتقي نور الدين محمد بن قرا أرسلان - أمير حصن كيفا - الذي أحكم هو وخلفاؤه (٣) تحصينها .

(ب) ميفارقين . بلد حصين ، يحيط به سور مبني بالحجارة ، حوله خندق (٤) . وقد حكمها بنو أرتق منذ سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) حتى سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) (٥) .

(ج) حصن كيفا : يقع على ضفة الفرات الجنوبية ، وبه قلعة حصينة (٦) ، وقد حكمها بنو أرتق بعد أن زال عنها حكم بني مروان ، وظل الأراتقة يحكمونها حتى استولى عليها الأيوبيون سنة ٦٢٩ هـ (١٢٣١) (٧) . انقسمت دول أتابكة الموصل والجزيرة إلى عدد من البلدان ، على أن هذا التقسيم لم يكن ثابتاً طوال حكم الأتابكة ، بل تعرض للتغير من وقت إلى آخر ، ذلك لأن الأتابكة دأبوا على توسيع ممتلكاتهم على حساب الدول المجاورة لهم ، ويظهر ذلك جلياً في أتابكية حصن كيفا ، فقد نقصت رقيتها في سنة ٥٢٤ هـ (١١٢٩ م) حين انتزع عماد الدين زنكي بن آقسنقر - أتابك الموصل - داراً وسرجه منها (٨) . على أن هـ ذه

(١) ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٦١ .

(٢) Ency. of Islam : Art Amid (٣)

(٣) ناصر خسرو : سفرنامه ص ٨ .

(٤) المصدر السابق : ص ٧ ، ٨ .

لستريج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٤٣ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٥ هـ .

(٦) لستريج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٤٤ .

(٧) زامباور : معجم الأنساب ج ٢ ص ٢٤٤ .

(٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٤ هـ .

الأتابكية لم تستمر على هذا الوضع ، بل انضمت إليها آمد سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م)^(١) .

ولما توفي نور الدين محمد بن قرا أرسلان - أتابك حصن كيفا - وخلفه ابنه الأكبر قطب الدين سقمان الثاني ، حاول عمه عماد الدين الاستحواذ على حكم هذه الأتابكية ، لكنه فشل^(٢) ، فقصد خرتبرت ، وانتزعها من أتابكية كيفا سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م)^(٣) وهكذا فقدت هذه الأتابكية إحدى ولاياتها الهامة .

أما عن أتابكية ماردين فقد اتسع نطاقها في عهد أميرها ايلغازي بن أرتق بانضمام حلب إليها سنة ٥١١ هـ (١١١٧ م) فضلا عن بعض الحصون والقلاع في بلاد الشام^(٤) ، كما اتسعت رقعة هذه الأتابكية سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) حين أقطع السلطان السلجوقي محمود ميافارقين لإيلغازي بن أرتق - أمير ماردين^(٥) - ولم تستمر هذه الأتابكية على هذه الحال من الاتساع ، بل فقدت في عهد أميرها - حسام الدين تمر تاش - بعض ممتلكاتها في بلاد الشام ، ومن بينها حلب ، سنة ٥١٨ هـ (١١٢٤ م) حين عجز هذا الأمير عن حمايتها من غارات الصليبيين ، فأعلن أهلها الانضمام إلى الموصل بدلا من التبعية لماردين^(٦) .

كذلك فقدت هذه الأتابكية بعض ولاياتها ، إذ انتزع عماد الدين

(١) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٢ ص ٢١٧ .
Camb Med History. Vol. 4 p. 317

(٢) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٧٣ .

(٣) ابن خلدون : المعبر وديوان المتبدأ والخبر ج ٥ ص ٢١٨ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧١ هـ

Runciman . A History of the Crusades vol. 2 pp.

(٥) ابن الفلاس : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٦

(٦) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥١٨ هـ .

كذلك فقدت هذه الأتابكية بعض ولاياتها ، إذ انتزع عماد الدين زنكي بن آقسنقر — أتابك الموصل — منها نصيبين سنة ٥٢١ هـ (١١٢٧ م)^(١) ، كما استولى على بعض البلاد والقلاع في ديار بكر سنة ٥٣٨ هـ (١١٤٣ م) . على أن هذه الأتابكية اتسعت رقعتها بانضمام البيرة إليها سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م)^(٢) ، ولما دخل أتابكة ماردين في طاعة المغول زادت ولاياتها فضم هولاكو إليها نصيبين سنة ٦٥٧ هـ (١٢٥٨ م)^(٣) وفي سنة ٦٩١ هـ — (١٢٩٢ م) ضم المغول إلى هذه الأتابكية ديار ربيعة وديار بكر^(٤) .

أما عن أتابكية الموصل ، فقد زادت ولاياتها في عهد أتابكها عماد الدين زنكي بن آقسنقر حتى أصبحت تشمل على أراض واسعة في الجزيرة وبلاد الشام^(٥) .

على أن هذه الأتابكية انكشيت بعد وفاة عماد الدين زنكي بن آقسنقر ، فاسترد مجير الدين آبق بن طغتكين — أتابك دمشق — مدينة بعلبك . أما نور الدين محمود بن زنكي فقد انتزع من هذه الأتابكية حلب وحماه وحمص^(٦) ، كما أخذ منها الرقة والرحبة والرها^(٧) .

(١) ابن واصل . مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣٥ - ٣٦ .

(٢) ابن الأثير . التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ٦٦ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ .

Runciman , A History of the Crusades. vol. 2 P. 238

(٤) قطب الدين البعلبي : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٤٥٧ - ٤٥٨ .

(٥) نفس المصدر السابق ج ١ ص ٣٢٦ .

(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٤٨ ، ٦٤ ، ٦٦ .

ابن واصل . مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣٤ .

(٧) ابن واصل ، مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١٢٠ .

(٨) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٩٨ .

كذلك انفصلت عن أتابكية الموصل بعض بلاد الجزيرة ، ومنها
ستجار سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م)^(١) ،

وكونت أتابكية مستقلة تشمل على نصيبين والخابور^(٢) . كما انفصلت
جزيرة ابن عمر عن الموصل سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) ، وكونت أتابكية
مستقلة^(٣) .

(ب) الوظائف والدواوين الادارية في دول أتابكية الموصل والجزيرة :

١ — النائب :

كان الأتابكة ينيون موظفين عنهم في إدارة شؤون أتابكياتهم
يعرفون بالنواب ومن مهام النائب الإشراف على عمارة البلاد وجباية
الأموال ، وإذا ما تعرضت الأتابكية لغزو خارجي أو ساد الاضطراب
فيها كان النائب يتأهب لإخماده ، ولم تقتصر مهمة النائب عند هذا الحد ،
بل كان يولى الأتابكة ويعزهم ، فكان نصير الدين جقر — نائب عماد
الدين زنكي بن آقسنقر في الموصل — يحكم أتابكية الموصل نيابة عن
أتابكها ، كما استعان به عماد الدين زنكي في بعض الحروب التي قام بها
في الجزيرة^(٤) .

ومن أشهر الذين شغلوا وظيفة النائب في الموصل زين الدين علي كجك
ابن بكتكين ، وقد استنابه أكثر من أتابك ، فكان نائباً لعماد الدين زنكي

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٦ هـ .

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٣) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٢٦ هـ .

(٤) ابن الفلاني : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٨١ .

ابن خلكان وفيات الأعيان ج ١ ص ٣١٩ .

ابن آقشقر، وابنيه سيف الدين غازي^(١) وقطب الدين مودود^(٢). وكان لهذا النائب دور كبير في تولية سيف الدين غازي بن زنكي أتابكية الموصل^(٣)، كما عمل على توطيد سلطان قطب الدين مودود بن زنكي^(٤)، وقد كافاه الأتابكة الذين اتخذوه نائباً لهم بأن منحوه بعض الإقطاعات من بينها اربل سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م)^(٥).

ازداد نفوذ بعض النواب، وعلت سلطاتهم على سلطة الأتابكة فأسند النائب ثغر الدين، إلى سيف الدين غازي بن مودود ولاية الموصل بدلا من أخيه عماد الدين — الذي كان مرشحاً للولاية بعد وفاة أبيه^(٦). وقد استنجد عماد الدين وبعض أمراء الموصل بنور الدين محمود، ليخلصهم من استبداد هذا النائب^(٧)، فسار نور الدين إلى الموصل، وعزله عنها^(٨).

وكان يسند إلى النائب أحياناً النيابة في عدة أتابكيات، فتولى بجاهد الدين قياز النيابة في أتابكيات الموصل واربيل وجزيرة ابن عمر^(٩). وبلغ من ثقة سيف الدين غازي الثاني بن مودود — أتابك الموصل — به أن ود إليه أزمة الأمور في الحل والعقد، والرفع والخفض^(١٠)، ولما حاول

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ.

(٢) كثرت العمارة في الموصل خلال حكم زين الدين لها، فبنى المدارس والأربطة، كما نشر العدل في الرعية.

(٣) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٧٣.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٤٤ هـ.

(٥) ابن واصل، مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١١٧.

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٣ هـ.

(٧) ابن واصل: مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ١٩٢.

(٨) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٩) ابن الأثير، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٥ هـ.

(١٠) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين.

(١١) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٧٧.

ابن خلكان: وفيات الأعيان.

مظفر الدين كوكبوري — أتابك أربل — استعادة نفوذه في أتابكيته عزله مجاهد الدين قياز^(١)، وولى مكانه أخاه زين الدين^(٢). كما ساعد عز الدين مسعود بن مودود على تولي أتابكية الموصل سنة ٥٧٦ هـ — (١١٨٠ م)^(٣) وأزال العقبات التي اعترضت تولية نور الدين أرسلان شاه بن مسعود أتابكية الموصل سنة ٥٨٩ هـ (١١٩٣ م)^(٤). وقد عين مجاهد الدين تيمار على إدخال كثير من الإصلاحات في الأتابكيات التي ولى فيها وظيفة النائب فبنى المدارس والأربطة والمساجد والمارستانات^(٥)، وضبط الأمور في هذه الأتابكيات حتى أن عز الدين مسعود — أتابك الموصل — عجز عن إدارة أتابكيته عندما قبض على مجاهد الدين قياز سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م) فعمد إلى إطلاق سراحه، وإعادته إلى عمله^(٦).

ومن بين من ولى وظيفة النائب : بدر الدين لؤلؤ، فقد أسند إليه أمير الموصل نور الدين أرسلان شاه الأول بن مسعود الإشراف على جميع شؤون أتابكية الموصل المدنية والعسكرية^(٧) كما عهد إليه بتربية ابنه وولى عهده عز الدين مسعود الثاني. ولما توفي نور الدين أرسلان شاه الأول أقام بدر الدين مسعود الثاني أميراً على الموصل، كما ولى بعد وفاة هذا الأمير سنة ٦١٥ هـ (١٢١٩ م)، نور الدين أرسلان شاه الثاني حكم هذه الإمارة^(٨). وبلغ من علو منزلة بدر الدين لؤلؤ أن الخليفة العباسي

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٣٥ .

زامباور : معجم الأنساب ج ٢ ص ٣٤٤

(٢) ابن خلصان . وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٧٣

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٧٦ هـ

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٨٩ - ١٩٠

(٥) أبو شامة . الروضتين في أخبار الدولتين ج ٢ ص ١١١

(٦) ابن الأثير . التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٨٤

(٧) أبو الفدا . المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٢٠

(٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦١٥

الناصر لدين الله عهد إليه بأن يتولى أمور الموصل نيابة عن أميرها نور الدين أرسلان شاه الثاني (١). ولما توفي هذا الأمير سنة ٦١٦ هـ (١٢٢٠ م) ولي بدر الدين لؤلؤ ناصر الدين محمود الموصل (٢). ثم انفرد بدر الدين بحكم الموصل بعد وفاة ناصر الدين سنة ٦٣١ هـ (١٢٣٣ م) (٣). وهكذا استطاع هذا النائب أن يصبح أتابكا على الموصل.

كذلك ولي وظيفة النائب في أتابكية سنجار ، مجاهد الدين ير نقش وكان ديناً خيراً ، غير أنه كان شديد التعصب ضد المذهب الشافعي ، فأقام مدرسة للحنفية بسنجار ، وشرط أن يكون المنظر في أوقافها إلى الحنفيين من أولاده دون الشافعيين (٤).

٢ — الوزير :

لم تكن وظيفة الوزير ذات صبغة سياسية كما هو الحال في الدولة العباسية ، إنما اقتصر عمل الوزير على الإشراف على دواوين الأتابكية ، فضلاً عن معاونته النائب في إدارة شؤونها وتدعيم سلطة الأتابكية في داخل حدود إماراتهم ومن أبرز وزراء الموصل ، جمال الدين محمد بن علي الأصفهاني الذي ولي الوزارة لعبد الدين زنكي بن آقسنقر وسيف الدين غازي بن زنكي ، وقطب الدين مودود بن زنكي وعرف باهتمامه بإنشاء المدارس والمساجد والمارستانات (٥) في الموصل ، غير أنه اتهم في أواخر أيامه باستيلائه على أموال الأتابكية ، فأقصى عن منصبه (٦).

(١) ابن خلدون . العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٦٩

(٢) ابن العبري . تاريخ مختصر الدول ص ٤٣٥

(٣) رشيد الدين فضل الله . تاريخ الخوارج ج ١ ص ٣١٢

(٤) ابن الأثير . التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٩١

(٥) ابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٢٩

(٦) ابن خلدون ، وفيات الأعيان ج ٣ ص ١٢٢

ومن أشهر وزراء أتابكية اربل شرف الدين أبو اسحاق إبراهيم ،
ولى الوزارة سنة ٦٢٣ هـ (١٢٢٦ م) وما يجدر ذكره أنه إذا ما حضر إلى
الديوان أنشده أحد الحراس بقوله :

فرحنا وقلنا تولى الوزير وأفلح ديواننا بالوزارة (١) .

وكان ابن نيسان — وزير صاحب آمد — مستبداً بالسلطة في هذا
البلد ، وليس لأتابكها معه سوى الاسم فقط ، ولما اتجه صلاح الدين
الأيوبى إلى آمد سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) لم يقاوم أهلها القوات الأيوبية
لأنهم نفروا من وزيرهم ابن نيسان الذى أساء السيرة فيهم ، بل يسروا
لقوات بنى أيوب أمر الاستيلاء على آمد (٢) .

كذلك زاد نفوذ نظام الدين البقش — وزير ماردین — على نفوذ
أتابكها بولق أرسلان بن ايلغازى الثانى . ولما توفى هذا الأتابك سنة
٥٩٧ هـ (١٢٠٠ م) أقام البقش أخاه الأصغر ناصر الدين أرتق أرسلان
أميراً على ماردین (٣) ، ولم يكن لهذا الأمير من الأمر شيء ، إنما الحكم
ظل لوزيره نظام الدين البقش . غير أن أتابك ماردین لم يبقه سلوب
السلطة ، بل عول على استعادة نفوذه ، فاتهز فرصة مرض وزيره
سنة ٦٠٦ هـ (١٢٠٤ م) وتخلص منه . وبذلك آل إليه أمر أتابكية
ماردین (٤) .

٣ — الشحنة :

استحدثت السلاجقة هذه الوظيفة ، ومن مهام صاحبها حفظ الأمن
والنظام في البلدة أو المدينة التي يلى فيها هذه الوظيفة ، فهو محافظ المدينة

(١) قطب الدين البعلبكي في ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ١١٢

(٢) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ

(٣) سبط ابن الجوزى ، مرآة الزمان ، القسم الثانى ج ١ ص ١٨٨

(٤) أبو الفدا ، المختصر في تاريخ البشر ج ٣ ص ٧٢

أو الأمير المشرف على حراستها^(١). ويذكر ابن خلدون^(٢) أن سبب إنشاء هذه الوظيفة هو كثرة الفتن في المدن العراقية. ولم يستطع السلاجقة القضاء عليها، فاتخذوا الشحنة لحسم ما خف من العلل. كما اكتفى الشحنة بالدفاع عن المدن التي يتولون العمل فيها من الأخطار الخارجية، فلما اتجه نور الدين محمود إلى سنجار لانتزاعها من أخيه قطب الدين مودود سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) وبلغ ما كسب من خراج شحنتها للدفاع عنها^(٣).

كان الأتابكة يستعينون أحياناً بالشحنة في فتح بعض البلاد القريبة التي لا تحتاج إلى جهد كبير^(٤). وقد يلي الشحنة حكم بعض الولايات إذا تجلّت كفاءته، فكان ابلاغازي بن أرتق شحنة بغداد قبل أن يلي حكم ماردين^(٥)، كما أن الشحنة يلي أحياناً بعض الولايات بالإضافة إلى عمله فقد عين السلطان السلجوقي محمود، عماد الدين زنكي بن آقسنقر شحنة بغداد والياً على الموصل^(٦) - ثم ولاء شحنة العراق كله بالإضافة إلى حكم بعض الولايات^(٧). وكان الأتابكة يحرصون على تولية رجال عرفوا بالعدل والإنصاف في هذه الوظيفة، ولا يسمحون لهم بإلحاق الضرر والأذى

(١) المقرئى: السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١ ص ٣٥ - ٣٦

(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٣ ص ٤٧٧

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٣ هـ

(٤) استعان عماد الدين زنكي بن آقسنقر سنة ٥٢٢ هـ (١١٢٨ م) بالشحن في فتح الحابور. كذلك استرد سيف الدين غازي الثاني بن مودود بمعاونة الشحنة سنة ٥٦٩ هـ (١١٧٣ م) الحابور.

ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٣٧

ابن واصل: مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣٠

ابن الأثير: الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٦٩ هـ

(٥) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٤٧٠

Ency. of Islam: Art Ortokids

(٦) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٥ ص ٢٧٢

(٧) ابن واصل: مفرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ١ ص ٣١

بالأهلين ، فلما توجه ايلغازى بن أرتق — أمير ماردين وحلب — إلى حلب سنة ٥١٥ هـ (١١٢١ م) للقضاء على ثورة ابنه سليمان ، شكوا الناس إليه من إيذاء الشحنة لهم ، فعزله^(١) .

٤ — الوالى :

كانت دول أتابكة الموصل والجزيرة تتألف من ولايات يلى كل منها وال . ويختص الوالى بالإشراف على شؤون الولاية . وكان الوالى إذا ما أظهر مقدرة وكفاية يتدرج فى الترقى حتى يصل إلى أرفع وظائف الأتابكية ، فوالى الرها زين الدين على كجك لما أحسن السيرة فيها ولاه عماد الدين زنكى بن آقسنقر نائباً له فى دولته كلها سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م)^(٢) كما أن جمال الدين محمد بن على الأصفهاني — والى نصيبين — لما ظهرت كفأته ، أضاف عماد الدين زنكى بن آقسنقر إليه ولاية الرحبة ، ثم اتخذه وزيراً له^(٣) . وكان مجاهد الدين قياز والياً على أربل قبل أن يلى وخليفة النائب فى أتابكية الموصل سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ م)^(٤) . ولم تقتصر مهمة الوالى على إدارة شؤون ولايته ، بل كان عليه أن يدرا عنها الأخطار الخارجية ، ولذلك حرص الولاة على تحصين قلاع ولاياتهم وحشدوا بالجنود .

انحصرت الأعمال الإدارية فى دول أتابكة الموصل والجزيرة فى الدواوين الآتية :

-
- (١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٣١
ابن المديم : زبدة الحلب فى تاريخ حلب ج ٢ ص ٢٠٢
(٢) ابن الأثير . السكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥٣٩ هـ
(٣) ابن خلصان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٧٧
(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ١٧٧

(١) ديوان الرسائل :

ويسمى أيضاً بديوان الإنشاء ، ويعرف رئيسه بكاتب الرسائل أو كاتب الإنشاء^(١) ، وكان للأتابك كاتب ، ولنائبه كاتب ، ويشترط في كاتب الرسائل أن يكون قد تمارس في الكتابة^(٢) ، ويختص كاتب الرسائل بإذاعة المراسم ، وتحرير الرسائل وختمها^(٣) .

ومن أشهر كتّاب الرسائل في الموصل في العصر الأتابكي مجد الدين أبو السعادات - أخو المؤرخ عز الدين بن الأثير^(٤) - كان مجد الدين كاتب الإنشاء لمجاهد الدين قماز - نائب عز الدين مسعود - أتابك الموصل - ولما ظهرت كفاءته ولاه الأتابك عز الدين مسعود ديوان رسائله ، كما قام بهذا العمل لنور الدين أرسلان شاه بن مسعود - أتابك الموصل^(٥) - وولي ضياء الدين بن الأثير ديوان الرسائل لناصر الدين محمود بن مسعود - أتابك الموصل - سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) وظل يلى هذا الديوان في عهد بدر الدين لؤلؤ^(٦) .

ومن بين من ولي ديوان الإنشاء في أتابكية أربل مجد الدين الشيباني في عهد مظفر الدين كوكبوري ، وبلغ من علو منزلته أن لقبه بالريس . غير أن مظفر الدين نقم عليه واعتقله سنة ٦٢٩ هـ^(٧) (١٢٣١ م) ، ومن أشهر من ولي ديوان الإنشاء في أتابكية ماردين ، الشاعر علي بن يوسف بن عامر ،

(١) ابن الساعي : الجامع المختصر (مقدمة الدكتور مصطفى جواد)

(٢) الحسن بن عبد الله : آثار الأول في تريب الدول ص ٢٨ - ٢٩

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ١ ص ٤٦ - ٤٧

القلشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ج ١ ص ٤٣ - ٤٤

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٥٥٧

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٩

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٠٨

(٧) قطب الدين البعلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ١١٣

وذلك في عهد أميرها ناصر الدين بن أرتق^(١) . وقد لقي ديوان الانشاء من وزير الموصل جمال الدين الأصفهاني عناية كبيرة وفي ذلك يقول ابن الأثير^(٢) : « وضع للناس في كتابة الانشاء وضعاً لم يعرفوه ، وشرع لهم شرعاً استحسنوه وبذل بذلاً استعظموه » .

(ب) ديوان الجيش :

وله مجلسان ، أحدهما يتولى أمر استحقاقات الجند ، وتقدير أرزاقهم ويختص الثاني بالنظر في السجلات التي تدون فيها أسماء الجند ، وحفظها في أماكن خاصة بها^(٣) ، وما يجدر ذكره أن جند عماد الدين زنكي بن آقسنقر كانوا يتقاضون رواتبهم من ديوان الجيش كل ثلاثة شهور بانتظام ، وبلغ من حرصه على عدم تأخر رواتب جنده عن موعدها ، أن الديوان لما أخر رواتب الجند وشكوا إليه ، ذهب إلى الديوان وحذر موظفيه من هذا العمل بقوله : « إذا كنتم تهملون أمر جندي الذين تحت ركابي ، ومن هو ملازمي في سفرى وإقامتي وبهم من الحاجة إلى النفقات في أسفارهم ما تعلمونه ، فكيف يكون حال من بعد عني ، فانتظم ديوان الجيش بعد ذلك في صرف رواتب الجند في موعدها المحدد^(٤) .

(ج) ديوان البريد :

كانت مهمة صاحب ديوان البريد موافاة الأتابك بكافة الأخبار والحوادث التي تصل إليه من أعوانه المنتشرين في أنحاء الأتابكية .

(١) قطب الدين البعلبكي : ذيل مرآة الزمان ج ١ ص ٢٧

(٢) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٧٧

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٣

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٣

اعتمد الأتابكة على البريد في إدارة شؤون أتابكياتهم ، فكان عماد الدين زنكي بن آقسنقر شديد العناية بأخبار الأطراف ، وما يجري لأصحابها وأخبار السلطان السلجوقي ، وينفق على ذلك أموالا كثيرة ، وكان يطالع ويكتب إليه بكل ما يفعله السلطان في ليله ونهاره من حرب وسلم وذلك عن طريق عيونه الذين كانوا يصلون إليه كل يوم^(١) .

لم يأل الأتابكة جهدا في سبيل تحسين أحوال البريد ، فاستخدموا الحمام الزاجل في نقل البريد وقد عنوا عناية كبيرة بتربية هذا الطائر وتدريبه . ويقول القلقشندي^(٢) : أن البلاد الشامية والمصرية أخذوا الحمام الزاجل من الموصل وأن أول ما نقله من الموصل من الملوك ، نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) . وكانت تصل الأتابكية عن طريق الحمام الزاجل أخبار البلاد البعيدة فيقفون على ما يجري في مملكتهم الواسعة ، كما استعانوا به في نقل رسائلهم أثناء حروبهم . وكانت أبراج الحمام الزاجل منتشرة في جميع أنحاء البلاد الجزرية^(٣) ، وترجع أهمية الحمام الزاجل إلى سرعته فكان يطير لمدة ثلاث عشرة ساعة بدون انقطاع بسرعة كيلو متر في الدقيقة ، وينقل الرسائل ، ويعود إلى وطنه مهما بعدت المسافة^(٤) .

حرص الأتابكة على إدارة دواوينهم على خير وجه حتى أن الدواوين الإدارية في عهد عماد الدين زنكي بن آقسنقر ، كانت تضاهي دواوين سلاطين السلاجقة لكثرة أعمالها وسيرها بسرعة ودقة^(٥) ، فضلا عن

(١) المصدر السابق ص ٧٧

(٢) صبح الأعشى في صناعة الانشا ج ١٤ ص ٣٦٧

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الانشا ج ١٤ ص ٣٨٩

(٤) الموسوعة العربية الميسرة ص ٧٢٥

Encyc. of Islam : Art Hamam.

(٥) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٣

تنظيمها الإداري ، فكانت الشكاوى ترفع أولاً إلى الديوان المختص ، فإذا لم يحقق الديوان الشكاوى ، يرجع صاحبها إلى أمير حاجب ، فإذا لم ينظر فيها ، يرجع صاحب الشكاوى^(١) إليه ، ولضمان سير الدواوين الإدارية سيراً حسناً ، أحسن عماد الدين زنكي اختيار موظفيها وكان لا يرفع أحداً منهم فوق القدر الذي يستحقه ، ولا يضعه دونه^(٢) ، ويوسع عليهم في أرزاقهم ولا يتغير على أحد منهم إلا بذنوب عظيم يوجب التغيير^(٣) .

كذلك سار قطب الدين مودود بن زنكي - أتابك الموصل - على سياسة أبيه في اختيار موظفيه من بين ذوي الكفاية ، الأمر الذي جعل إدارة أتابكيتته تسير سيراً حسناً . وكان ينهى عماله عن أخذ أموال من الرعية بغير وجه حق ، ويقول : إن أحداً أخذ من أموال رعيتي ديناراً واحداً صلبته^(٤) .

٢ - الإدارة المالية

(١) موارد دول أتابكة الموصل والجزيرة ومصارفها :

من أهم الموارد المالية الثابتة لدول أتابكة الموصل والجزيرة ، الجزية والخراج والمكوس .

١ - الجزية :

كانت للجزية دواوين في دول أتابكة الموصل والجزيرة ويصرف

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٨٣

(٢) ابن واصل . مفرج المكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ١٠٦ .

(٣) نفس المصدر ج ١ ص ١٥٥ .

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٤٩

ديوان الجزية في هذه الدول بديوان الجوالي (١) . ويقوم صاحبه بالنظر في أمور الجباية من أهل الذمة وكان يرد إلى هذا الديوان ، أموال وافرة بسبب كثرة أهل الذمة في بلاد الأتابكة مثل الرها (٢) ، وحر تبرت وقرى الموصل (٣) .

لم يلتزم بعض الأتابكة بأخذ الجزية من أهل الذمة وفقا للقواعد التي قررها الفقهاء (٤) ، إنما رفعوا من قدرها ، فأتاك الموصل عماد الدين زنكي بن آقسنقر وخليفته في حكم الموصل ، سيف الدين غازي الأول ، وقطب الدين مودود كانوا يأخذون من أهل الذمة جزية تزيد على القدر الذي حدده الشرع ، ولما فتح نور الدين محمود بلاد الجزيرة سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) أمر بإعادة الجزية إلى القدر الذي أجازها الفقهاء (٥) . على أن سيف الدين غازي الثاني بن مودود — أتابك الموصل — رفع الجزية عن أهل الذمة بعد وفاة نور الدين محمود (٦) .

الخراج :

تعددت طرق جباية الخراج في دول أتابكة الموصل والجزيرة ومن أهمها :

- (١) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة من ١٤٥ - ١٤٦
- (٢) ابن قاضي شعبة السكواكب الدرية في السيرة النورية ورقة ٦٢
- (٣) رحلة ابن جبير ص ٢٢٥
- (٤) نهر الفقهاء أن تكون الجزية على قدر الطاقة ، ولذلك قسم أهل الذمة إلى ثلاث طبقات ، تدفع الطبقة العليا منهم أربعة دنانير ، والطبقة الوسطى دينارين ، والطبقة الدنيا ديناراً .
- (٥) جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ص ١٠٩
- (٥) سبط ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٢٧٠
- (٦) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ١ ص ٤

(أ) جباية الخراج ويتم بواسطة حامل الخراج ، فكان الأتابك يعينه ويخضع لسلطانه المباشر ويختص بجباية الخراج ، والاتفاق على عمارة الولاية ، ومنح رواتب الموظفين ، وإرسال ما تبقى إلى الخزانه الرئيسية في حاضرة الأتابكية . ومن بين من ولي هذه الوظيفة في أتابكية الموصل ابن الأثير^(١) — والدالمؤرخ عز الدين — وكان حامل خراج جزيرة ابن عمر — وما يجدر ذكره أنه شكا إلى الأتابك قطب الدين مودود من تدخل الوالي في عمله فاستجاب لشكواه ، ونهى والي جزيرة ابن عمر عن التدخل في أمر جباية الخراج .

كان الخراج يجبي أحيانا على وحدة المساحة في الأرض الزراعية سواء أستغلها أصحابها للزراعة أو لم يستغلوها وأحيانا يجبي على وحدة المساحة في الأرض التي تزرع فعلا وأحيانا يؤخذ بنسب معينة من المحصول .

كان جباية الخراج في بلاد الموصل والجزيرة يلجأون إلى وسائل العنف في جبايته^(٢) ، مما حمل الفلاحين على رفع شكاياتهم إلى الأتابكة ، فإذا كان الخراج يؤخذ على الأرض الزراعية يضطر الزارع إلى دفع ضريبة على ما يملكه من أراض على الرغم من أن جزءا من هذه الأراضى قد يكون غير مزروع ، ويذكر عز الدين بن الأثير أن فخر الدين — نائب الموصل في عهد قطب الدين مودود — أمر والده — حامل الخراج في جزيرة ابن عمر بأخذ الخراج في قرية العقيمة على جميع أراضيتها الزراعية سواء التي تزرع فعلا أو التي لا تزرع ، ولما شرع ابن الأثير في

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٤٨

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٤٨

(٣) المصدر السابق

تنفيذ ما أمر به ، رفع أهل العقينة شكواهم إلى أتابك الموصل ، فأمر ابن الأثير بأن يأخذ الخراج من الأرض المزروعة فقط^(١) .

أما عن مقدار جباية الخراج ، فكان يختلف من أتابكية إلى أخرى ففي أتابكية ماردين كان الفلاحون يؤدون العشر عما تنتجه الأرض ، وفي أتابكية الموصل كانت ضريبة الخراج تزيد عن العشر ، لذلك هرب بعض الفلاحين من الموصل إلى ماردين^(٢) .

(ب) الجباية بطريق الضمان :

شاع نظام الضمان في جباية الخراج في دول أتابكة الموصل والجزيرة . فكان على الضامن للمدينة أو الولاية أن يقدم للحكومة مبلغاً معيناً من المال ، سبق أن اتفق مع الحكومة عليه ، وإذا ما أخل الضامن بالتزاماته كأن يعجز عن دفع المال المتفق عليه ، فإن الحكومة كانت تفرض عليه عقوبات ، فعزل عماد الدين زنكي بن آقسنقر أحد عماله سنة ٥٣١ هـ (١١٣٦ م) بسبب ما انكسر عليه من جملة ضمانه ، وعجز عن تسديده^(٣) . وقد ألحق الضمان ضرراً كبيراً بأهل الخراج من المزارعين وبالأرض ، لأن الضامن كان يلجأ في بعض الأحيان إلى استخدام العنف للحصول على المال المحدد بالضمان ، ليسلمه إلى الحكومة فضلاً عن الربح الذي يجنيه لنفسه . وقد لاحظ نور الدين محمود بن زنكي ذلك ، حين فتح الموصل سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) فأزال عن أهلها الظلم الذي لحق بهم من الضامنين^(٤) . ويذكر الفارقي^(٥) أن عميد الدولة بن نحر الدولة بن جبير ضمن لنظام الملك

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٤٧ - ١٤٨

(٢) نفس المصدر ص ٧٩

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٢٠٤

(٤) المصدر السابق .

(٥) تاريخ الفارقي ص ٢٢٤ .

ديار بكر ثلاث سنين بألف ألف دينار، ولم يكن عميد الدولة يكتفى بجميع الضرائب المقررة على ديار بكر، بل كان يفرض ضرائب أخرى على البساتين المحيطة بها، وعلى ما تنتجه المزارع من الخضر والبقول والفاكهة. مما حمل أهالي ديار بكر على رفع شكواهم إلى السلطان السلجوقي، فأسقط عنهم هذه الضرائب وظل الضامنون في ديار بكر في عهد بني أرتق لا يفرضون على الأهليين ضرائب إضافية^(١).

(هـ) الجباية عن طريق الإقطاع :

كان الإقطاع المدني والإقطاع العسكري يسودان دول الأتابكة، ففي هذه الدول كان يمنح الموظفون أقطاعات مدنية بدلا من الرواتب^(٢). كما كان يمنح فراد الأتابكة وجندهم أقطاعات عسكرية، وقد انتقل هذا النظام إلى أتابكة الموصل والجزيرة من السلاجقة^(٣)، فقد اتخذت الدولة السلجوقية من نظام الإقطاع ركناً أساسياً من أركان سياستها المالية والعسكرية حين أمر الوزير نظام الملك بتوزيع الأراضي على شكل أقطاعات على الجند، لأنه رأى أن تسليم الأراضي إلى المقطعين يضمن عمارتها لعناية مقطعيها بأمرها^(٤).

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٢٢٥

(٢) منح أتابكة الموصل زين الدين علي كجك - النائب في الموصل - أقطاعات تتكون من سنجار وحران وقلام العسكرية جميعها وتسكريت وأربل، ومنح عماد الدين زنكي بن آقسنقر، صلاح الدين الياغيساني أمير حاجب مدينة حماة على سبيل الإقطاع.

(٣) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ١٣٥، ٨٥

(٤) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٥ ص ٢٧٩

(٤) يمل العماد الأسفهانى أسباب اتحاد نظام الملك لهذا القرار بقوله أن الملك قد أختل نظامه، والدين قد تبدلت أحكامه في أواخر دولة الديلم وأوائل دولة السلاجقة، وقد خربت الممالك بين القبائل هذه وأديار تلك، ولم يكن لأحد من قبل الإقطاع، فرأى نظام الملك أن الأموال لا تحصل في البلاد، لاختلافها، ولا يصح منها لدفع، ففرق على الأجناد =

على أن الاقطاعيين اعتبروا الاقطاعات التي منحت لهم ملكاً وراثياً^(١)، فترتب على ذلك انتشار الظلم والفساد . وكان المقطع يتعهد بأن يقدم للحكومة مبلغاً معيناً من المال ، وأن يحارب هو وجنده تحت لواء الأتابك كما كان مسؤولاً عن تموين جنده بالمؤن والمعدات^(٢) .

كان الاقطاع في هذه الفترة نوعين : اقطاع تمليك ، أى من حق المقطع توريث اقطاعه لورثته والاستمرار في اقطاعه ، ما دام المقطع راضياً عنه . وكان عماد الدين زنكى بن آقسنقر — أتابك الموصل — أقوى الاقطاعيين في عصره ، إذ شملت دولته البلاد الواقعة بين حلب والموصل^(٣) .

والنوع الثانى من الاقطاع ، اقطاع استغلال لا تمليك ، وكان عماد الدين زنكى بن آقسنقر ينهى أصحابه عن اقتناء الأملاك ، ويقول : « مهما البلاد لنا ، فأى حاجة بكم إلى الأملاك ، فإن الاقطاعات تعنى عنها ، وإن خرجت البلاد عن أيدينا ، فإن الأملاك تذهب معها ومتى صارت الأملاك لأصحاب السلطان ظلموا الرعية ، وتعدوا عليهم وأغضبوهم^(٤) .

== اقطاعاً ، وجعلها لهم حصلاً وارتفاعاً ، فتوافرت دواعيهم على عمارتها ، وعادت في أقصر مدة إلى أحسن حال من حيثها » أخبار دولة سلجوق ص ٥٥ .

(١) حين أمين : تاريخ الدولة السلجوقية ص ٢٠٧

(٢) كان عماد الدين زنكى يقطع كبار قواده أثناء حروبه ، ويستعين بكل قوة تخدم غرضه ، فلما وفد عليه نجم الدين أيوب وأسد الدين شيركوه أقطعهما ، فأخذ نجم الدين شهر زور ، وأخذ أسد الدين الموصل . كذلك أقطع عدداً من المدن لزين الدين على كعبك . (أبو شامة : الروضتين في أخبار الدولتين ج ١ ص ١١٢)

ابن واصل : مفرج الكروب في ذكر دولة بنى أيوب ج ١ ص ١٥٤

(١) ضبط ابن الجوزى : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ١٩٠ .

٣ — المكوس

ومن الضرائب التي فرضها أتابكة الموصل والجزيرة على التجار المكوس ، وقد أنشئت لها دور في أماكن مختلفة من بلاد الجزيرة وخاصة على ضفاف الأنهار ، وكانت السفن تمنع من المرور ما لم تدفع الضريبة المقررة إلى العشار . ومن مهام العشار تنظيم التجارة الداخلية ، ومكافحة التهريب . وقد أشتط بعض العشارين في جمع ضريبة المكوس ، فكانوا يأخذون من التجار أكثر من الضريبة المقررة ، ومن بين هؤلاء العشارين ، ابن الهاروني وقد شكاه التجار إلى عماد الدين زنكي بن آقسنقر — أتابك الموصل — فعزل^(١) . ولما فتح نور الدين محمود بن زنكي الموصل وغيرها من البلاد الجزرية سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) خفف عن أهلها عبء إضريه المكوس^(٢) ، ولكن سيف الدين غازي الثاني بن مودود ، أعاد المكوس إلى ما كانت عليه بعد أن ولي الموصل^(٣) كذلك أمر نور الدين أرسلان شاه الأول بن مسعود جبابة الضرائب ألا يأخذوا من التجار أكثر من الضرائب المستحقة ، وكان أحد التجار قد شكاه إليه من أن ضامن المكوس ، يفرض عليهم أكثر من الضرائب المقررة^(٤) .

هناك ضرائب أخرى فرضت في بلاد الموصل والجزيرة في العصر الأتابكي نذكر من بينها « غلة دار الضرب » وهي ما كان يخصص لبيت المال في دار

(١) ابن الجوزي : المتظيم في تاريخ الملوك والأمم ج ١٠ ص ٢٧٠

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الأول ج ٨ ص ٢٠٤

(٣) نفس المصدر القسم الأول ج ٨ ص ٢٢٥

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٦٠٧ هـ

ضرب النقود ، ونسبتها واحد في المائة مما يضرب من هذه النقود ، (١)
وكانت هذه النسبة تختلف من بلد إلى آخر ، ومن وقت إلى آخر (٢) .

كما فرضت ضرائب المؤن في ذلك العصر ، وقد فسرها ابن الفوطي (٣)
بأنها ضريبة إضافية يأخذها مستوفو الضرائب من التجار من
سائر الأجناس والأماكن ، وقد ألغيت هذه الضريبة من مياقارقين
سنة ٥٠٢ هـ (٤) .

كذلك فرضت ضريبة على المنسوجات التي راجت صناعتها في الموصل
في العصر الأتابكي (٥) ، كما فرضت على الدور والخوانيت في أتابكيات
الموصل والجزيرة تسمى العقار (٦) ، أما المعادن التي كانت تستخرج من
بعض بلاد الجزيرة فكان عليها ضريبة تقدر بالخمس (٧) .

على أن نور الدين محمود بن زنكي خفف عبء الضرائب عن أهل
الجزيرة ، فلما فتح هذه البلاد سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) ألغى الضرائب
الاضافية ولم يبق الا على الجزيرة والخراج والمكوس (٨) وكتب منشورا

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ١٠ ص ٦١ — ٦٢

(٢) ابن الفلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٧٥

(٣) الحوادث الجامعة ص ١٦٢

(٤) تاريخ الفارق ص ٢٢٥

(٥) جعفر حضاك : العراق في العصر المنولي ص ١٠٩

(٦) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ج ٥ ص ٨٥

(٧) اشتهرت بعض مدن بلاد الجزيرة بكثرة ما يستخرج منها من النحاس
والحديد .

(٨) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية ص ٦٦

(٩) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الاميان القسم الاول ج ٨ ص ٣١٢

بذلك جاء فيه : وقد علمتم معاشر الرعايا ما كان مرتباً من المظالم
المجحفة بأحوالكم ، والمكوس المستولية على شطر أموالكم ، والرسوم
المضيقية عليكم في أرزاقكم ، والمؤن التي تساهمكم في منافع أملاككم . . .
وقد بقي من رسوم الظلم ومعالم الجور في سائر الأعمال بولايتنا
ما أمرنا بإزالته الآن ، وأضفنا ذلك إلى ما كنا أسقطناه
أولاً . . . (١) .

تعد المصادر في بلاد الموصل والجزيرة في العصر الأتابكي موارد
مالياً لكثرة المصادر ، فصادر عماد الدين زنكي بن آقسنقر أموال نانية
نصير الدين جقر بعد وفاته سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) ، وصادر أموال
وذخائر أدله وأقاربه وعماله (٢) ، كما صادر عماد الدين زنكي أموال وزيره
أبي المحاسن علي بن أبي طالب بعد عزله (٣) .

كانت الأموال التي تأتي من الموارد السابق ذكرها تنفق على مصالح
دول الأتابكة في الوجوه الآتية :

١ — رواتب موظفي الأتابكيات على اختلاف مراتبهم وبما يجدر ذكره
أن بعض كبار رجال دول الأتابكة كانوا يتقاضون مرتبات كبيرة فقد رفع
عماد الدين زنكي بن آقسنقر رواتب موظفيه ، حتى صار لوزيره جمال الدين
محمد بن علي الأصفهاني عشر دخل أتابكية الموصل ، كما أن قطب الدين
مودود بن زنكي — أتابك الموصل — سار على سياسة أبيه في تحسين

(١) ابن واصل : منرج الكروب في ذكر دولة بني أيوب ج ٢ ص ٢٧٤ — ٢٧٥

(٢) ابن الأثير : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٣

(٣) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٦٣

رواتب موظفيه ، وكان يقول : إذا لم يظهر احسانى على من يخدمنى ، من الذى يحسن إليهم^(١) .

٢ — أعطيات الجند :

كان بعض الأتابكة يمنحون جندهم أحياناً اقطاعات عرضاً عن المرتبات أما الجند الذين ليس لهم إقطاع ، فيتقاضون رواتبهم من ديوان الجيش ، وكان عماد الدين زنكى بن آقسنقر يمنح جنده رواتبهم كل ثلاثة شهور^(٢) أما جند التركمان فى ديار بكر ، فكانوا لا يتقاضون أجوراً ، إنما يذهبون إلى ميدان القتال مجهزين أنفسهم بالأسلحة والمؤونة اللازمة ، ويأخذون أجورهم من الغنائم التى يحصلون عليها من ميدان القتال^(٣) .

٣ — الإتفاق على مرافق البلاد ، وأقامة الجسور ، وإنشاء القناطر وقد أهتم بعض وزراء الأتابكة بهذه المرافق كالوزير جمال الدين الأصفهاني الذى أقام فى بلاد الموصل الكثير من الجسور والقناطر^(٤) ، وكذلك فعل مجاهد الدين قيمان — النائب فى اتابكية الموصل^(٥) .

٤ — إنفاقات الحروب :

كان الأتابكة ينفقون الكثير من الأموال فى إعداد جيوشهم وتجهيزها بالأسلحة وغيرها من العتاد الحربى ، وكذلك فى بناء الحصون والقلاع . كان مظفر الدين كوكبورى — أتابك إربل — يقسم موارد بلاده ثلاثة أقسام ، قسم فى أبواب البر ، وقسم ينفقه على أعطيات الجند ،

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية من ١٢٠٠

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية من ٨٣

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٩٤ هـ

(٤) ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية من ١٢٩

(٥) نفس المصدر من ١٢٩٤ هـ

وتجهيزهم بالمؤن والأسلحة ، وقسم يدخره لعدو يقصده (١) .

كان بكل دولة من دول أتابكة الموصل والجزيرة بيت للمال يعرف بالمخزن ، وله فرع في سائر ولايات الأتابكية ، وينقسم المخزن إلى قسمين ، يشرف أحدهما على النفقات ، ويرسل ما تبقى إلى المخزن الرئيسي في حاضرة الأتابكية ، ويشرف الثاني على الموارد .

وما يجدر ذكره أن عماد الدين زنكي بن آقسنقر كانت أمواله في عدد من مخازن الموصل وسنجار وحلب وغيرها حتى يضمن وجود احتياطي من المال تحت تصرفه ، إذا ما تعرضت بلاده للغزو (٢) . وكان قطب الدين مودود بن زنكي يدخل إلى المخزن في بعض الأوقات ليتابع سير إدارته ، ولا يخرج منه إلا وقد أراضى العاملين فيه بالصلوات والمنح (٣) .

وقد زادت أموال أتابكية الموصل بعد أن قصدها سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٧ م) وعقد صلحاً مع أخيه قطب الدين مودود ، نزل له بمقتضاه عن أموال المخزن بسنجار ، فنقلها نور الدين على مائة جمل ، وستة وتسعين بغلاً محملة ذهباً (٤) .

على أن موارد المخزن في الموصل والجزيرة تعرضت للنقصان في بعض السنوات ، كما حدث في عامي ٥٧٤ هـ ، ٥٧٥ هـ حين انتشر الوباء والقحط في بلاد الموصل والجزيرة وديار بكر (٥) ، وحل الخراب والدمار ببلاد الجزيرة سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) نتيجة للفتن والحروب التي قامت بين الأكراد والتركمان (٦) .

(١) سبط ابن الجوزي . مرآة الزمان في تاريخ الأعيان القسم الثاني ج ٨ ص ٢٦٨-٢٦٢

(٢) أبوشامة . الروضتين في أخبار الدولتين .

(٣) ابن الأثير التاريخ الياهر في الدولة الأتابكية ص ١٤٩

(٤) المصدر السابق ص ٩٨

(٥) المصدر السابق ١٧٨

(٦) ابن الأثير . الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨١ هـ

(ب) المعاملات المالية :

استخدم أتابكة الموصل والجزيرة الدنانير والدراهم والفلوس في معاملاتهم ، ففي أتابكيات الموصل وسنجار واربل والجزيرة كانت دنانيرهم ذات شكل دائري غير أنها لم تكن ثابتة في وزنها وقطرها ولم تظهر صور على هذه الدنانير ، بل نقش عليها عبارات من جهتها ففي إحداها (لله الأمر من قبل ومن بعد وعندئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) وعبارة (باسم الله ضرب هذا الدينار ب... ستة... هـ)^(١) كما نقش على هذا الوجه (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) ثم اسم الخليفة المعاصر وألقابه ، وأحياناً اسم الأتابك وألقابه . أما الوجه الآخر فنقش عليه (محمد رسول الله أرسله بأهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وعبارة (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) ثم اسم الأتابك المعاصر وألقابه^(٢) واسم السلطان السلجوقي . ولما دخلت الموصل وسنجار في دائرة نفوذ نور الدين محمود بن زنكي سنة ٥٦٦ هـ (١١٧٠ م) نقش اسمه على دنانير هاتين الأتابكيتين . وظل الأمر جارياً على ذلك حتى خضعت أتابكيات الموصل والجزيرة للأيوبيين فنقشوا أسماء سلاطينهم على الدنانير^(٣) .

أما بدر الدين لؤلؤ فنقش على الدنانير التي سكها في الموصل اسم الخليفة العباسي ، وظل الأمر على هذا الحال حتى دخل في طاعة المغول سنة ٦٥٢ هـ (١٢٥٤ م) فحذف اسم الخليفة المستعصم من الدينار ، ونقش اسم مانجوخان - إمبراطور المغول - ، غير أنه أبقى على أسماء سلاطين الأيوبيين على دنانير الموصل ، فنقش اسم الملك الكامل بن العادل بن أيوب

(١) محمد باقر كاظم : الدينار الأتابكي ص ٢٧ .

(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي م ٤ ج ١ سنة ١٩٥٤ ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٣) نفس المصدر ص ٢٢٧ .

— صاحب مصر — وأخيه الملك الأشرف موسى بن العادل — صاحب الشام والبلاد الجزرية سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٣ م) وظهر اسم الملك الناصر يوسف الأيوبي — صاحب حلب — على دنانير الموصل واستمر الأمر على ذلك حتى سنة ٦٥٦ هـ^(١) (١٢٥٨ م) .

كما نقش على الدنانير التي سككت في عهد إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ اسم مانجوخان ، ولما يخرج هذا الأتابك على المغول ، حذف اسم سلطانهم من السكة ، ونقش اسم السلطان الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧٠ م) كما نقش على هذه الدنانير اسم الخليفة العباسي المستنصر بالله الذي أقامه الظاهر بيبرس^(٢) .

أما أتابكة ماردين وحسن كيغا ، فظهر على بعض دنانيرهم صور لأباطرة بيزنطيين ، ونقوش بيزنطية ، مما ينهض دليلا على أن الأراتقة ضربوا بعض دنانيرهم في بلاد الدولة البيزنطية^(٣) . ولم تظهر أسماء السلاطين السلاجقة على العملات الأرتقية ، إنما ظهر أسماء سلاطين الأيوبيين بعد أن دخل الأمراء الأراتقة في طاعة بني أيوب ونقش على هذه الدنانير اسم الخليفة العباسي مقرونا باسم الأمير الأرتقي^(٤) ، فالخليفة العباسي المستنجد بالله نقش اسمه على الدينار الأرتقي مع نجم الدين ألبى — أمير ماردين — والمستضى بأمر الله أقترن اسمه في حسن كيغا باسم الأمير نور الدين محمود ، كما نقش اسم الخليفة الناصر لدين الله على السكة مع اسم ولي عهده ، عدة الدنيا والدين محمد مقرونا باسم غازي وبولق اللذين تعاقبا على حكم كيغا^(٥) .

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي م ٤ ج ١ سنة ١٩٥٤ م ص ٢٣٩

(٢) محمد باقر كاظم : الدينار الأتابكي ص ٥٣ - ٥٦

(٣) Lane Poole : Coins of the Urtuki Turkumans, p. 14

(٤) أنسنان الكرملي : النقود العربية وعلم النيات ص ١٢٨

(٥) نفس المصدر ص ١٢٨

نماذج من دنانير أتابكة الموصل والجزيرة

| | |
|--|---|
| <p>الوجه الآخر</p> <p>سنجر</p> <p>محمد رسول الله</p> <p>صلى الله عليه</p> <p>معز الدنيا</p> <p>والدين غياث</p> <p>الدنيا والدين</p> <p>مسعود</p> <p>محمد رسول الله أرسله بالهدى</p> <p>ودين الحق ليظهره على الدين</p> <p>كله ولو كره المشركون .</p> <p>(١)</p> | <p>(١)</p> <p>أحد الوجهين</p> <p>العادل</p> <p>لا إله إلا الله</p> <p>وحده لا شريك له</p> <p>المتقى لأمر الله</p> <p>أمير المؤمنين بسم الله</p> <p>ضرب هذا الدينار</p> <p>بالموصل سنة أربعين</p> <p>وخمسمائة</p> <p>لله الأمر من قبل ومن بعد</p> <p>(ويومئذ يفرح المؤمنون)</p> <p>بنصر الله)</p> |
| <p>سنجار</p> <p>محمد رسول الله</p> <p>السلطان المعظم منصور</p> | <p>(٢)</p> <p>الله</p> <p>لا إله إلا هو . المسترشد بالله</p> <p>السلطان الأعظم سنجر</p> |

يتضح من هذين الدينارين أن أحدهما ضرب بالموصل والآخر بسنجان
في عهد عماد الدين زنكي بن آقسنقر (المنصور) وظهر في الدينار الأول
اسم أبي بكر الديبسي — أحد الأمراء المقربين إلى عماد الدين زنكي بن
آقسنقر واسم الخليفة المتقي لأمر الله والآخر المسترشد بالله ، ونقش

اسم السلطان سنجر على الدينارين كما نقش اسم السلطان ألب أرسلان
الذي كان زنكي أتابكا له ، ونقش على الدينار الثاني اسم السلطان السلجوقي
محمد شاه .

(٣)

| | | |
|--|-------------|--|
| <p>الوجه الآخر العادل محمد رسول الله صلى الله عليه بن زنكي</p> | <p>الله</p> | <p>أحد الوجهين غازي بن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين</p> |
| <p>أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون</p> | | <p>لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله بسم الله ضرب هذا الدينار بالموصل . . وستين وخمسمائة .</p> |

يتبين من هذا الدينار أن اسم سلاطين السلاجقة حذف من دنانير
الموصل واستبدل باسم نور الدين محمود الذي دخلت الموصل في طاعته .

(٤)

| | | |
|---|---------------|--|
| <p>من مودود محمد رسول الله صلى الله عليه نور الدنيا والدين أتاك أرسلا ن شاه محمد رسول الله أرسله بالمهدي ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.</p> | <p>العاقل</p> | <p>الأمم لا إله إلا الله وحده لا شريك له الناصر لدين الله أمير المؤمنين الله</p> |
|---|---------------|--|

الملك العادل ملك مصر والشام (٥٩٦ - ٦١٥ م) وسبب ورود اسمه هو أن الدولة الأتابكية بالموصل دخلت في التبعية لبنى أيوب منذ سنة ٥٨٩ هـ.

(٥)

| | |
|--|--|
| <p>العاقل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ملك الأمراء كوكبرى</p> | <p>بن علي لا إله إلا الله وحده لا شريك له الناصر لدين الله أمير المؤمنين الله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله بسم الله ضرب هذا الدينار بأربل سنة تسع وستمائة</p> |
|--|--|

(يتضح من هذا الدينار أن مظفر الدين كوكبرى - أتابك أربل كان في طاعه بنى أيوب)

(٦)

على اسم الله ضرب بالحصن
سنة ثمان وسبعين وخمسمائة

ملك الأمراحي
العدل نور الدين

محمد بن قرا أرسلان

بن أرتق نصير

الإمام الناصر

لدين الله

مليون من

يغزو

(١)

لم تظهر الدراهم الفضية في بلاد الجزيرة إلا في عهد بدر الدين لؤلؤ —
أتابك الموصل — لنقص معدن الفضة في تلك البلاد، ومن ثم ضربت فيها
دراهم نحاسية : وهناك دراهم نقش عليها صور في الوجه . أما النوع الثاني
نقال من الصور كما هو الحال في هذا الدرهم .

(٧)

بن زنكي

الملك العادل

العالم عماد

الدنا والدين

زنكي بن مودود (٢)

الامام

الناصر

لدين أمير

المؤمنين

ضرب هذا الدرهم في نصيبين

وكان هناك بدول الأتابكة إلى جانب الدنانير والدراهم فلوس نحاسية،
بدأ استعمالها منذ أن ولي قطب الدين مودود الموصل، ويتجلى فيها تنوع وزيادة
الألقاب، ذلك أن الأتابك كان يضرب هذه العملة دون الرجوع إلى الخليفة
العباسي . وهذا النوع من العملة يساعد على مرونة العمليات التجارية،
وشراء الحاجيات البسيطة (٣).

Lane Poole : The Coins of the Urtuki Turkumans. (١)

(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي ٤ ج ١ سنة ١٩٥٤ س ٣٤١ (٣) كاظم : الدينار والتابكي ص ٦٢

ثانياً : الحياة الثقافية في بلاد الجزيرة

في أواخر العصر العباسي

لم يأل أتابكة الموصل والجزيرة جهداً في تشجيع الحركة الثقافية ،
فأنشأوا المدارس وشجعوا أساتذتها وطلابها على تأدية مهامهم ومن أبرز
الأدلة على ذلك المدرسة التي أسسها الأتابك سيف الدين غازي في الموصل -
وهي من أحسن المدارس - ووقفها على الفقهاء الحنفية والشافعية ، وبني
رباطاً للصوفية بانوصل ، (١) وكان عماد الدين زنكي بن مودود صاحب
سنتجار يقدر أهل العلم والدين .

كذلك شيد مجاهد الدين قيمان - وزير قطب الدين مودود - المدارس
بالموصل ، وكان خيراً فاضلاً عالماً بالفقه على مذهب أبي حنيفة ، ويحفظ
من الأشعار والحكايات والنوادر شيئاً كثيراً (٢)

وقد نبغ شيوخ في بلاد الجزيرة قاموا بالتدريس ، وتخرج على أيديهم
الكثير من العلماء الأفاضل ، نخص بالذكر منهم أبو العباس أحمد بن
عبد الرحمن بن وهبان المعروف بابن أفضل الزمان وكان عالماً في مجالات
شتى مثل الفقه والأصول والحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق
وغير ذلك . (٣)

ومن شيوخ هذه البلاد أبو القاسم يعيش بن صدقه بن علي الفرائي ،
كان إماماً في الفقه مدرساً صالحاً كبير الصلاح ، (٤) أما الشيخ مكي بن ريان

(١) ابن الأثير : الكامل حوادث سنة ٥٤٤ هـ .

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٩٣ هـ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٥٨٥ هـ .

(٤) المصدر السابق - ١ ص ٩٦ هـ .

فكان عالماً بالنحو واللغة والقراءات ، ولم يكن في زمانه مثله ، وكان يعرف سوى هذه العلوم ، إذ عرف بسعة إطلاعه وتعدد اهتماماته وتردد عليه الطلاب من كل مكان . وكانت حلقات درسه تعقد من الصباح المبكر حتى الليل (١) .

ومن أبرز علماء بلاد الجزيرة في العصر الأتابكي الإخوة مجد الدين وعز الدين وضياء الدين ، وهم أبناء محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، وكان سموغافاً عند أتابكة الموصل منذ حكم عماد الدين زنكي ، وولي ديوان جزيرة ابن عمر من قبل قطب الدين مودود ابن زنكي - أتابك الموصل - ثم انتقل إلى الموصل ، وكان من أهل الثراء (٢) .

أما مجد الدين أبو السعادات المبارك فقد اتصل بخدمة الأمير مجاهد الدين قباذ ، وكتب بين يديه حتى وفاته سنة ٥٩٥ هـ ثم اتصل بخدمة عز الدين مسعود .

ولما آل ملك الموصل إلى نور الدين أرسلان شاه أرسل إليه مملوك لؤلؤ يرجعه قبول الوزارة فأبى ، وقال : قد كبرت سني واشتهرت بطلب العلم ، ولا يصلح هذا الأمر إلا بشيء من العسف والظلم ، ولا يليق بذلك فأعفاه . ثم اتصل بنور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود فحظي عنده ، وتوفرت حريته لديه ، وكتب له مده حتى أقعده المرض ، فاعتزل في داره ، وظل منزله مقصد العلماء والأدباء ، وصنف كتبه كلها في مدة اعتزاله العمل ، وكان عنده جماعة يعينونه في الاختيار والكتابة ، وقد صنف الشيخ في سائر العلوم كتباً مفيدة منها وجامع الأصول في أحاديث

(١) المصدر السابق حوادث سنة ٦٠٣

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٨٩

الرسول ، جمع فيه الموطأ والصحيحين وسنن أبي داود والنسائي وابن مخرى ، وله كتاب النهاية في غريب الحديث في خمس مجلدات ، وكتاب الأنصاف في الجمع بين الكشف والكشاف ، في أربع مجلدات ، وله كتاب المصطفى والمختار في الأدعية والأذكار ، وكتاب البديع وله ديوان الرسائل ، وكتاب الشافي في شرح مسند الإمام الشافعي وبالجلة كان عالماً في عدة علوم منها الفقه وعلم الأصول والنحو والحديث واللغة وتصانيف مشهورة في التفسير والحديث (١) .

أما ضياء الدين فإنه ولي الوزارة للملك الأفضل بن صلاح الدين صاحب دمشق — فأساء السيرة ، وثار عليه الناس ، وكادوا يقتلونه ولما خرجت دمشق من يد الأفضل ، التحق بخدمة الظاهر غازي صاحب حلب — ولكنه غضب عليه ، وتنحى عن عمله ، وعاد إلى الموصل غير أنه لم يستمر في الإقامة بها ، فرحل منها إلى إربل ثم سنجار ثم عاد إلى الموصل واستقر به المقام هناك ، وشغل وظيفة كاتب الإنشاء لناصر الدين محمود بن الملك القاهر .

وترجع شهرة ضياء الدين على الأخص إلى أنه كان من أصحاب الاساليب ، ومن أهم كتبه ، كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، وهو مجلد قيم في فن الكتابة ، ولما فرغ من تصنيفه وصلت نسخة منه إلى بغداد ، وتصدى لمؤاخذته الفقيه الأديب ابن أبي الحديد المدائني ، وجمع هذه المؤاخذات في كتاب « الفلك الدائر على المثل السائر » ، وله كتاب الوشى المرقوم في حل المنظوم ، وهو كتاب موجز يفيد قارئه الأدب ، وله كتاب « المعاني المخترعة في صناعة الإنشاء » ، وله مجموعة شعرية ، تضمنت أشعار أبي تمام والمتنبي في مجلد واحد ، وله أيضاً ديوان ترسل

(١) ابن كثير البداية والنهاية ج ١٤ ص ٥٤

في عدة مجلدات ، والمختار منه في مجلد واحد ، وله عدة رسائل ، منها رسالة يصف فيها الديار المصرية ، وهي طويلة ، ومن جملتها فصل في صفة نيلها وقت زيادته ، وهو معنى بديع وغريب (١) .

وكان لتكوين ضياء الدين الثقافي أكبر الأثر فيما بلغه من سعة في العلم ، فقد حفظ القرآن الكريم ، وكثيراً من الأحاديث النبوية ، ودرس النحو واللغة والبيان ، وشيئاً كثيراً من الأشعار ، حتى قال في أول كتابه الذي سماه « الوشي المرقوم » : وكنت حفظت من الأشعار القديمة والمحدثة ما لا أحصيه كثرة ، ثم اقتصر بعد ذلك على شعر أبي تمام والبحتري والمتنبي ، فحفظت دواوينهم ، وكنت أكرر عليها بالدرس مدة سنين حتى تمكنت من صوغ المعاني ، وصار الأديمان لي خلقاً وطبعاً . . . والمنشئ ينبغي أن يجعل دأبه في الترسل حل المنظوم ، ويعتمد عليه في هذه الصناعة (٢) .

وتوفي ضياء الدين في بغداد سنة ٦٣٧ هـ .

أما عز الدين أبو الحسن علي بن محمد فهو الأخ الثاني لمجد الدين وضياء الدين ، ولد عام ٥٥٥ هـ ١١٦٠ م في جزيرة ابن عمر ، وتوفي في الموصل سنة ٦٣٠ هـ ١٢٣٤ م ، وهو صاحب المكتب التاريخية التي من أشهرها « الكامل في التاريخ » ، وصنف كذلك تاريخاً لدولة أتابكة الموصل والجزيرة ، يسمى « التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية » ، كما صنف معجماً مرتباً على حروف الهجاء عن الصحابة عنوانه « أسد الغابة في معرفة الصحابة » ، ولخص كتاب الأنساب للسمعاني بعنوان الباب ، على أن كتابه الكامل في التاريخ

(١) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٨ - ٣٢

(٢) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٥

(٣) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٠٨

أهم مؤلفاته جميعاً بن من أبرز المراجع التاريخية قاطبة ، وينتهي بحوادث
سنة ٦٢٨ هـ .

تلقى عن الدين العلم في الموصل وفي بغداد ، كما رحل إلى بلاد الشام ،
ووقف بقية حياته على العلم الذي انقطع له ، وقد استفاد ابن الأثير من
شيوخ عصره بالجزيرة والعراق والشام ، فسمع بالموصل من خطيبها
عبد الله بن أحمد الطوسي ، وسمع ببغداد من أبي القاسم يعيش بن صدقة
الفقيه الشافعي ، وأبي أحمد عبد الوهاب بن علي الصوفي ، وسمع بدمشق
من بعض العلماء ، وعاش ابن الأثير منقطعاً إلى العلم تحصيلاً وتدريباً
وتصنيفاً ، وقد قام بمهمة السفارة لبعض حكام الموصل لدى المسؤولين
في بغداد .

وقد روى عن ابن الأثير غير واحد من جلة العلماء ، فقد ذكر
ابن خلكان أنه لقيه في حلب ، وتلمذ عليه بها ، وروى عنه أيضاً .^(١)

قلنا إن كتاب الكامل في التاريخ لعز الدين بن الأثير أشهر مصنفاته ،
ويقع في اثني عشر جزءاً . وكان جل اعتماده في الأجزاء السبعة منه على
أبي جعفر الطبري ، وقد اختصر الطبري ، فحفظ الأسانيد ، وترك
الاسماء . واكتفى بالرواية الواحدة ، وهذا أمر ييسر للقارئ مهمته ،
خصوصاً أن صاحبنا لا يذكر إلا الرواية المرجحة ، ولم يعتمد ابن الأثير
على كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري فقط بل اعتمد كذلك على
كتب التاريخ الأخرى مثل فتوح البلدان ، للبلاذري ، ومروج الذهب
للسعدي وذلك حرصاً منه على ذكر صورة كاملة متكاملة لتاريخه ،
واعتمد ابن الأثير بعد الجزء السابع من كتابه الكامل — على المراجع
التاريخية الأخرى .

(١) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٢ ص ٢٠٨ .

والواقع أن ابن الأثير كان حريصاً على ذكر الرواية الصحيحة ، وأحياناً ينقد الكتب التي تتناول موضوعات لا يرى دقتها .

وقد أوضح ابن الأثير في مقدمة كتابه المراجع التي اعتمد عليها ، والأسباب التي دعت به إلى تصنيف هذا الكتاب ، فيقول شرعت في تأليف تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب ... فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمام أبو جعفر الطبري فلما فرغت منه أخذت إياه من التواريخ المشهورة فطالعتها وأضفت منها إلى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه ووضعت كل شيء منها موضعه ... على أني لم أنقل إلا من التواريخ المذكورة والكتب المشهورة ، ممن أعلم بصدقهم فيما نقلوه وصحة مادونهم . (١)

ويقول عن علم التاريخ : « هو الحافظ للعلوم ينقلها من الماضي إلى الحاضر والآتي ، السكافل ببيان صورة تدوينها مع التنويه بأسماء المؤسسين والناشرين والمحققين ، وهو الناقل لنا صور الماضي وما فيه من حوادث وقصص وغيرها لتكون خير مرشد للتأخرين ، وهو نعم الداعي إلى الفضيلة بإذاعة مناقب أرباب الكمال وأولي النهى والمزايا العظيمة ، وأحسن زاجر للطغاة عن طغيانهم بما يسود صفحاته من أعمالهم ... وهو السلسلة التي تربطنا بمن قبلنا ، وتعرفنا بهم ، وبما كانوا عليه ، وما صدر عنهم وفيهم من الأحوال والشؤون . » (٢)

وقد تحامل ابن الأثير على الذين يقتلون من أهمية علم التاريخ فقال : ولقد رأيت جماعة ممن يدعي المعرفة والدراية ويظن بنفسه التبحر في العلم والرواية ، يحتقر التواريخ ويزدريها ظناً منه أن غاية قائدها إنما هو القصص

(١) مقدمة كتاب الكامل في التاريخ .

(٢) مقدمة الكتاب الكامل في التاريخ .

والأخبار ، ونهاية معرفتها الأحاديث والإسمار ، وهذه حال من اقتصر على القشر دون اللب نظره .. ومن وزقه طبعاً سليماً وهداه صراطاً مستقيماً علم أن فوائدها كثيرة ...

فإنها أن الإنسان لا يخفى أنه يحب البقاء ... فيألت شعري أى فرق بين مارآه أمس أو سمعة ، وبين ماقرأه في الكتب المتضمنة أخبار الماضين وحوادث المتقدمين ؛ فإذا طالعها فكأنه حاضراً ، وإذا عليها فكأنه حاضراً (١) .

ومن علماء الموصل المشهورين بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم المعروف بابن شداد ، ولد بالموصل . وتوفي أبوه وهو لا يزال غراً صغيراً ، فنشأ عند أخواله بني شداد ، فنسب إليهم ، وكان شداد جده لأمه ودرس الدين واللغة والتاريخ والأدب ، وتعمق في دراسة هذه العلوم ، وقد أهله ذلك لوظائف القضاء والتدريس ، فقد درس في الموصل ، كما رحل إلى بغداد ، ودرس في المدرسة النظامية على شيوخ هذه المدرسة ، وقد نبغ في دراسته حتى أن شيوخه عينوه معيداً في هذه المدرسة ، وعمل بها ثلاث سنوات ، وعاد إلى الموصل وصار مدرساً بالمدرسة التي أنشأها القاضي كمال الدين الشهر زوري ، وانتفع بعلمه كثير من الصلاب ، وذاع صيته .

ولما لمس فيه أتابك الموصل رجاحة العقل ، وسداد الرأي ، عهد إليه بالسفارة في أمور سياسته بالغة الخطورة والأهمية إلى صلاح الدين يوسف ابن أيوب بعد الخلافات الشديدة بينه وبين صلاح الدين عقب وفاة الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م .

(١) المصدر السابق .

(٢) ابن خلكان : وفیات الأعيان ج ٦

وشرع صلاح الدين في مهاجمة الموصل بعد أن اتضح له أن أتاكها يحرض أعداءه عليه فتوجه ابن شداد برسولا من أتاك الموصل . عز الدين مسعود إلى الخليفة العباسي يطلب منه تسوية الخلافات بينه وبين صلاح الدين ، فأنفذ الخليفة شيخ الشيوخ في بغداد إلى صلاح الدين لبذل مساعيه الحميده لانتهاء الخلافات بين الزعيمين :

وفي العام التالي توجه ابن شداد إلى صلاح الدين ضمن وفد لتسوية الخلافات بين أتاك الموصل وصلاح الدين ، وعلى الرغم من فشل هذه السفاره ، فإنها أدت إلى تعرف صلاح الدين على ابن شداد ، وقد قدره ، وعرض عليه أن يقوم بالتدريس في مصر ، ولكنه اعتذر ، وظل أمير الموصل يعهد إلى ابن شداد بمثل هذه المهمات السياسية (١)

ولما استرد صلاح الدين يوسف بن أيوب مدينة القدس ، زارها ابن شداد ، ثم قدم إلى دمشق ، واستدعاه صلاح الدين ، وأكرم وفادته ، وسأله عن مشايخ العلم ، وطلب منه أن يقرأ له جزءه اجمع فيه أحاديث البخاري ، وقدم إليه ابن شداد كتابا ألفه في أثناء إقامته في دمشق عن « الجهاد أحكامه وآدابه » فأعجب السلطان صلاح الدين ، وكان يلزم مطالعته ، وعاد صلاح الدين يعرض على ابن شداد الدور في خدمته ، فوافق ابن شداد بعد تردد ، ومن ذلك الوقت سنة ٥٨٤ / ١١٨٨ لم يفارق ابن شداد ، صلاح الدين ساعة من ليل أو نهار حتى حضر وفاته وتولى لصلاح الدين وظائف القضاء والحكم بالقدس الشريف (١)

وبعد وفاة السلطان صلاح الدين ، توجه ابن شداد إلى حلب ، وبدل جهوداً مضنية لجمع كافة أولاد صلاح الدين ، ولم يلبث أن تولى القضاء في حلب ، وظل يواصل محاولاته ، لوقف الخلافات بين أمراء بني أيوب

(١) ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ٦

في الشام ومصر ، وقام بعدة رحلات بين مصر والشام لهذا الغرض ، وازداد نفوذه زمن السلطان الظاهر وابنه العزيز ، فلم يكن لأحد في الدولة معه كلام ، ولما بلغ العزيز أشده ، استبد بالحكم ، واستند في إدارة دولته إلى جماعة لم يرض عنها ابن شداد ، فاعتزل السياسة ، وازم داره ، ودأب على أن يسمع الحديث لمن يقدم عليه من المريدين بعد صلاة المغرب وصلاة العشاء من كل يوم ، ونشطت في زمنه حركة الدراسة والعلم بفضل ما أنشأه من مدارس ، وتوفي في حلب سنة ٦٢٢ هـ .

ولما كان ابن شداد ثقة عالما بالدين ، فقد اشتهر اسمه ، وسر ذكره ، وكان ذا صلاح وعبادة .

ولابن شداد عدة مؤلفات منها ، تاريخ حلب ، ودلائل الأحكام في الفقه ، وملجأ الأحكام عند التباس الأحكام ، على أن أهم كتبه : النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، قسمه قسمين الأول في نشأة صلاح الدين وأخلاقه ، والثاني في بعض وقائعه وغزواته (١)

ويختلط اسم القاضي ابن شداد باسم مؤرخ عربي يحمل نفس الاسم ، وهو عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم توفي سنة ٦٨٤ هـ / ١٢٨٥ م ، وقد صنف كتاباً قيماً عنوانه : الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، (٢)

نشطت الحركة العلمية في إربل في أواخر العصر العباسي . وتجلى ذلك في المدارس العديدة التي أسسها حكام هذه الأتابكية ، وقد تخرج من هذه المدارس رجال شغلوا وظائف رئيسية في البلاد الإسلامية ، فكان منهم القاضي والمحاسب والفقيه والأديب والشاعر ، ومن بين هذه المدارس .

(١) ابن العماد الحنبلي . شذرات الذهب ج ٥ ص ١٥٨ - ١٥٩

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ص ٣٠٥ .

مدارس أنشأها مظفر الدين كوكبوري لتدريس الفقه الشافعي والفقه الحنفي، وقام بالتدريس فيها شيوخ أجلاء، تخلص بالذكر منهم، محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان (ت سنة ٦١٠ هـ) وهو والد المؤرخ المشهور قاضي القضاة ابن خلكان، صاحب كتاب وفيات الأعيان، ومن أساتذة مدارس إربل أحمد بن موسى بن منعة الذي قام بالتدريس للشيخ الجليل ابن خلكان، ويقول عنه: إنه كان فاضلاً عاقلاً حسن السمعة جميل المنظر، كثير المحفوظات غزير المادة، حسن الإلقاء، فصيح اللسان، قوى البيان. ابن خلكان: (وفيات الأعيان ج ١ ص ٩٠) وقام بمهمة التدريس فيها عمر بن إبراهيم (ت ٦٠٩) عم المؤرخ ابن خلكان.

ومن أساتذة مدارس إربل أبو العباس الخضر بن نصر الأربلي (ت ٦١٩) كان فاضلاً فقيها عارفاً بالمذهب والفرائض والخلاف، تتلمذ في بغداد على يد عدد من المشايخ، ثم رجع إلى إربل، وله تصانيف حسان كثيرة في التفسير والفقه وغير ذلك وله كتاب ذكر فيه ستا وعشرين خطبة للرسول، وكلها مسندة، وتعلمذ عليه خلق كثير، وانتفعوا به، وكان رجلاً صالحاً زاهداً عابداً ورعاً، ومن جملة من تخرج عليه الشيخ الفقيه ضياء الدين أبو عمرو عثمان بن عيسى بن درياس الهذباني شارح المذهب، وتخرج عليه ابن أخيه أبو القاسم نصر بن عقيل بن نصر (ت ٥٦٧ هـ) (١)

ولما توفي تولى ابن أخيه مكانه في المدرستين، وسخط عليه مظفر الدين كوكبوري - أتاه إلى إربل - وأخرجه منها، وانتقل إلى الموصل، وسكن عز الدين ظاهر الموصل في رباط ابن الشهرزوري وقرر له صاحب

الموصل راتباً ، وتوفي بها سنة ٦١٩ هـ (١)

ومن اشتهر بالفتوى العالم الفقيه كمال الدين سلاور بن الحسن بن عمر
ابن سعيد الأربلي المتوفى سنة ٥٦٧ هـ ، وذاعت فتاواه في الشام ، وسارت
مسير الشمس في النهار (٢)

ونبع في مدرسة إربل القاضي والمؤرخ ابن خلكان صاحب الكتاب
المشهور «وفيات الأعيان وأنباء الزمان» الذي تضمن ترجمة لرجال
الفكر والسياسة والحرب المسلمين الذي لعبوا دوراً بارزاً في الحياة
الإسلامية . وهذا الكتاب يعتمد عليه كل المهتمين بالدراسات الإسلامية .
وابن خلكان هو أحمد بن محمد بن إبراهيم ، درس في مدارس إربل ، وتلقى
الدراسات الدينية من والده ، ولما توفي والده ، انتقل إلى الموصل ، ودرس
على علمائها هناك ، ثم واصل رحلاته في طلب العلم والتزود بالمعرفة ،
فانتقل إلى حلب وأقام عند الشيخ بهاء الدين أبي المحاسن يوسف بن شداد ،
وتلقى منه علم الفقه ، ودرس النحو في حلب ، ثم رحل إلى دمشق واتصل
بابن الصلاح ، وتلمذ عليه ، ثم غادر دمشق إلى القاهرة ، وشغل وظيفة
القضاء في بعض مدن مصر ، ثم عاد إلى الشام حيث ولي قضاءه ، وتوفي
سنة ٦٨١ هـ (٣)

ولقد اعتمد ابن خلكان كثيراً في تراجمه التي أوردها في كتابه على
ابن المستوفى ، آخر وزراء إربل على عهد مظفر الدين — إذ صنف
ابن المستوفى تاريخاً في أربع مجلدات ، وكتاباه عبارة عن تراجم ، فقدت .
وكان ابن المستوفى أديباً كبيراً وشاعراً ومحدثاً ، يعقد الندوات الأدبية
التي تضم كبار الأدباء والشعراء والفقهاء ، وهو من بيت علم ، نبغ من

(١) المصدر السابق - ص ٣٣١ .

(٢) المصدر السابق - ص ٦٦١ .

(٣) ابن كثر : البداية والنهاية ، ج ١٢ ص ٢١١ .

أسرته علماء أجلاء ، وكان عمه صفى الدين أبو الحسن علي بن المبارك يتقن اللغتين العربية والفارسية ، فترجم كتاب نصيحة الملوك ، للامام الغزالي من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية ، ويذكر ابن خلكان أن ابن المستوفي ذكر التواضع ، واسع الكرم ، لم يصل إلى إربل أحد من الفضلاء إلا بادر إلى زيارته ، وحمل إليه ما يليق بحاله ، ويقرب إلى قلبه بكل طريق ، وخصوصاً أزباب الأدب ، فقد كانت سوقهم لديه نافقه ، وكان جم الفضائل ، عارفاً بعدة فنون ، منها الحديث وعلومه وأسماء رجاله وجميع ما يتعلق به ، وكان إماماً فيه ، ماهراً في فنون الأدب من النحو واللغة والعروض والقوافي وغلم البيان .

وإذا تتبعنا حياة ابن خلكان العلمية نراه قد استفاد فائدة كبيرة من النشاط الثقافي في بلاد الجزيرة ، فسمع صحيح البخاري بمدينة إربل على الشيخ الصالح أبي جعفر محمد بن هبة الله بن المكرم بن عبد الله الصوفي ، وتفقه في الموصل على كمال الدين بن يوسف ، وأخذ بحلب عن القاضي بهاء الدين بن شداد ، وقرأ النحو على أبي البقاء يعيش بن علي النحوي ، وتدرج في وظائف القضاء - كما ذكرنا - حتى ولى منصب قاضي قضاة الشام ، وأقيم معه القضاء الثلاثة على مذاهب مالك وأبي حنيفة وابن حنبل ومذهبه مذهب الشافعي .

واقدر نسج ابن خلكان على منوال والده في التفنن بالعلوم ونخرج عليه كثير من الطلاب . فلا غرو إذن أن ينشأ ابن خلكان على حب العلم حتى برع ، وصار بصيراً بالعربية أديباً شاعراً عالماً بأيام الناس ، كثير الاطلاع (١)

(١) وفيات الأعيان - ٣ ص ٢٩٤ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان - ٦ ص ٣

قلنا إن كتاب وفيات الأعيان من أهم الكتب الإسلامية ، وهو مختصر في علم التاريخ . ويقول : دعاني إلى جمعه أني كنت مولعاً بالإطلاع على أخبار المتقدمين من أولى النباهة وتواريخ وفياتهم وموالدهم ومن جمع منهم في كل عصر ، فوقع لي منه شيء حملني على الاستزادة فعمدت إلى مطالعة الكتب المرسومة بهذا الفن ، وأخذت من أقوال الأئمة المتقنين له ما لم أجده في كتاب ، ولم أزل على ذلك حتى حصل عندي على مسودات كثيرة في سنين عديدة وغلق على خاطري بعضه ، فصرت إذا احتجت إلى معاودة شيء منه لا أصل إليه إلا بعد التعب في استخراج له لكونه غير مرتب فاضطرت إلى ترتيبه فرأيت على حروف المعجم أيسر منه على السنين فعدلت إليه ولم أذكر في هذا المختصر أحداً من الصحابة ولا من التابعين إلا جماعة يسيرة تدعو حاجة كثير من الناس إلى معرفة أحوالهم وكذلك الخلفاء ، وذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم ، ونقلت عنهم أو كانوا في زمني ، ولم أرهم ليطلع على حالهم من يأتي بعدهم ، ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل العلماء أو الملوك أو الوزراء أو الشعراء بل كل من له شهرة بين الناس .

وجدير بالذكر أن ابن خلدكان استقى معلوماته في هذا الكتاب من ثلاثة مصادر ، أولها ما قرأه في الكتب المصنفة قبله ، وكان مولعاً بمراجعتها والإفادة منها ، والمصدر الثاني الدروس التي تلقاها من مشايخه الثقات ، والمصدر الثالث اعتمده فيه على مشاهداته الخاصة ، ولهذا سمي كتابه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان مما ثبت بالنقل أو السماع أو أثبتته العيان . وقد لاحظ الأستاذ المرحوم محي الدين عبد الحميد الذي بذل جهداً مشكوراً في تحقيق الكتاب — أن ابن خلدكان حين ينقل من الكتب المصنفة لا يقف عند النقل ، ويلقي عليه على صاحبه شأن كثير من المصنفين ، ولكنه يزن الكلام ويفحصه .

وقد نبغ أدباء في إربل مثل مجد الدين أسعد بن إبراهيم بن حسن بن علي الشيباني النشابي الأربلي ، وكان يخاطب ابن المستوفي بالشعر .

تعددت المجالس الدينية في إربل بسبب تشجيع أمراءها ووزرائها ولقد حرص مظفر الدين كوكبوري على إقامة الندوات الدينية ، إذ كان شديد الميل إلى أهل السنة والجماعة لا يجتمع عنده من أرباب العلوم سوى الفقهاء والمحدثين ، ووجد على إربل في أيامه العلماء والأدباء وقد حظوا منه بكل تشجيع وتأيد . وقد حرص مظفر الدين على إقامة حفلات كبيرة في كل سنة بمناسبة مولد الرسول الكريم ، ولم يكن هذا الاحتفال مجرد استماع لأغاني وأناشيد دينية بل كانت تعقد فيه ندوات يقوم فيها الرواظ والعلماء بالتحدث عن سيرة الرسول وإلقاء الأحاديث الدينية ، وكان الناس من البلدان المجاورة يقدون على إربل على اختلاف طبقاتهم خصوصاً الفقهاء والمحدثون والأدباء والشعراء . وهؤلاء العلماء يبرزون معارفهم في ندوات المولد الشريف ويتناولون من الأمير الأربلي كل عطف وتعظيم .

ولم يهتم مظفر الدين كوكبوري بالحركة الثقافية في إربل فحسب بل تجاوز اهتمامه دائرة حكمه ، فبنى في مدينة الموصل داراً للحديث ليستفيد منها الراغبين في دراسته ، وسميت بدار الحديث المظفريه .

ومن علماء إربل المشهورين الحسين بن إبراهيم الهذلي وهو من علماء اللغة والحديث ، وقد تناول مع بعض العلماء مستد ابن حنبل بالترتيب على أبواب الفقه وتوفي سنة ٦٥٦ هـ . ولا ننسى ما قام به شمس الدين ابن الخباز من جهود في علم النحو .

وقد نبغ في إربل ابن سراقه الشاطبي ، وهو من الأندلس ، ورحل إلى الشرق ، وتنقل بين عدة مدن حتى انتهى به المطاف في بغداد ودرس الحديث بها ، ثم انتقل إلى إربل ، وقرأ الحديث بها على المحدث أبي الخير بدل التبريزي .

ومن أشهر أدباء إربل ، أبو البركات المبارك بن أبي الفتح أحمد المعروف بابن المستوفي — آخر وزراء إربل على عهد مظفر الدين كوكبورى وقد نبغ في مجالات الأدب والشعر والحديث والنحو واللغة ، وكان يعقد المجالس العلمية التي تضم الأدباء والشعراء والفقهاء ، ويقول عنه ابن خلكان : كان رئيساً جليل القدر ، كثير النواضع ، واسع الكرم لم يصل أحد إلى إربل من الفضلاء إلا بادر إلى زيارته ، وحمل إليه ما يليق بحاله ، ويقرب إلى قلبه بكل طريق ، وخصوصاً أرباب الأدب فقد كانت سوقهم لديه نافقة ، وكان جم الفضائل ، عارفاً بعدة فنون ، منها الحديث وعلومه وأسماء رجاله وجميع ما يتعلق به ، وكان إماماً فيه ، وكان ماهراً في فنون الأدب من النحر واللغة والعروض والقوافي وعلم البيان ، وأشعار العرب وأخبارها وأيامها ووقائعها وأمثالها ، وكان بارعاً في علم الديوان وحسابه وضبط قوانينه على الأوضاع المعتبرة عندهم .

ومن أهم مصنفات ابن المستوفي كتاب تاريخ إربل ، ويقع في أربع مجلدات ، ويتضمن تراجم لأعيان هذه البلاد ، وأفاد ابن خلكان في تصنيف كتابه « وفيات الأعيان » ، وهذا الكتاب فقد .

وقد ساهم ابن المستوفي في نشاط الحركة الأدبية في إربل من جراء الندوات الأدبية التي كان يعقدها في منزله ، وكان يشجع الشعراء بصفة خاصة ، ويجب أن يخاطبهم ، ويخاطبوه بالشعر (٢)

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٣ ص ٢٩٤ .

(٢) المصدر السابق .

والخلاصة أن الحياة الثقافية في بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي اشتملت على العلوم الدينية والادبية واللغوية فقط ، ولم تتضمن العلوم العقلية كالفلسفة والطب والكيمياء والرياضيات ، وتجلي النشاط الثقافي في المدارس العديدة التي أنشأها الأتابكة ، ونلاحظ أن علماء ذلك العصر لم يجدوا ولم يبتكروا في تصانيفهم ، وإنما اقتصر اهتمامهم على تلخيص أو النقل من كتب السابقين .

جداول بأسماء أتابكة الموصل والجزيرة والحكام المعاصرين لهم في الشرق

أولاً : أتابكة الموصل والجزيرة

ثانياً : الخلفاء العباسيون

ثالثاً : السلاجقة

رابعاً : أتابكة الشرق

خامساً : السلاطين والأمراء الأيوبيون

سادساً : الأمراء الصليبيون في بلاد الشام

جداول بأسماء أتابكة الموصل والجزيرة والحكام

المعاصرين لهم في الشرق

أولا : أتابكة الموصل والجزيرة

(أ) أتابكة الموصل

عماد الدين زنكي بن آقسنقر ٥٢١ هـ - ٥٤١ هـ (١١٢٧ - ١١٤٦ م)

سيف الدين غازي الأول بن زنكي ٥٤١ هـ - ٥٤٤ هـ (١١٤٦ - ١١٤٩ م)

قطب الدين مودود بن زنكي ٥٤٤ هـ - ٥٦٤ هـ (١١٤٩ - ١١٧٠ م)

سيف الدين غازي الثاني بن مودود ٥٦٤ هـ - ٥٧٢ هـ (١١٨٠ - ١١٧٦ م)

عز الدين مسعود الأول بن مودود ٥٧٢ هـ - ٥٨٩ هـ (١١٧٦ - ١١٩٣ م)

نور الدين أرسلان شاه الأول بن مسعود ٥٨٩ هـ - ٦٠٧ هـ (١١٩٣ -

١٢١٠ م)

عز الدين مسعود الثاني بن أرسلان شاه ٦٠٧ هـ - ٦١٦ هـ (١٢١٠ -

١٢١٨ م)

نور الدين أرسلان شاه الثاني بن مسعود الثاني ٦١٦ هـ - ٦١٦ هـ

(١٢١٨ - ١٢١٩ م)

ناصر الدين محمود بن عز الدين مسعود الثاني ٦١٦ هـ - ٦٣١ هـ

(١٢١٩ - ١٢٣٣ م)

بدر الدين لؤلؤ ٦٣١ هـ - ٦٥٧ هـ (١٢٣٣ - ١٢٥٦ م)

ركن الدين إسماعيل بن لؤلؤ ٦٥٧ هـ - ٦٦٠ هـ (١٢٥٦ - ١٢٥٩ م)

(ب) أتابكة سنجان

عماد الدين أبو الفتح زنكي الثاني بن مودود ٥٦٦ هـ - ٥٩٤ هـ

(١١٧٠ - ١١٩٧ م)

قطب الدين محمد بن زنكى الثانى ٥٩٤ - ٦١٦ هـ (١١٩٧ - ١٢١٩ م)
 عماد الدين شاهنشاه بن محمد ٦١٦ هـ (١٢١٩ م)
 جلال الدين محمود بن محمد ٦١٦ - ٦١٧ هـ (١٢١٩ - ١٢٢٠ م)

(ج) أتابكة الجزيرة :

معز الدين سنجر شاه بن غازى الثانى ٥٧٦ - ٦٠٥ هـ
 (١١٨٠٠ - ١٢٠٨ م)

معز الدين محمود بن سنجر ٦٠٥ - ٦٣٩ هـ (١٢٠٨ - ١٢٤١ م)
 مسعود بن محمود ٦٣٩ - ٦٤٨ هـ (١٢٤١ - ١٢٥٠ م)

(د) أتابكة اربل :

زين الدين على كجك بن بكتكين بن محمد ٥٦٢ هـ (١١٦٧ م)
 زين الدين أيو المظفر يوسف على ٥٦٣ - ٥٨٦ هـ (١١٦٧ - ١١٩٠ م)
 مظفر الدين أبو سعيد كوكبورى بن على ٥٨٦ - ٦٣٠ هـ (١١٩٠ -
 ١٢٣٣ م)

(هـ) أتابكة حصن كيفا ثم آمد :

معين الدين سقمان الاول بن أرتق ٤٩٥ - ٤٩٨ هـ (١١٠١ - ١١٠٤ م)
 ابراهيم بن سقمان ٤٩٨ - ٥٠٢ هـ (١١٠٤ - ١١٠٨ م)
 ركن الدولة داود بن سقمان ٥٠٢ - ٥٣٩ هـ (١١٠٨ - ١١٤٤ م)
 نضر الدين أبو الحارث قرا أرسلان بن داود ٥٣٩ - ٥٦٢ هـ
 (١١٤٤ - ١١٦٦ م)

تسلم آمد سنة ٥٧٩ هـ (١١٨٣ م)

قطب الدين سقمان الثانى بن محمد، الملك المسعود ٥٨١ - ٥٩٧ هـ
 (١١٨٥ - ١٢٠٠ م)

ناصر الدين محمود بن محمد - الملك الصالح - ٦٩٧ هـ (١٢٠٠ - ١٢٢٢ م)

ركن الدين مودود بن محمود ٦١٩ — ٦٢٩ هـ (١٢٢٢ — ١٢٣١ م)
الملك المسعود، عزله الملك الكامل الثاني بن غازي صاحب ميافارقين
سنة ٦٢٩ هـ.

(و) أتابكة ماردين :

نجم الدين أيلغازي الأول بن أرتق ٥٠٠ — ٥١٦ هـ (١١٠٦ — ١١٢٢)
حسام الدين تيمرتاش بن أيلغازي ٥١٦ — ٥٤٧ هـ (١١٢٢ — ١١٥٢ م)
نجم الدين ألي بن تيمرتاش ٥٤٧ — ٥٧٥ هـ (١١٥٢ — ١١٧٩ م)
قطب الدين أيلغازي الثاني بن ألي ٥٧٥ — ٥٨٠ هـ (١١٧٩ — ١١٨٤ م)
حسام الدين بولق أرسلان بن أيلغازي الثاني ٥٨٠ — ٥٩٧ هـ
(١١٨٤ — ١٢٠٠ م)

ناصر الدين أرتق أرسلان بن أيلغازي الثاني ٥٩٧ — ٦٣٧ هـ
(١٢٠٠ — ١٢٣٩ م)

نجم الدين غازي الأول بن أرتق أرسلان ٦٣٧ — ٦٥٨ هـ
(١٢٥٩ — ١٣٢٩ م)

قرأ أرسلان بن غازي الأول ٦٥٨ — ٦٩١ هـ (١٢٥٩ — ١٢٩١ م)
شمس الدين داود بن قرأ أرسلان — ١٢٩١ — ١٢٩٣ م

(ز) أتابكة خرتبرت :

عماد الدين أبو بكر بن قرأ أرسلان ٥٨١ — ٦٠٠ هـ (١١٨٥ — ١٢٠٣ م)
نظام الدين إبراهيم بن أبي بكر ٦٠٠ — ٦٣١ هـ (١٢٠٣ — ١٢٣٣ م)
الخضر بن إبراهيم ٦٣١ — ٦٦٠ هـ (١٢٣٣ — ١٢٦١ م)
فيروز الدين أرتق شاه، الملك المعز بن الخضر ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م)

ثانياً : الخلفاء العباسيون :

أبو العباس أحمد المستظهر بالله بن المقتدى ٤٨٧ — ٥١٢ هـ
(١٠٩٤ — ١١١٧ م)

أبو منصور الفضل المسترشد بالله بن المستظهر ٥١٢ — ٥٢٩ هـ
(١١١٨ — ١١٣٤ م)

أبو جعفر المنصور الراشد بن المسترشد ٥٢٩ — ٥٣٠ هـ (١١٣٤ —
١١٣٥ م)

أبو عبد الله محمد المتقى لأمر الله بن المستظهر ٥٣٠ — ٥٥٥ هـ
(١١٣٥ — ١١٦٠ م)

أبو المظفر يوسف المستنجد بالله بن المتقى ٥٥٥ — ٥٦٦ هـ
(١١٦٠ — ١١٧٠ م)

أبو محمد الحسن المستضيء بأمر الله بن المستنجد ٥٦٦ — ٥٧٥ هـ
(١١٧٠ — ١١٧٩ م)

أبو العباس أحمد الناصر لدين الله بن المستضيء ٥٧٥ — ٦٢٢ هـ
(١١٧٩ — ١٢٢٥ هـ)

أبو نصر محمد الظاهر بأمر الله بن الناصر ٦٢٢ — ٦٢٣ هـ (١٢٢٥ — ١٢٢٦ م)
أبو جعفر المنصور المستنصر بالله بن الظاهر ٦٢٣ — ٦٤٠ هـ
(١٢٢٦ — ١٢٤٢ م)

أبو أحمد عبد الله المستعصم بن المستنصر ٦٤٠ — ٦٥٦ هـ (١٢٤٢ — ١٢٥٨ م)

ثالثاً : السلاجقة :

(١) السلاجقة العظام :

ركن الدين طغرل بك أبو طالب محمد بن ميكائيل بن ساجوق ٤٢٩ —

٤٥٥ هـ (١٠٣٧ — ١٠٦٣ م)

ألب أرسلان بن دواد ٤٥٥ — ٤٦٥ هـ (١٠٦٣ — ١٠٧٢ م)
ملكشاه بن ألب أرسلان ٤٦٥ — ٤٨٥ هـ (١٠٧٢ — ١٠٩٢ م)
محمود بن ملكشاه ٤٨٥ — ٤٨٧ هـ (١٠٩٢ — ١٠٩٤ م)
بركياروق بن ملكشاه ٤٨٧ — ٤٩٨ هـ (١٠٩٤ — ١١٠٤ م)
محمد بن ملكشاه ٤٩٨ — ٥١١ هـ (١١٠٤ — ١١١٨ م)
أحمد سنجر بن ملكشاه ٥١١ — ٥٥٢ هـ (١١١٨ — ١١٥٧ م)

(ب) سلاجقة العراق :

محمود بن محمد بن ملكشاه ٥١١ — ٥٢٥ هـ (١١١٧ — ١١٣١ م)
داود بن محمود ٥٢٥ — ٥٢٦ هـ (١١٣١ — ١١٣٢ م)
ظفر الأول بن محمد ٥٢٦ — ٥٢٧ هـ (١١٣٢ — ١١٣٣ م)
مسعود بن محمد ٥٢٧ — ٥٤٧ هـ (١١٣٣ — ١١٥٢ م)
ملكشاه بن محمود ٥٤٧ — ٥٤٨ هـ (١١٥٢ م)
محمد بن محمود ٥٤٨ — ٥٥٥ هـ (١١٥٣ — ١١٥٩ م)
سليمان شاه بن محمود ٥٥٥ — ٥٥٦ هـ (١١٥٩ — ١١٦١ م)
أرسلان شاه بن ظفر ٥٥٦ — ٥٧٣ هـ (١١٦١ — ١١٧٧ م)
ظفر الثاني بن أرسلان شاه ٥٧٣ — ٥٩٠ هـ (١١٧٧ — ١١٩٤ م)

(ج) سلاجقة الشام :

تتش بن ألب أرسلان ٤٧١ — ٤٨٨ هـ (١٠٧٩ — ١٠٩٥ م)
رضوان بن تتش (حلب) ٤٨٨ — ٥٠٧ هـ (١٠٩٥ — ١١١٣ م)
دقاق بن تتش (دمشق) ٤٨٨ — ٥٠٧ هـ (١٠٩٥ — ١١١٣ م)
ألب أرسلان بن رضوان (حلب) ٥٠٧ — ٥٠٨ هـ (١١١٣ — ١١١٤ م)
سلطان شاه بن رضوان (حلب) ٥٠٨ — ٥١١ هـ (١١١٤ — ١١١٧ م)

رابعاً : أتابكة الشام :

(أ) البوريون أتابكة دمشق :

طغتكين — ٤٩٧ — ٥١١ م (١١٠٣ — ١١١٧ م)
تاج الملوك بوري (١١٢٨ — ١١٣١ م) ٥٢٣ م
شمس الملوك إسماعيل ٥٢٦ — ٥٢٩ م (١١٣١ — ١١٣٤ م)
شهاب الدين محمد ٥٣٣ — ٥٣٤ م (١١٣٨ — ١١٣٩ م)
جمال الدين محمد ٥٣٣ — ٥٣٤ م (١١٣٨ — ١١٣٩ م)
مجير الدين محمد ٥٣٤ — ٥٤٧ م (١١٣٩ — ١١٥٢ م)

(ب) أتابكة حلب ودمشق من بني زنكي :

العادل نور الدين محمود بن زنكي
في حلب ٥٤١ — ٥٧٠ م (١١٤٦ — ١١٧٤ م)
في دمشق ٥٤٩ — ٥٧٠ م (١١٥٤ — ١١٧٤ م)
الصالح نور الدين محمود بن إسماعيل
في حلب ٥٧٠ — ٥٧٧ م (١١٧٤ — ١١٨١ م)
ضم حلب إلى أتابكية الموصل وسبجار ٥٧٧ — ٥٧٩ م (١١٨١ —
١١٨٣ م)

خامساً : بنو أيوب :

(أ) في مصر :

الناصر صلاح الدين يوسف ٥٦٤ — ٥٨٩ م (١١٦٨ — ١١٩٣ م)
العزيز عثمان ٥٨٩ — ٥٩٥ م (١١٩٣ — ١١٩٨ م)
المنصور محمد ٥٩٥ — ٥٩٦ م (١١٩٨ — ١١٩٩ م)
العادل الأول أحمد ٥٩٦ — ٦١٥ م (١١٩٩ — ١٢١٨ م)

الكامل الأول محمد ٦١٥ - ٦٣٥ (١٢١٨ - ١٢٣٨ م)
العادل الثاني أبو بكر ٦٣٥ - ٦٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٤٠ م)
الصالح أيوب ٦٣٧ - ٦٤٧ (١٢٤٠ - ١٢٤٩ م)
المعظم توران شاه الرابع ٦٤٧ - ٦٤٨ (١٢٤٩ - ١٢٥٠ م)
الملك الأشرف الثاني موسى بن يوسف بن محمد ٦٤٨ - ٦٥٠
(١٢٤٩ - ١٢٥٢ م)

(ب) الأيوبيون في دمشق :

الأفضل نور الدين أبو الحسن علي ٥٨٢ - ٥٩٢ - ١١٨٦ - ١١٩٥ م)
الملك العادل الأول - سيف الدين أبو بكر أحمد ٥٩٢ - ٦١٥ م
(١١٩٥ - ١٢١٨ م).

المعظم شرف الدين عيسى ٦١٥ - ٦٤٤ (١٢١٨ - ١٢٢٧ م)
الناصر صلاح الدين ٦٢٤ - ٦٢٦ (١٢٢٧ - ١٢٢٩ م)
الأشرف الأول مظفر الدين أبو الفتح موسى ٦٢٦ - ٦٣٤ م
(١٢٢٩ - ١٢٣٧ م).

الصالح عماد الدين اسماعيل (للمرة الأولى) ٦٣٤ - ٦٣٥ (١٢٣٧ م)
الكامل الأول ٦٣٥ (١٢٣٧ م)

العادل الثاني سيف الدين أبو بكر ٦٣٥ - ٦٣٦ (١٢٣٨ - ١٢٣٩ م)
الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٦ - ٦٣٧ م) (١٢٣٩ م)

الصالح اسماعيل (للمرة الثانية) ٦٣٧ - ٦٤٢ (١٢٣٩ - ١٢٤٥ م)
الصالح نجم الدين أيوب - صاحب مصر - ٦٤٣ - ٦٤٧ م

(١٢٤٥ - ١٢٤٩ م)

المعظم توران شاه الرابع ومعه مصر ٦٤٧ - ٦٤٨ (١٢٤٩ - ١٢٥٠ م)
الناصر الثاني صلاح الدين يوسف صاحب حلب ٦٤٨ - ٦٥٨ م
(١٢٥٠ - ١٢٥٩ م).

(ج) الأيوبيون في حلب :

- الملك العادل الأول سيف الدين أبو بكر أحمد ٥٧٩ - ٥٨٢ هـ
(١١٨٣ - ١١٨٦ م)
- الظاهر غياث الدين أبو الفتح غازي الأول ٥٨٢ - ٦١٣ هـ
(١١٨٦ - ١٢١٦ م)
- العزيز غياث الدين أبو المظفر محمد ٦١٣ - ٦٣٤ هـ (١٢١٦ - ١٢٣٦ م)
- الناصر الثاني صلاح الدين يوسف ٦٣٤ - ٦٥٨ هـ (١٢٣٦ - ١٢٦٠ م)

(د) الأيوبيون في حمص :

- القاهرة محمد بن شيركوه ٥٧٤ - ٥٨١ هـ (١١٧٨ - ١١٧٦ م)
- المجاهد شيركوه الثاني ٥٨١ - ٦٣٧ هـ (١١٨٦ - ١٢٤٠ م)
- المنصور إبراهيم ٦٣٧ - ٦٤٤ هـ (١٢٤٠ - ١٢٤٦ م)
- الأشرف موسى الثاني ٦٤٤ - ٦٦١ هـ (١٢٤٦ - ١٢٦٢ م)

(هـ) الأيوبيون في حماه :

- المظفر الأول عمر ٥٧٤ - ٥٨٧ هـ (١١٧٨ - ١١٩١ م)
- المنصور الأول محمد ٥٨٧ - ٦١٧ هـ (١١٩١ - ١٢٢٠ م)
- الناصر قلاج أرسلان ٦١٧ - ٦٢٦ هـ (١٢٢٠ - ١٢٢٩ م)
- المظفر الثاني محمود ٦٢٦ - ٦٤٢ هـ (١٢٢٩ - ١٢٤٤ م)
- المنصور الثاني محمد ٦٤٢ - ٦٨٣ هـ (١٢٤٤ - ١٢٨٤ م)

(ز) الأيوبيون في ميفارقين (وسنجار) :

- الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ٥٨١ هـ (١١٨٥ م)
- العادل سيف الدين أبو بكر ٥٩١ - ٥٩٦ هـ (١١٩٤ - ١١٩٩ م)
- الأوحدي نجم الدين أيوب ٥٩٦ - ٦٠٧ هـ (١١٩٩ - ١٢١٠ م)

الأشرف الأول موسى ٦٠٧ — ٦١٧ هـ (١٢١٠ — ١٢٢٠ م)
المظفر شهاب الدين غازي ٦١٨ — ٦٤٢ هـ (١٢٢١ — ١٢٤٤ م)
الكامل الثاني ناصر الدين محمد ٦٤٢ — ٦٥٩ هـ (١٢٤٤ — ١٢٦٠ م)

الامراء والملوك الصليبيون في بلاد الشام

سادساً: (١) مملكة بيت المقدس

| | | |
|--------------------------------------|--------------|-----------------|
| بلدوين الأول | ٤٩٤ — ٥١٢ هـ | (١١٠٠ — ١١١٨ م) |
| بلدوين الثاني | ٥١٢ — ٥٢٦ هـ | (١١١٨ — ١١٣١ م) |
| فولك الأنجوي | ٥٢٦ — ٥٣٩ هـ | (١١٣١ — ١١٤٤ م) |
| بلدوين الثالث | ٥٣٩ — ٥٥٨ هـ | (١١٤٤ — ١١٦٢ م) |
| عموري الأول | ٥٥٨ — ٥٦٩ هـ | (١١٦٢ — ١١٧٣ م) |
| بلدوين الرابع | ٥٦٩ — ٥٨١ هـ | (١١٧٣ — ١١٨٥ م) |
| بلدوين الخامس | ٥٨١ — ٥٨٢ هـ | (١١٨٥ — ١١٨٦ م) |
| جاي لوزجنان | ٥٨٢ — ٥٨٨ هـ | (١١٨٦ — ١١٩٢ م) |
| كونراد دي مونتفرات | ٥٨٨ هـ | (١١٩٢ م) |
| هنري دي شامبني | ٥٨٨ — ٥٩٣ هـ | (١١٩٢ — ١١٩٧ م) |
| عموري الثاني | ٥٩٣ — ٦٠٢ هـ | (١١٩٧ — ١٢٠٥ م) |
| ماري (ابنة كونراد تحت الوصاية) | ٦٠٢ — ٦٠٧ هـ | (١٢٠٥ — ١٢١٠ م) |
| حنادي دي برين | ٦٠٧ — ٦٢٢ هـ | ١٢١٠ — ١٢٢٥ م |
| الإمبراطور فريديك الثاني | ٦٢٢ — ٦٤٨ هـ | (١٢٢٥ — ١٢٥٠ م) |
| كونراد الرابع ملك ألمانيا (ملك اسمي) | ٦٤٨ — ٦٥٢ هـ | (١٢٥٠ — ١٢٥٤ م) |

كوثر الدين (ملك اسمى) ٦٥٢ — ٦٦٧ هـ ١٢٥٤ — ١٢٦٨ م
 هيو الثالث ملك قبرس (الثاني) ٦٦٨ — ٦٨٣ هـ (١٢٦٩ — ١٢٨٤ م)
 حنا الأول ملك بيت المقدس ٦٨٣ — ٦٨١ هـ (١٢٨٤ — ١٢٨٥ م)
 هنرى الثالث ملك قبرس (الثاني) ٦٨٥ — ٦٩٠ هـ (١٢٨٦ — ١٢٩١ م)

(ب) أمراء أنطاكية النورمان

بوهيموند الأول ٤٩٢ — ٤٩٨ هـ (١٠٩٨ — ١١٠٤ م)
 تنكرد ٤٩٨ — ٥٠٦ هـ (١١٠٤ — ١١١٢ م)
 روجردى سارو ٥٠٦ — ٥١٣ هـ (١١١٢ — ١١١٨ م)
 بوهيموند الثاني ٥٢٠ — ٥٢٥ هـ (١١٢٦ — ١١٣٠ م)
 ريموندى يواتيه ٥٣١ — ٥٤٤ هـ (١١٣٦ — ١١٤٩ م)
 رينجالد دى شاتيون (أرناط) ٥٤٨ — ٥٥٥ هـ (١١٥٣ — ١١٦٠ م)
 بوهيموند الثالث ٥٥٩ — ٥٩٨ هـ (١١٦٣ — ١٢٠١ م)
 بوهيموند الرابع ٥٩٨ — ٦١٣ هـ (١٢٠١ — ١٢١٦ م)
 ريموند روبان ٦١٣ — ٦١٦ هـ (١٢١٦ — ١٢١٩ م)
 بوهيموند الرابع (مرة ثانية) ٦١٦ — ٦٣١ هـ (١٢١٩ — ١٢٣٣ م)
 بوهيموند الخامس ٦٣١ — ٦٤٩ هـ (١٢٣٣ — ١٢٥١ م)
 بوهيموند السادس ٦٤٩ — ٦٦٧ هـ (١٢٥١ — ١٢٦٨ م)

(ج) أمراء طرابلس

ريموند الأول ٤٩٦ — ٤٩٩ هـ (١١٠٢ — ١١٠٥ م)
 سليم جوردان ٤٩٩ — ٥٠٢ هـ (١١٠٥ — ١١٠٨ م)
 برتراند ٥٠٢ — ٥٠٧ هـ (١١٠٨ — ١١١٣ م)
 ريموند ٥٠٧ — ٥٢١ هـ (١١١٣ — ١١٢٧ م)
 ريموند الثاني ٥٢١ — ٥٤٧ هـ (١١٢٧ — ١١٥٢ م)

ويومند الثالث ٥٤٧ — ٥٨٣ م (١١٥٢ — ١١٨٧ م)
يوهيموند الرابع (+ أنطاكية) ٥٨٣ — ٦٣١ م (١١٨٧ — ١٢٢٣ م)
يوهيموند الخامس (+ أنطاكية) ٦٣١ — ٦٤٩ م (١٢٢٣ — ١٢٥١ م)
يوهيموند السادس (أنطاكية) ٦٤٩ — ٦٧٤ م (١٢٥١ — ١٢٧٥ م)
يوهيموند السابع ٦٧٤ — ٦٨٦ م (١٢٧٥ — ١٢٨٨ م)

سابعاً : أباطرة الدولة البيزنطية :

الكسيوس الأول كومنين ٤٧٣ — ٥١٢ م (١٠٨١ — ١١١٨ م)
حنا الثاني كومنين ٥١٢ — ٥٣٨ م (١١١٨ — ١١٤٣ م)
مانويل الأول كومنين ٥٣٨ — ٥٧٦ م (١١٤٣ — ١١٨٠ م)
الكسيوس الثاني كومنين ٥٧٦ — ٥٧٩ م (١١٨٠ — ١١٨٣ م)
أندرونيق الأول كومنين ٥٧٩ — ٥٨١ م (١١٨٣ — ١١٨٥ م)
إسحق الثاني انجيلوس ٥٨١ — ٥٩٢ م (١١٨٥ — ١١٩٥ م)
الكسيوس الثالث انجيلوس ٥٩٢ — ٦٠٠ م (١١٩٥ — ١٢٠٣ م)
الكسيوس الخامس ٦٠١ م (١٢٠٤)

مصادر الكتاب

أولا : المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة :

- ١ — إبراهيم على طرخان : (الاقطاع الإسلامى — أصوله وتطوره) .
(القاهرة — ١٩٥٧) .
- ٢ — ابن الأثير : (ت ٦٣٠ هـ ، ١٢٣٧ م) على بن أحمد بن أبي الكرم
(١) د الكامل فى التاريخ ، (١٢ جزءا — القاهرة ١٣٠٣ هـ) .
٣ — (ب) التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية .
حققه عبد القادر أحمد طليحات (القاهرة — ١٩٦٣ م)
- ٤ — أسامة بن منقذ : (ت ٥٨٤ هـ ، ١١٨٠ م) مؤيد الدولة أبو المظفر
أسامة بن مرشد الكنانى الشيزرى .
(١) د الاعتبار ، نشره وحققه فيليب حتى (برنستون — ١٨٣٠ م)
- ٥ — (ب) د لباب الآداب ، تحقيق أحمد محمد شاكر القاهرة — (١٩٣٥ م)
- ٦ — الأصفهاني . (ت ٩٥٧ هـ ، ١٢٠٠ م) عماد الدين محمد .
د الفتح القسى فى الفتح القدسى ، تحقيق أحمد محمود صبح — (ت ٧٤٢ هـ)
- ٧ — ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٧ هـ ، ١٢٧٠ م) أبو العباس أحمد بن القاسم
ابن خليفة موفق الدين .
د عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، جزءان — القاهرة ١٢٩٩ —
(١٣٠٠ هـ)
- ٨ — أمير على سيد
Ameer : Ali Sayed : « A Short Hist of the Saracens »
نقله إلى العربية رياض رأفت باسم د مختصر تاريخ العرب والمسلمين
الإسلامى . (القاهرة ١٩٣٨) .
- ٩ — ابن أبيك (ت ٧٤٤ هـ) محمد بن على بن أبيك السروجى أبو عبد الله
شمس الدين .

« الدر المطلوب في أخبار بني أيوب »

مخطوط بدار الكتب المصرية ، تاريخ رقم ٢٥٧٨

١٠ - بارثولد : ف : Barthold' F .

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية .

نقله إلى العربية حمزة طاهر - القاهرة ١٩٤٣ هـ

١١ - (ب) تاريخ التوك في آسيا الوسطى .

نقله إلى العربية د . أحمد السعيد (القاهرة - ١٩٥٨ م)

١٢ - باركر ارنست

« الحروب الصليبية » ، نقله إلى العربية د . السيد الباز العريني

(القاهرة - ١٩٦٠)

١٣ - بيرس الدوادار (ت ٥٧٢٤ هـ) .

« زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة » ،

(مخطوطة . كتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٢٧)

١٤ - بروكلمان : كارل

Brockelman' Carl : Geschichte der Islamische . Volker und
Staten .

نقله إلى العربية الدكتور نبيه فارس والأستاذ منير البعلبكي باسم

(تاريخ الشعوب الإسلامية ، دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٤٨)

١٥ - البنداري (توفي في النصف الأول من القرن السابع الهجري)

الفتح بن علي بن محمد .

« تاريخ دولة آل ساجوق » ، (طبع على نفقة شركة الكتب العربية

سنة ١٣١٨ هـ ، ١٩٠٠ م) .

١٦ - ابن جبير (ت ٦١٤ هـ ، ١٢١٧ م) محمد بن أحمد بن جبير « رحلة

ابن جبير » ، تحقيق للدكتور حسين نصار (القاهرة - ١٩٥٥ م)

١٧ — ابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ - ١٣٠٠ م) أبو الفرج عبد الرحمن بن

علي بن محمد بن علي بن الجوزى .

« المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم » (حيدر أباد ١٣٥٨ هـ)

١٨ — حافظ أحمد حمدى

(١) « الدولة الخوارزمية والمغول ، القاهرة - ١٩٤٩ م)

١٩ — (ب) « الشرق الإسلامى قبل الغزو المغولى ، (القاهرة - ١٩٥٠ م)

٢٠ — حتى ، فيليب

(١) Hitti , Philip . History of the Arabs .

نقله إلى العربية فيليب حتى وآخرون باسم « تاريخ العرب »

(بيروت - ١٩٥٣ م)

٢١ — (ب) (History of Syria)

نقله إلى العربية الدكتور كمال اليازجى باسم « تاريخ سوريا

ولبنان وفلسطين » .

٢٢ — حسن إبراهيم حسن

(١) « تاريخ الإسلام السيامى » القاهرة - ١٩٦٢ م)

(ب) « تاريخ الدولة الفاطمية » القاهرة - ١٩٦٤)

٢٣ — حسن حبشى

(١) « الحرب الصليبية الأولى » (القاهرة - ١٩٤٧ م)

٢٤ — (ب) « نور الدين محمود والصليبيون » (القاهرة - ١٩٤٨ م)

٢٥ — الحسن بن عبد الله : أبو علي الحسن بن عبد الله بن محمد بن عمر

ابن محاسن .

« آثار الأول فى ترتيب الدول » (القاهرة - ١٣٠٥)

٢٦ — حسين أمين : « تاريخ العراق فى العصر الساجوقى »

(بغداد ١٣٥٨ هـ - ١٩٦٩ م)

- ٢٧ - الحسيني : عاش في القرن السابع الهجري (ناصر بن علي الحسيني
« أخبار الدولة السلجوقية ، حققه محمد اقبال (لاهور - ١٩٣٣)
٢٨ - ابن حوقل : (توفي في أواخر القرن الرابع الهجري)
أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي
« المسالك والممالك ،
(مجموعة المكتبة الجغرافية العربية ، نشر دي غويه ١٧٨٠ م)
٢٩ - الخزر جي : (ت ٦١٣ هـ ١٢١٦ م) جمال الدين أبو الحسن علي
ابن طاهر .
« أخبار الزمان في تاريخ بني العباس »
مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٨٩٠ ، تاريخ)
٣٠ - ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ ، ١٤٠٥ - ١٤٠٦ م)
عبد الرحمن بن محمد بن محمد جابر .
« العبر وديوان المبتدأ والخبر » (٧ أجزاء - بولاق ١٢٨٤ هـ)
٣١ - ابن خلكان : (ت ٦٨١ هـ ، ١٢٧١ م) شمس الدين أبو العباس
أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعي .
« وفيات الأعيان » حققه محمد محي الدين عبد الحميد ،
(القاهرة - ١٩٤٨)
٣٢ - الذميري : (ت ٨٠٨ هـ ، ١٤٠٥ م)
« حياة الحيوان الكبرى » (جزءان ١٣٠٩ هـ)
٣٣ - الذهبي : (ت ٧٤٨ هـ) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد
ابن عثمان بن قايماز .
« دول الاسلام » (حيدر آباد - ١٢٣٣ هـ)
٣٤ - الراوندي : (ت ٥٩٩ هـ ، ١٢١٢ م) محمد بن علي بن سليمان
الراوندي .

- « راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية » ،
نقله إلى العربية إبراهيم أمين الشاوربي ، وعبد النعم حسين
وفؤاد عبد المعطى الصياد . (القاهرة - ١٩٦٠) .
- ٣٥ - زامباور : ادوار فون
« معجم الأنساب والأسرات الحاكمة » ،
نقله إلى العربية الدكتور زكي حسن ، وحسن أحمد محمود
(جامعة القاهرة - ١٩٥١ م)
- ٣٦ - ابن الساعي : (٦٧٤ ، ١٢٧٥ م) أبو طالب علي بن أنجب
تاج الدين .
« الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير » .
نشر وتحقيق الدكتور مصطفى جواد ح ٩ (بغداد ١٩٣٤ م)
- ٣٧ - سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ ، ١٢٥٦ م) شمس الدين أبو المظفر
يوسف قزويني .
« مرآة الزمان في تاريخ الأعيان » .
القسمان الأول والثاني من الجزء الثامن (حيد رأباد - ١٩٥١) .
- ٣٨ - سعيد الديوه هجي : « الموصل في العهد الأتابكي » ،
(الموصل ١٩٥٨) .
- ٣٩ - سعيد عبد الفتاح عاشور .
« الحركة الصليبية » (القاهرة - ١٩٦٣ هـ) .
- ٤٠ - السيد الباز العريني .
(١) الاقطاع في الشرق الأوسط منذ القرن السابع حتى القرن
الثالث عشر الميلادي .
(فصل من حوليات كلية الآداب - جامعة عين شمس - العدد
الرابع يناير سنة ١٩٥٧) .

- ٤١ — (ب) «مصر في عصر الأيوبيين»، (القاهرة — ١٩٦٠ هـ).
- ٤٢ — (ح) «الشرق الأوسط والحروب الصليبية»،
(القاهرة — ١٩٦٣).
- ٤٣ — السيوطي (ت ٩١١ هـ، ١٥٠٥ م).
عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين.
(تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة).
- ٤٤ — أبو شامة: (ت ٦٦٥ هـ، ١٣٦٦ م) شهاب الدين أبو محمد
عبد الرحمن اسماعيل إبراهيم المقدسي.
(١) الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية.
(القاهرة — ١٣٧٨ هـ).
- ٤٥ — (ب) «تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجري»،
المعروف بالدين علي الروضتين.
تحقيق السيد عزت العطار الحسيني (القاهرة — ١٣٦٦ هـ).
- ٤٦ — ابن شاهنشاه (ت ٦١٧ هـ، ١٣٣٠ م) محمد بن تقي الدين عمر بن
شاهنشاه الأيوبي. صاحب حماء.
«مضمار الحقائق وسر الخلائق»،
تحقيق الدكتور حسن حبشي (نشره عالم الكتب — القاهرة ١٩٦٩ م).
- ٤٧ — ابن الشحنة: محمد بن الشحنة.
«الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب»،
(بيروت — ١٩٠٩ م).
- ٤٨ — ابن شداد: (ت ٦٣٢ هـ، ١٢٣٤ م).
«النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية»،
وفي ذيله منتخبات من كتاب التاريخ لتاج الدين شاهنشاه بن أيوب
صاحب حماء.

القاهرة — ١٣١٧ هـ .

٤٩ — ابن طباطبا : (٧٠٩ هـ) نخر الدين محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي .

د الفخري في الآداب الساطانية ، (القاهرة ١٩٢١ م .)

٥٠ — عباس الغزاوي : د تاريخ الضرائب العراقية من صدر الإسلام إلى آخر العهد العثماني ، (بغداد — ١٩٥٨ م) .

٥١ — عبد العزيز الدوري .

تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري .

(بغداد — ١٩٤٨ م) .

٥٢ — عبد النعيم حسين : د سلاجقة إيران والعراق ، .

(القاهرة — ١٩٥٩ م) .

٥٣ — ابن العبري : (ت ٦٨٤ هـ) غريغوريوس أبر الفرج بن هرون الملقب

د تاريخ مختصر الدول ، (بيروت — ١٨٩٠ م) .

٥٤ — ابن العديم : (ت ٦٦٠ هـ ، ١٣٦١ م) كمال الدين أبو القاسم عمر

أحمد بن هبة الله بن العديم .

د زبدة الحلب في تاريخ حلب ، .

نشر وتحقيق سامي الدهان : (دمشق ١٩٥٤ م) .

٥٥ — ابن عساكر : ١ ت ٥٧١ هـ ، ١١٧٥ م) أبو القاسم علي بن الحسين

د التاريخ الكبير ، تحقيق عبد القادر بدران .

(دمشق ١٣٣٦ هـ) .

٥٦ — العظيمي : محمد بن علي التنوخي الحلبي .

د تاريخ العظيمي ، .

٥٧ — ابن العماد الحنبلي : (ت ١٠٩٨ هـ) أبو الفلاح بن عبد الحى

ابن العماد الحنبلي .

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب . .
(القاهرة — ١٣٥٠ هـ) .
- ٥٨ — العمرى : (ت ١٣٣٢ هـ) ياسين بن خير الله الخطيب العمرى .
• منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء . .
• نشر وتحقيق سعيد الديوه هجي (الموصل ١٣٧٤) .
- ٥٩ — ابن العميد : (ت ٦٧٢ هـ ، ١٢٧٣ م) الشيخ المكين جرجس بن العميد
• تاريخ المسلمين ، (لندن ١٠٣٥ هـ ، ١٦٢٥ م) .
- ٦٠ — الفارقي : (٥٦٠ هـ ، ١١٩٣ م) أحمد بن يوسف بن علي الأزرق
الفارقي : • تاريخ ميفارقين . .
• تحقيق الدكتور بدوي عبد اللطيف عوض (القاهرة — ١٩٥٩ م) .
- ٦١ — أبو الفدا : (ت ٧٣٢ هـ) اسماعيل بن علي عماد الدين صاحب حماه .
• المختصر في تاريخ البشر (القاهرة — ١٣٢٥ م) .
- ٦٢ — فؤاد عبد المعطي الصياد : • المغول في التاريخ . .
(بيروت — ١٩٧٠ م) .
- ٦٣ — ابن الفوطى : (ت ٧٣٢ هـ) عيد الرزاق بن أحمد بن محمد
ابن أحمد الصابوني .
• الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة .
• تحقيق الدكتور مصطفى جواد (بغداد ١٣٥١ هـ) ،
- ٦٤ — ابن قاضي شبة : (ت ٨٧٤ هـ) بدر الدين محمد بن تقى الدين أحمد .
• الكواكب الدرية في السيرة النورية . .
• مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٣٢٧ ، تاريخ .
- ٦٥ — القرمانى : (ت ١٠١٩ هـ) أبو العباس أحمد بن يوسف • أخبار
الدول ، (بغداد — ١٣٨٢ هـ) .
- ٦٦ — القزويني : (ت ٦٨١ هـ ، ١٣٨٢ م) أبو عبد الله زكريا بن محمود

- د آثار البلاد وأخبار العباد، (نجد تنج ١٩٤٨ م)
- ٦٧ - قطب الدين البعلبكي : (ت - ٧٢٦ هـ) قطب الدين أبي الفتح موسى
ابن محمد بن أحمد بن قطب الدين البعلبكي
د ذيل مرآة الزمان ،
(حيدر آباد - ١٩٥٤ م)
- ٦٨ - ابن القفطى : (ت ٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م) جمال الدين علي بن يوسف
ابن ابراهيم بن عبد الوهاب :
د إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، (القاهرة - ١٣٢٦ هـ)
- ٦٩ - ابن القلانسي : (ت ٥٥٥ هـ - ١١٦٠) أبو يعلى حمزة بن أسد
ابن علي .
د ذيل تاريخ دمشق (بيروت ١٩٠٨ م)
- ٧٠ - القلقشندي : (ت ٨٢١ - ١٤١٨ م) أبو العباس أحمد
د صبح الأعشى في صناعة الانشاء ، نشر وزارة الثقافة والارشاد
المصرية .
- ٧١ - ابن كثير . (ت ٧٧٤ هـ ١٣٧٣ م) عماد الدين أبو الفدا اسماعيل
ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي .
د البداية والنهاية ، (القاهرة - ٩٣٢ م)
- ٧٢ - كرد علي : د خطط الشام ، (مصر - ١٩٢٧ م)
- ٧٣ - الكرملی : أنستاس
د النهود العربية وعلم النيات ،
(القاهرة - ١٩٣٩ م)
- ٧٤ - لسترنج : د بلدان الخلافة الشرقية ،
نقله إلى العربية ، بشير فرئيس ، وكوركيس عواد
(المجمع العلمي العراقي ١٩٥٤ م)

٧٥ — الماوردي : (ت ٤٥٠ - ١٠٥٧ م) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب
البصري البغدادي .

« الأحكام السلطانية » .

٧٦ — منز : آدم

Mez'Adam : Die Renaissance des Islam .

نقله إلى العربية الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده باسم :

« الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري » ،

(القاهرة - ١٩٤٠ - ١٩٤١ م)

٧٧ — أبو المحاسن : (ت ٨٧٤ هـ - ١٤٦٩ م) جمال الدين يوسف

ابن تغري بردي « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » ،

(نشر دار الكتب المصرية)

٧٨ — محمد أمين زكي

(١) خلاصة تاريخ الكرد والكردستان من أقدم العصور التاريخية

حتى الآن ،

نقله إلى العربية محمد علي عوني (القاهرة - ١٩٣٩ م) .

٧٩ — (ب) تاريخ الدول والامارات الكردية في العهد الإسلامي ،

تعريب محمد علي عوني (القاهرة ١٩٤٥ م)

٨٠ — محمد باقر كاظم الحسيني

« العملة الإسلامية في العهد الأتابكي » ،

(بغداد ١٩٦٦)

٨١ — محمد جمال الدين سرور

(١) دولة بني قلاوون في مصر ، القاهرة - ١٩٤٧)

٨٢ — (ب) تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق (القاهرة - ١٩٨٥ م)

٨٣ — محمد فريد أبو حديد : « صلاح الدين الأيوبي وعصره » ،

(القاهرة - ١٩٢٧ م)

٨٤ - المقرئى : (ت ٨٤٥ هـ ، ١٤٤١ م) تقي الدين أحمد بن على .

(١) « السلوك لمعرفة دول الملوك » .

نشره وحققه الدكتور محمد مصطفى زيادة حتى نهاية الجزء الثانى فى

ستة مجلدات - (القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٥٨ م)

٨٥ - (ب) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ،

« جزءان - بولاق ١٢٧٠ هـ »

٨٦ - ابن ميسر : (ت ٦٧٧ هـ ، ٢٢٧٨ م)

« أخبار مصر » ، اعتنى بتصحيحه هنرى ماسية .

(المعهد العلمى الفرنسى ١٩٢٩ م)

٨٧ - ناصر خسرو : (ت ٤٨١ هـ - ١٠٠٨ م)

« سفر نامه » .

نقله من الفارسية إلى العربية الدكتور يحيى الخشاب

(القاهر - ١٩٤٥ م)

٨٨ - النسوى : محمد بن أحمد

« سيرة السلطان جلال الدين منكبرتى » ،

نشر وتحقيق حافظ أحمد حمدى (القاهرة - ١٩٥٣ م)

٨٩ - النويرى : (ت ٧٣٣ هـ)

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب

« نهاية الأرب فى فنون الأدب » ،

مخطوط بدار الكتب المصرية من ٢٥ إلى ٣٠

٩٠ - الهمذانى : رشيد الدين فضل الله

(ت ٧١٦ هـ ، ١٣١٦ م)

تاريخ المغول ، نقله من الفارسية إلى العربية محمد صادق نشأت ،
وفؤاد عبد المعطي الصياد
القاهرة - ١٩٦٠ م)

٩١ - ابن الوردي : (ت ٧٦٨ هـ)

أبو حسن زين الدين عمر
، تمة المختصر في أخبار البشر ،

٩٢ - الياقعي : (ت ٧٦٨ هـ ١٣٦٧ م)

عبد الله بن اسعد بن علي
، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ،
(حيد راباد - ١٣٣٧ هـ)

٩٣ - ياقوت : (ت ٦٢٦ هـ ، [١٢٢٩ م) شهاد الدين أبو عبد الله
الحوري الرومي .

، معجم البلدان ، (١٠ اجزاء - القاهرة ١٩٠٦)

٢ — المصادر الأوروبية

- 1 — Archer (T.), Kingsford (C.) : "The Crusades". (London, 1894).
- 2 — Browne (E. D.) . "Literary History of Persia." (London 1906).
- 3 — Cahen (L.) : "La Syrie du Nord à l'Epoque des Croisades" (Paris, 1940).
- 4 — Cambridge Med. Hist. (Cambridge, 1957)
- 5 — Chalandon (F.) : "Histoire de la Première Croisade". (Paris, 1925)
- 6 — Der Nersessian (S) : "Armenia and the Byzantine Empire" (Cambridge, 1945)
- 7 — Duggan, (A) : "The Story of the Crusades". (London, 1965)
- 8 — Gibb (H.A.R.) : "The Damascus Chronicle of the Crusades" (London, 1932)
- 9 — Grousset . "Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jerusalem". (Paris, 1902)
- 10 — Howorth : "Henry H. : "History of the Mongols". (London, 1876)
- 11 — Lamb, (Harold) : "The Crusades".
- 12 — La Monte (J) : "Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem".
- 13 — Lane-Poole (S.) (A) : "Saladin and the Fall of the Kingdom (London, 1898)

- 14 — (B) : "Coins of the urki Turkumans", (London, 1875)
- 15 — (C.) : "The Muhammadan Dynasties". (Paris, 1925)
- 16 — Muir : "The Caliphate, Its rise, decline and Fall". (London, 1924)
- 17 — Nicholson, (A) Reynold : "Literary History of the Arabs". (Cambridge, 1930)
- 18 — Runciman : "A History of the Crusades". (Cambridge, 1957)
- 19 — Setton, (K. M.) : "A History of the Crusades". (Pennsylvania, 1958)
- 20 — Stevenson; (W. B.) : "The Crusaders in the East",
- 21 — Vasiliev, (A. A.) : "History of the Byzantine Empire". (Madison, 1952)
- 22 — Vincent, (H.) : "Jerusalem".
- 23 — Zoe Olden Bourg : "Les Croisades". (Paris, 1962)

فهرس موضوعات الكتاب

| صفحة | |
|------|---|
| | التقديم : بقلم الاستاذ الدكتور محمد جمال الدين سرور |
| ٣ | المقدمة |
| ٧ | بحث في مصادر الكتاب |
| ١٢ | تمهيد : قيام دول أتابكة الموصل والجزيرة |

الباب الاول

| | |
|----|--|
| ٢٥ | الموقف السياسي الداخلي في دول أتابكة الموصل والجزيرة |
| ٢٥ | ١ - سياسة أتابكة الموصل والجزيرة في توطيد سلطانهم |
| ٢١ | ٢ - الأحداث الداخلية في دول الأتابكة |
| ٤٤ | ٣ - انحلال دول أتابكة الموصل والجزيرة وزوالها |
| ٤٤ | استيلاء المغول على الموصل |
| ٤٥ | سقوط سنجار في أيدي المغول |
| ٤٦ | غارات المغول على إربل وامتلاكها |
| ٤٧ | دخول ماردين في طاعة المغول |
| ٤٨ | استيلاء صلاح الدين يوسف بن أيوب على ميفارقين |
| ٤٨ | دخول خرزبرت في طاعة سلاجقة الروم |

الباب الثاني

| | |
|----|--|
| ٤٩ | موقف أتابكة الموصل والجزيرة من حكم البلاد الإسلامية المجاورة |
| ٤٩ | ١ - الخلفاء العباسيون في بغداد |
| ٦٣ | ٢ - السلاجقة |
| ٧٩ | ٣ - أتابكة المشرق الإسلامي |
| ٩٩ | ٤ - الأيوبيون |

الباب الثالث

| | |
|-----|---|
| ١١٨ | العلاقات الخارجية لدول أتابكة الموصل والجزيرة |
| ١١٨ | ١ — مع البيزنطيين |
| ١٢٦ | ٢ — مع الصليبيين |
| ١٢٦ | أسباب الحروب الصليبية |
| ١٢٨ | الحملة الصليبية الأولى |
| ١٣١ | بلدوين والرها |
| ١٣٤ | سقوط أنطاكية في أيدي الصليبيين |
| ١٣٥ | استيلاء الصليبيين على بيت المقدس |
| ١٣٨ | وقوف الأميرين سقمان بن أرئق وجكرمش في وجه الخطر الصليبي |
| | حملة الأميرين إيلغازي بن أرئق ومودود على الإمارات الصليبية في |
| ١٣٩ | بلاد الشام |
| ١٤٥ | مقتل مودود بدمشق |
| ١٤٦ | جهود آق سنقر البرسقي في درء الخطر الصليبي عن بلاد الشام |
| ١٤٦ | تفرق كلمة أتابكة الموصل والجزيرة وهزيمة |
| | انتصار إيلغازي بن أرئق — أمير مardin — على الصليبيين في موقعة |
| ١٥٠ | ساحة الدم |
| ١٥١ | موقف يلك بن بهرام الأرتقي من الصليبيين |
| ١٥٤ | مواصلة البرسقي الحرب ضد الصليبيين |
| ١٥٦ | جمود عماد الدين زنكي في درء الخطر الصليبي |
| ١٦٥ | سقوط الرها في أيدي عماد الدين زنكي |
| ١٧٤ | الحملة الصليبية الثانية على بلاد الشام وقشلها |
| | انضمام أتابكة الموصل والجزيرة إلى نور الدين محمود بن زنكي في مجاهدة |
| ١٧٧ | الفرنجة |
| ١٧٩ | موقف صلاح الدين يوسف بن أيوب من الصليبيين |

| صفحة | |
|------|---|
| ١٨٠ | استيلاء صلاح الدين على بعض ممتلكات الصليبيين في الشام |
| ١٨٠ | صلاح الدين وأرناط |
| ١٨٠ | موقعة حطين |
| ١٨٤ | استيلاء صلاح الدين على طبرية وعسكا |
| | استيلاء صلاح الدين على معظم المدن والقلاع الساحلية في جنوب بلاد الشام |
| ١٨٦ | |
| ١٨٧ | استرداد المسلمين لبית المقدس |
| ١٩٠ | الحملة الصليبية الثالثة |
| ١٩١ | الحملة الصليبية على مصر |
| ١٩٣ | نهاية الحروب الصليبية |
| ١٩٤ | ٣ — المغول |
| ١٩٤ | نشأة المغول |
| ١٩٤ | ظهور جنكيز خان |
| ١٩٥ | قيام الدولة الخوارزمية |
| ١٩٦ | تدهور العلاقات المغولية الخوارزمية |
| ١٩٧ | زحف المغول إلى البلاد الخوارزمية |
| ١٩٨ | هجمات المغول على بلاد الموصل والجزيرة |
| ٢٠٠ | دخول أتابكة ماردين والموصل في طاعة المغول |
| ٢٠٢ | هولاكو والخلافة العباسية |
| ٢٠٦ | سقوط بلاد الجزيرة في أيدي المغول |
| ٢٠٦ | زحف المغول إلى بلاد الشام |
| ٢٠٩ | موقعة عين جالوت |

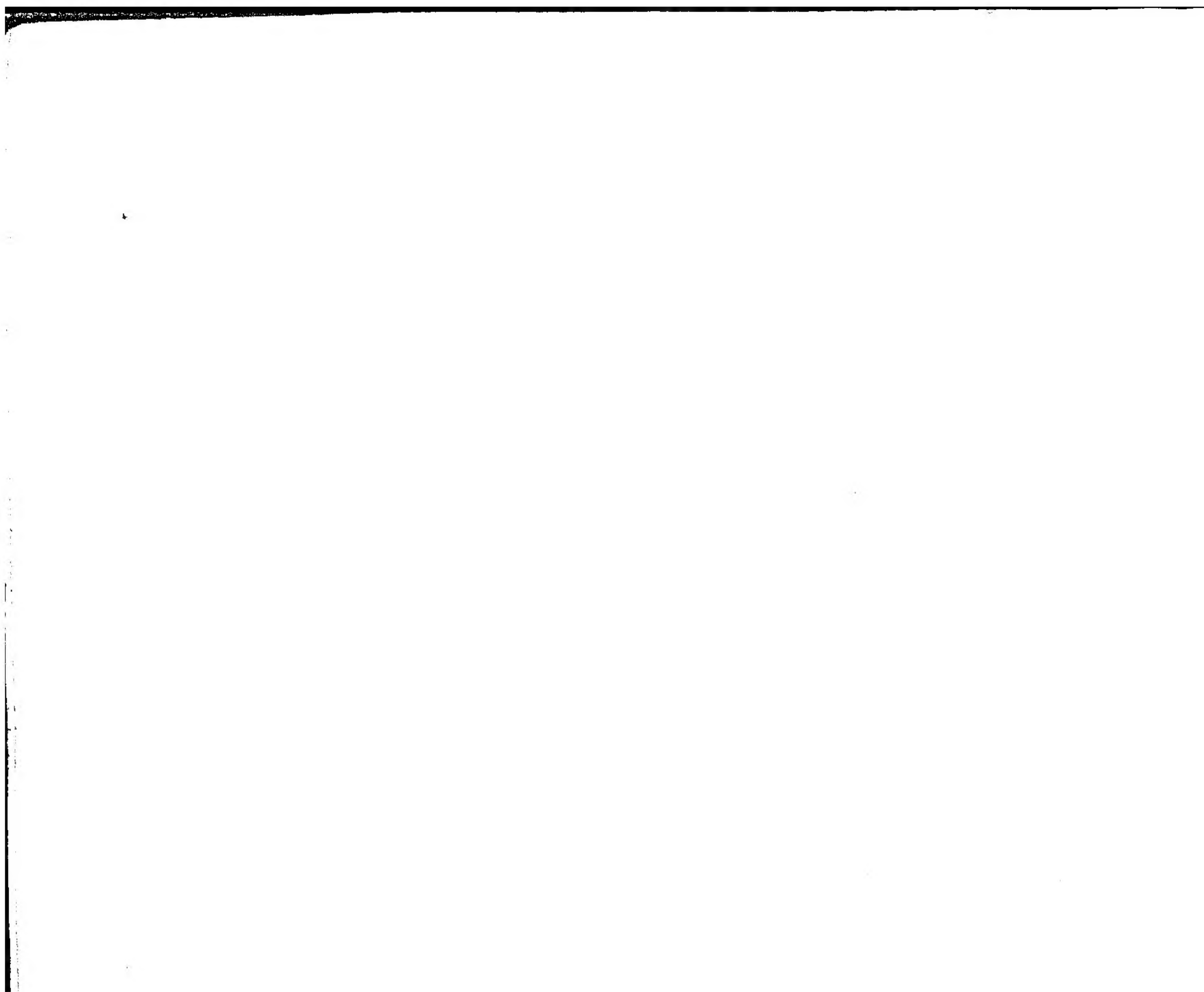
الباب الرابع

بعض مظاهر الحضارة في بلاد الجزيرة

أولا : التنظيمات الادارية والمالية في دول أتابكة الموصل والجزيرة ٢١٥

صفحة

| | | |
|-----|-----------|--|
| ٢١٥ | • • • • • | — التنظيم الإداري |
| ٢١٥ | • • • | ١ — التقسيم الإداري لدول أتابكة الموصل والجزيرة |
| ٢١٥ | • • • • • | ١ — ديار ريعة |
| ٢١٨ | • • • • • | ٢ — ديار مضر |
| ٢١٨ | • • • • • | ٣ — ديار بكر |
| ٢١٩ | • • | البلدان التي اشتملت عليها أتابكيات الموصل والجزيرة |
| ٢٢٢ | • • • • • | الوظائف والدواوين الإدارية |
| | | ١ — الوظائف |
| ٢٢٢ | • • • • • | ١ — النائب |
| ٢٢٥ | • • • • • | ٢ — الوزير |
| ٢٢٦ | • • • • • | ٣ — الشحنة |
| ٢٢٨ | • • • • • | ٤ — الوالي |
| ٢٢٨ | • • • | ب — الدواوين التي اهتمت بالشؤون الإدارية |
| ٢٢٩ | • • • • • | ١ — ديوان الرسائل |
| ٢٣٠ | • • • • • | ٢ — ديوان الجيش |
| ٢٣٢ | • • • • • | ٣ — ديوان البريد |
| ٢٣٢ | • • • • • | ٤ — الادارة المالية |
| ٢٣٢ | • • • • • | الموارد المالية الثابتة لدول الأتابكة |
| ٢٣٢ | • • • • • | نظام إنفاق الموارد المالية في هذه الدول |
| ٢٤٢ | • • • • • | المعاملات المالية |
| ٢٤٩ | | ثمانيا : الحياة الثقافية في بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي |
| ٢٦٥ | | جداول بأسماء أتابكة الموصل والجزيرة والحكام المعاصرين لهم في الشرق |
| ٢٧٧ | • • • • • | مصادر الكتاب |
| ٢٩١ | • • • • • | فهرس موضوعات الكتاب |



تطلب جميع منشوراتنا من فروعا

الفرع الرئيسي

٦-١ شارع جوار صني - القاهرة

ت : ٧٥٠١٦٧

فرع مدينة نصر

٩٤ شارع عباس العقاد - المنطقة السابعة

فرع الرقة

٢٧ شارع عبدالعظيم راشد - متفرع من

شارع الكثر شالين - بالمعوجة

ت : ٧١٧٤٩٨

مؤسسة

دار الكتاب الحديث

للطباعة والنشر والتوزيع

الكويت شارع فهد السالم عمارة السوق الكبير

بجوار المخازن الكبرى محل رقم ٢٥٠ أرضي

ت : ٤٢٦٧٦٥ ص ٠ ب ٢٢٧٥٤